
محمود سلمان
طريق المجد الى أرجوحة الأبطال
محمود شبيب

محمود سلمان

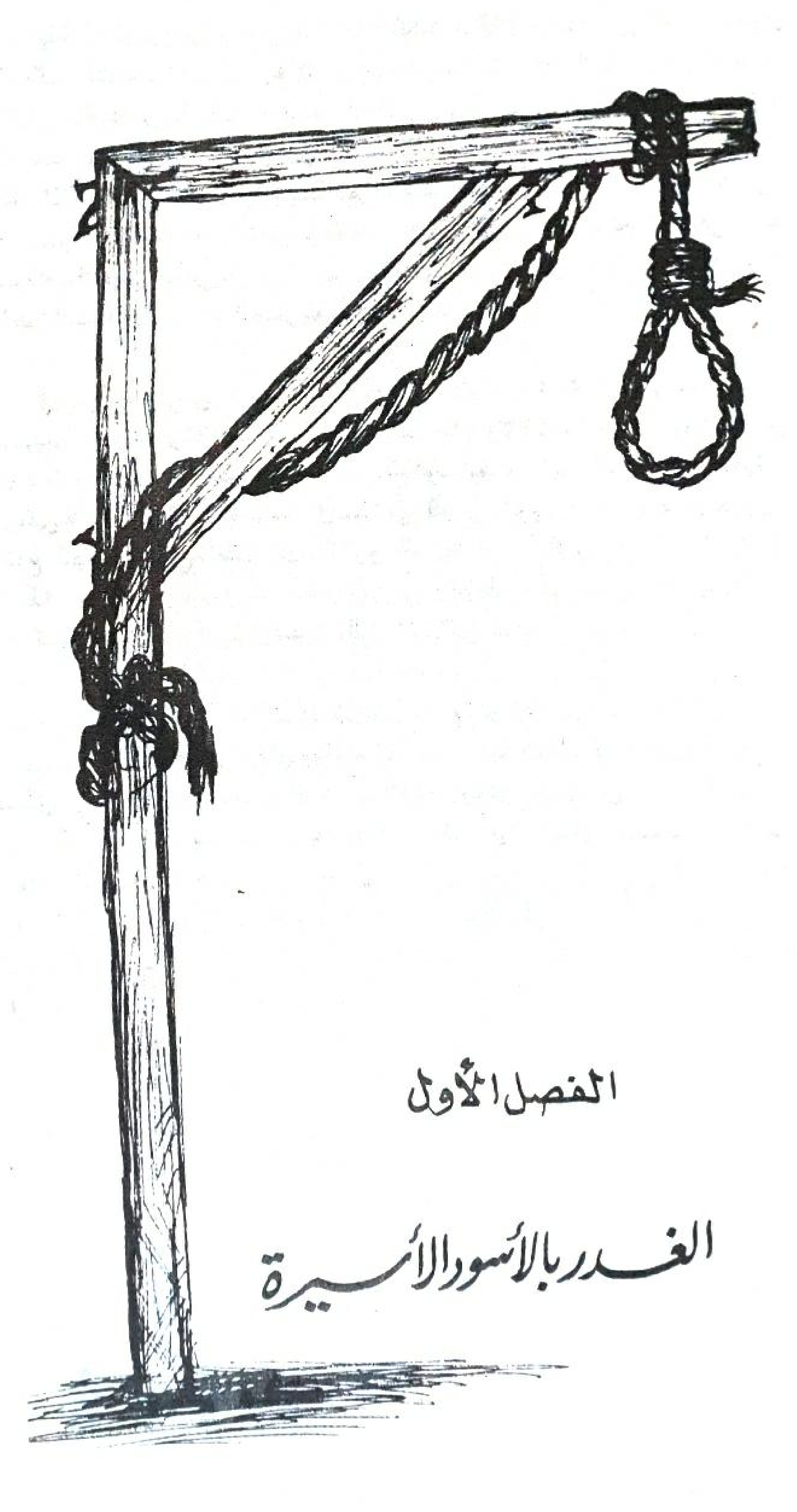
طريق المجد الى ارجوحة الابطال

محمود شبيب



جميع صور الكتاب تعود الى جهود المؤلف الخاصة ولا علاقة لأية مؤسسة بها.

الى
ثورة مايس ١٩٤١ وشهدائها
الأشاوس



الفصل الأول

الغدر بالأسود الأسيرة

ليلة الخامس من مايس ، ١٩٤٢ كانت حالكة ظلماء دون قمر ، وفوق ذلك ظلت النجوم تنتحب ، فلقد شقت درب الشهادة كوكبة اخرى من ابطال الامة العربية عبر كفاحها الدامي المرير ضد الاستعمار والتجزئة والاغتصاب ، في الساعة الثانية بعد منتصف تلك الليلة الباكية ، اقدم الحكم الملكي على اقتراف جريمة نكراء قيض لها ، فيما بعد ، ان تكون احد العوامل الجذرية في نخر وجوده واستمراره حتى اطيح به على يد الشعب والجيش فجر الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ في ضربة خاطفة كانت جماجم الشهداء روحها الصارمة ويدها المنتقمة .

في موكب عرس المجد الى ارجوحة الابطال ، تقدم — محمود سلمان — العقيد وقائد القوة الجوية منذ عام ١٩٣٩ وابان ثورة مايس ١٩٤١ ، و — محمد فهمي سعيد — العقيد ايضا واحد كبار قادة الجيش العراقي ، و — يونس السبعاوى — فتى الثورة ووزير الاقتصاد في حكومة الدفاع الوطني التي اطاح بها الغزو البريطاني المباشر بعد ان ظلت في السلطة ، وسط جو من الحماس القومي والوطني لم يسبق له مثيل[1] ، زهاء شهرين برئاسة — رشيد عالي الكيلاني — .

ولقد بلغ من حقد الحكم الملكي — السعيدى[2] على اولئك الشهداء ، وذويهم ، حدا لايوصف ، فلم يمهلهم غير ساعات قلائل كانت لازمة لنصب المشانق في المعتقل الموحش الرهيب الذى لايعدو ان يكون اصطبلا للخيل في منطقة — ابي غريب — قرب بغداد ، ولتصفيد ارجل الاسود ثانية بعد ان ظلت ايديهم مكبلة بالحديد الثقيل منذ ان جاء بهم المحتلون الانكليز من جنوب افريقيا وروديسيا الى البصرة وسلموهم للاذناب الطغاة بعد ان اذاقوهم الويلات بعد اعتقالهم ، غدرا اثر سقوط ايران بايدى الحلفاء في اواخر عام ١٩٤١ .

ليس هناك حق لاحد ان يحدثنا عن تلك الفترة المفزعة من تاريخنا المعاصر غير السيدة — مديحة[3] — قرينة — محمود سلمان — اذ تقول : «بعد ان القى الانكليز القبض على زوجي ورفاقه في طهران ومعهم افراد

---

(١) لم تسجل تقارير الشرطة حادثة سرقة او نشل واحدة خلال فترة شهرين استغرقتهما ثورة مايس .

(٢) نسبة الى نورى السعيد ، رئيس الوزراء قبل الثورة وبعدها عدة مرات .

(٣) في لقاءات المؤلف معها بتاريخ ٢٥—١—١٩٧٦ وما اعقبه ، ولقد ذكرت السيدة ان والدها البمباشي (المقدم) كامل علي ، وهو ضابط بارز في الجيش العثماني قد قتل قبلة في الكوت عام ١٩١٧ اثناء زحف — مود — باتجاه بغداد وذلك بفعل خيانة القائد العثماني الذى حصل على رشوة .

عوائلهم ، لم يكن بمقدوري الرحيل معه الى المجهول نظرا لاصابة طفلي الرضيع — معد — بمرض كنت اخشى معه ان يلقى الموت في اية لحظة ، فعدت ادراجي الى بغداد ، لاادري شيئا عما حل بزوجي واخوانه ولاعيش حياة الجحيم والاضطهاد الذى لايصدقه عقل على يد — نوري السعيد — وزبانيته بعد ان وصل به الامر الى حد الاخذ باقوال النسوة من انني ارمي اغتياله انتقاما لزوجي ان فتك به ، فكانت عمليات التفتيش المتواصلة على يد الشرطة العلنية والسرية بشتى المعاذير الواهية وبهدف الارهاب والتخويف ، وفرض مراقبة على داري وقطع التلفون وحتى سحب مفتاح سيارتنا الخاصة .

«في هذا الجو الخانق القاتل ، سرت في بغداد اشاعات عن ان المعتقلين ، الذين يفترض انهم اسرى حرب لدى الانكليز ، قد استقدموا لغرض تقديمهم الى المحاكمة مجددا ، بعد ان صدرت احكام الاعدام والسجن بحقهم غيابيا من جانب المجلس العرفي العسكري برئاسة العقيد مصطفى راغب ، لم اعرف ماذا افعل في ظل الانباء المحيرة المتناقضة الى ان جاء من اشعرني ، وبعد مرور اسبوعين ، ان بمقدوري مقابلة زوجي في معتقل — ابي غريب — ولكن بعد الحصول على موافقة خطية من رئيس الوزراء نفسه ومن امر المعتقل ، اثرت عدم اصطحاب الاطفال معي لانني لم اكن ادرى ما ال اليه حال قريني ولعدم رغبتي في احتمال تعرضهم لتجربة قد تؤدى الى اصابتهم بعقد نفسية ، وانا التي طلب مني والدهم



— من اليمين — الكيلاني والمفتي الحسيني والشهيد فهمي سعيد في صوره التقطت في مجلس الوزراء ايام حرب مايس .

ان اكون وصية عليهم اقوم بتربيتهم واعدادهم لخدمة الوطن ، وكفاهم ماحل بهم من كوارث ومصائب .

«توجهت الى معتقل — ابي غريب — فهالني ما وقعت عليه عيناي اذ كان المبنى ، وهو اسطبل للخيل ، محاطا بالاسلاك الشائكة والجنود المدججين بالسلاح بحيث ان الانسان يشم رائحة الحرب من المشهد . دخلت المبنى ، وارشدني احد الضباط الى زنزانة فريني ، وعندما فتح الباب برز امامي ببدلته المدنية وقد كبلت يداه وساقاه بالاصفاد الثقيلة خلافا لجميع القوانين والاعراف الانسانية ناهيك عن الشرائع السماوية ، لاحظت ان وزنه قد خف ، اما — الاثاث — فلم يتجاوز سريرا صدئا ، وصفيحة وضعت في احدى زوايا الزنزانة لقضاء الحاجة ، وصفيحة اخرى مليئة بالماء الخابط من احدى المجارى القريبة لغرض الشرب . استطاع زوجي النهوض من السرير بصعوبة وذلك بفعل ثقل اغلاله ، وبعد التحية لاحظت ان ضابطا قد اتخذ له مجلسا عند طاولة صغيرة وشرع بتدوين كل كلمة تصدر منا في سجل خاص امامه . كان فريني في غاية الثقة بربه ونفسه وفي الذروة من الروح المعنوية اذ بادرني بالقول : اعتقد انك تتذكرين عندما كنت اردد على مسمعك ان الموت على السرير مريح ، وكان رد فعلك الانزعاج فاغير موقفي واقول : لا حاجة للخوف من هذا لانني لن اموت في فراشي ، لقد كنت اهيئك لهذا اليوم . انهم جاؤوا بنا الى بغداد للقضاء علينا وارجو الا يدور في ذهنك غير هذا . كل ما اريده الا تحزني ، ولا تذهبي لرجاء اى كان مما يحط من قدرك . ارجو الا تبكي علي لان موتي لن يلطخكم بعار ولانني لست مجرما ، فلقد اديت واجبي تجاه وطني ، ان ضميرى مرتاح ، ضحيت بك وباولادى واعتقد ان هذه التضحية هي اعظم ما يتطلبه مني الوطن» .

مضت السيدة الصابرة الى القول : «في المرة الثانية ، امر — نورى السعيد — على منعي من زيارة المعتقل امعانا منه في اضطهادى وذلك بان قامت قوة خاصة من الشرطة باحتلال بيتي ومنع كل احد من الاتصال بي ، ولم يسمح لي ، بالمغادرة الا لزيارة طبيب ، اكتفيت بارسال — طارق — نجل الشهيد الاكبر بعد ان شددت عليه ان يخبره بانني مصابة بمرض يحول بيني وبين القدوم وان كنت ، في قرارة نفسي ، مؤمنة بانه لن يصدق ان قوة في الارض ، او ان عائقا من اى نوع كان سيمنعني من الذهاب اليه ، وبعد مدة توسط احد رجال الخير ، فرفع الحظر وانسحبت الشرطة الى خارج الدار وان ظل شرطي سرى يلاحقني في حلي وترحالي .

«تكررت الزيارات حتى حل يوم ٤ مايس ، ١٩٤٢ عندما علمنا ان الاحكام بحق المعتقلين ستصدر . ومع ادراكي التام ان قرارات الاعدام متخذة ومعدة وان المحاكمة لم تكن سوى مسرحية ومهزلة ، الا انني ،



في حفل للفروسية اشرف عليه محمود سلمان : الشهيد في الوسط الى يسار الملك غازى.، ويبدو في الصورة نورى السعيد — الثالث من اليسار — وناجي شوكت ، اما — عبد الاله فهو الطويل القامة — الثاني من اليمين — .

وهذا امر مفهوم ، لم افقد الامل اذ لم اصدق انني ، والوطن ، سنفقد — محمود سلمان — و — فهمي سعيد[1] — و — يونس السبعاوى — لانهم لم يرتكبوا عملا يستحق هذه القسوة ... وظل الامل وامتد الرجاء .

«اصطحبت والدة — يونس السبعاوى — وزوجته وطفليها بسيارتنا الى المعتقل لكننا وجدنا الابواب موصدة وقد انتشر الحرس بوضع الانبطاح في كل مكان ، علمنا ان المعتقلين لم يعودوا بعد من معسكر الوشاش حيث ينعقد المجلس العرفي ، ولما مللنا من الانتظار القاتل وجدنا انفسنا مجبرات على الجلوس فوق حجارة كانت هناك ، وفجاة بدا في الافق مايشبه موكبا عسكريا ، ان لم يكن موكبا بكل ما في هذا القول من معنى . اقتربت منا سيارات حراسة ، تلتها سيارة السجن العسكرية وهي محاطة من الجانبين والخلف بسيارات حراسة اخرى وقد اشهر الجنود اسلحتهم وكانهم متوجهون لمقاتلة عدو . فتحت ابواب المعتقل ولم يسمح لنا بالاقتراب من المعتقلين الذين انزلوا من السيارة واحدا واحدا واقتيدوا الى زنزاناتهم وهم مثقلون ، بالاصفاد من ايديهم وارجلهم» .

«علمنا ان احكام الاعدام قد صدرت بحق تريني و — فهمي — والسبعاوى والسجن بحق — علي محمود — و — امين زكي — رئيس اركان الجيش حتى انتهاء ثورة مايس ، وان — صديق شنشل — قد نال

---

(١) وصفت السيدة — مديحه — الشهيد — فهمي سعيد — بانه الذكاء بعينه وانه داينمو — محرك — الحركة وجدير بتاليف كتب عنه .

البراءة . لم نعرف ماذا نفعل ، وبعد ان ادركنا انه لافائدة من الانتظار قررنا الانصراف ، ومع ذلك لم يدر بخلدنا مطلقا اننا سنستدعى الى المعتقل مرة اخرى خلال ساعات لنلقي على احبتنا نظرات الوداع الاخيرة» .

«اثناء عودتنا الى بغداد ، قالت لي والدة — السبعاوى — التي اوشكت على ان تفقد وعيها ورشدها من هول الصدمة على وحيدها الذى انشأته بشق الانفس والويل بعد ان فقدت ثلاثة عشر اخا له من قبل ، قالت بانها تريد النزول عند قصر الرحاب لتناشد الملكة — نفيسة — والدة — عبد الاله — لعلها تتشفع لابنها لديه . حاولت نصحها بانه لارجاء او فائدة من ذلك غير ان كلامي لم يترك اثرا على قرارها ، فقد خرجت عن طورها نهائيا ، اوقفنا السيارة عند منعطف في الشارع العام ، ونزلت الام الملتاعة وهي تهرول نحو بوابة القصر ، رافعة يديها الى السماء ،وتصرخ باعلى صوتها — انت (تقصد نفيسة) عندك واحد ، وانا عندى واحد — مكررة نفس العبارة بشدة متزايدة ، وما ان اقتربت من البوابة حتى تحشد الحراس على شكل سور ومنعوها من الدخول ، ومن الطبيعي ان الضجة عند البوابة ، وربما صراخ الام المفجوعة ، قد ترك صداه داخل القصر فخرجت نساء العائلة المالكة الى شرفة — الرحاب — يتفرجن على المشهد الرهيب الذى يفتت قلوب الحجر ولكن ماذا فعلن ؟ كن يتضاحكن متشفيات بالعجوز التي فقدت عقلها» .

«في غضون ذلك اقترب موكب — عبد الاله — الرسمي عائدا من الدوام في البلاط ، وعندما وقعت عيناه على ما يجرى امامه ، اوعز الى السائق بتغيير مساره والدخول من باب اخر ، غير ان والدة — يونس — ادركت الموكب اثناء تحوله ، فلما القت نفسها على سيارة الوصي كان نصيبها ضربة على جانبها الايمن اوقعتها ارضا فهرعنا اليها وسحبناها الى سيارتنا وهي في تلك الحال ، ولم ندر انبكي عليها ام نذرف الدموع ، ان بقيت دموع ، على انفسنا ومن اجل رجالنا الذين اوشكت حبال المشانق ان تلتف حول رقابهم» .

«لم تشأ الوالدة المفجوعة العودة الى بيتها ، وماذا تفعل هناك ؟ وطلبت مني التوجه الى مرقد احد الاولياء حيث اقتحمت المسجد وشقت طريقها وسط المصلين ، الذين غمرتهم الدهشة وانعقدت السنتهم لهذا المشهد الذى لم يسبق له نظير وهي تولول وتصرخ وتنتحب وتلطم على صدرها ، ولما ذهبت المفاجأة عن المصلين هبوا من صلاتهم وشاركوا والدة — السبعاوى — دعاءها واستنجادها حتى ضج المجلس بصوت ارتفع الى عنان السماء» .

« وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة ، سمعت طرقات على الباب ، ولما فتحته ، وجدت امامي لفيفا من رجال الشرطة في سيارة مدنية طلبوا مني مرافقتهم الى مكان لم يحددوه ، اصطحبت ـ طارقا ـ معي وسرنا في غمرة الليل البهيم ، وكم كان عجبي بالغا عندما اتجهت السيارة نحو ضاحية الكاظمية ، شمالا ، ثم ابتعدت عنها في البرية الموحشة التي امتدت امام ابصارنا دون ان تكون لها نهاية . لم ادر الى اين نتجه وماذا كانوا يريدون بنا . السجن ؟ النفي ؟ القتل ؟ لا جواب» .

«وفجاة وجدت نفسي امام المعتقل الذى غرق في الاضواء بينما تحول لكثرة السلاح والجند[1] الى ترسانة مسلحة . ولجنا الى الداخل واقتادنا الحرس الى زنزانة الشهيد ، الذى كان مستلقيا نصف استلقاء على السرير اذ ظلت القيود التي رايتها عند الظهيرة عندما اعادوه من معسكر



الشهيد عبد القادر الحسيني : ساهم في وضع خطه انتحاريه لانقاذ ابطال مايس من المشانق .

---

(١) اكدت السيدة ـ مديحة ـ للمؤلف ان الحرس في الداخل كان من الجنود الهندوس وذلك من لحاهم وعمائمهم وليس ـ الفوركا ـ كما سبق وان اخبرت الاستاذ الحسني في «الاسرار» .

الوشاش على حالها ، لذا كان عاجزا عن الحركة والحديد يسبب له الالم ، وقد ادركت ذلك لانه كان يتململ وهو بملابس النوم وقد نفذ الحكم به وهو على هذا الشكل . ظل الباب مفتوحا حيث وقف عنده ضابط مسلح ولكن دون كلام ، وعندما اغلق ــ طارق ــ الباب ، سارع هذا الى فتحه ، وتكرر الامر ثانية .

«نظر قريني الينا بعينين تشع منهما الصلابة والعزم ، ووجه كلامه لي : اوصيك باولادى ، وكوني لهم الاب والام ، لاتجزعي من مصيرى ، ولا يمنعك ذلك من دفع اولادى الى خدمة وطنهم والتضحية من اجله لان الزمن سيتغير ولا يمكن ان يبقى بهذا الشكل ، ولابد ان يأتي اليوم الذى يقدر فيه الناس التضحيات ، لاتقفي في طريقهم ، بل ادفعيهم نحو خدمة الوطن والتفاني في سبيله » .

«وفي غضون ذلك ، وقف شعر راسي نجأة ، سمعت دقات رهيبة ، كانت تلك مطارق النجارين الذين يقيمون المشانق التي سيعلق عليها زوجي في اية لحظة ، شعرت ان هذه المطارق تدق فوق راسي انا . ومن يومها لم تنقطع تلك المطارق عن الدق فوق راسي ليلة واحدة طيلة سبعة عشر عاما (حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) ، وكنت احلم بها كل ليلة ، كانت كابوسا انزع منه كل ليلة ، كنت اشعر ان وحشا ضخما يمسك هذه المطارق ويدق بها فوق راسي . ولكن كل هذه المطارق توقفت يوم ثارت بغداد» .

«وفي الصباح اعدم زوجي وزميلاه ، ويقول الذين حضروا تنفيذ الحكم ، ان البشرية لم تشاهد قلوبا متحجرة كقلبي عبد الاله ونورى السعيد (رئيس الوزراء) اللذين حضرا تنفيذ الحكم بنفسيهما مع السفير البريطاني» .



الشهيد يونس السبعاوى :
ضربت سيارة عبد الاله والدته واسقطتها ارضا قبل ساعات من اعدامه .

«ان وحشية عبد الاله وحقده على الشعب العراقي ظهرا واضحين في ذلك اليوم . امر بتنفيذ حكم الاعدام في الشهيد محمد فهمي سعيد مرتين .. وضعه الجلاد على المشنقة ، وشد الحبل ، وسقطت جثة الشهيد ، وانزلوه من المشنقة ، تقدم الطبيب للكشف عليه فوجد ان دقات قلبه ما زالت مستمرة . قال الطبيب انه يستطيع ان يحقنه فتقوى دقات قلبه ويعود الى الحياة ، ولكن عبد الاله رفض وامر الجلاد ان يحمله ويعلقه في المشنقة مرة ثانية . ونفذ فيه حكم الاعدام مرة ثانية»[1] ..

«وكان يومها بداية العذاب في حياتي ...»[2] ان قرينة الشهيد ، وهي في ذروة انفعالها بعد انتقام ثورة تموز لزوجها ورفقائه وقضيتهم قد نسيت ان العذاب الحقيقي حل قبل ذلك بوقت طويل ، منذ ان نذر — محمود سلمان — نفسه وحياته لتلك القضية .

شاهد اخر ، — طارق — نجل الشهيد : «بعد منتصف ليلة ٥—٥—١٩٤٢ حيث كنا انذاك انا ووالدتي واخواني نهب هواجس مرعبة للجو الملبد بالدم الذى كان يسيطر على محاكمة والدى والشهيدين يونس السبعاوى وفهمي سعيد السرية ، بعد منتصف هذه الليلة التي لن تنمحي من مخيلتي ابدا .. جاءت فصيلة من الشرطة الى الدار تحملها سيارة اجرة لكي لا تثير انتباه الشعب وسخطه[3]... » .

---

(١) كان الدكتور اليهودى — اسحق اختينه — طبيبا في السجن المركزى انذاك ، وقد اشرف بنفسه على اعدام الشهداء الثلاثة ، وحينما جس نبض المرحوم فهمي سعيد ، اشار الى القائمين بالعملية بانزاله على انه متوفى ، وعلى الارض عادت الحياة الى الشهيد فشهق شهقة كبيرة وهنا صاح — اختينه — .اعيدوه . فشنقوا — فهمي — ثانية.

نقلا عن المرحوم عبد الله الحداد الذى نصب المشنقة في حديث مع السيد طاهر البياتي المسجون حينئذ في السجن المركزى على اثر احداث ثورة مايس ١٩٤١ .

— من مقابلة المؤلف معه في ٤—١١—١٩٧٥ .

(٢) اخبار اليوم القاهرية في ١٩—٧—١٩٥٨

(٣) شعرنا مساء ذلك النهار ، بوجود حركة غير اعتيادية في السجن فاعتقدنا بان حكم الاعدام سينفذ في السجن المركزى ، كما تقضي العادة فاتفقنا ، انا والشهيد عبد القادر الحسيني والعقيد السجين عبد الوهاب الشيخ علي وحمود البريس السعدون وعدد اخر من الضباط والمدنيين على ان نقوم بحركة تهدف الى مهاجمة مشجب السلاح بالاتفاق مسبقا مع جماعة في الخارج وذلك على شكل عملية انتحارية لانقاذ الشهداء الثلاثة غير ان مديرية السجن شعرب بذلك ، كما يبدو ، فتقرر نقل المشانق الى سجن — ابي غريب — مع تشتيتنا على مراكز الشرطة المختلفة في بغداد وخارجها .

السيد طاهر البياتي

«طرق الباب طرقاتوقحة ، اسرعت انا ووالدتيالى الباب وسألت :
— ماذا تريد ؟
— يريدكم هناك ... البيك (الوالد) داز عليكم (يريدكم) .
— ولماذا يرسل علينا بعد منتصف الليل ؟
— راح يسفروهم وهو يريد توديعكم ....

لقد كنا الى تلك اللحظة لانهضم فكرة الاعدام لا لاننا كنا نستبعد صدور خيانة جديدة من حكام بغداد انذاك بل لاننا كنا ندرك ادراكا عميقا ان والدى لم يقترف جناية تستحق الاعدام او خيانة تستوجب قتله اللهم الا اذا كان حب الوطن والنضال من اجله يعد خيانة .

«كان هذا ما يجول في خاطرنا نحن جميعا ، ثم جاءت اللحظة الاثمة التي برهن فيها عبد الاله على انه معين لاينضب من الخيانات .. »

الواقــع المــر

«في الساعة الثانية والنصف من بعد منتصف هذه الليلة ، غادرنا انا ووالدتي تاركين وراءنا اخوي الصغيرين ، المغيرة وعمره ٤ سنوات ، ومعد وعمره حوالي السنة ونصف السنة اللذين كانا نائمين لا يعلمان بما يخبئه القدر واكون اكثر انصافا عندما اقول ما يخبئه لهم اعداء القدر[1] .. »

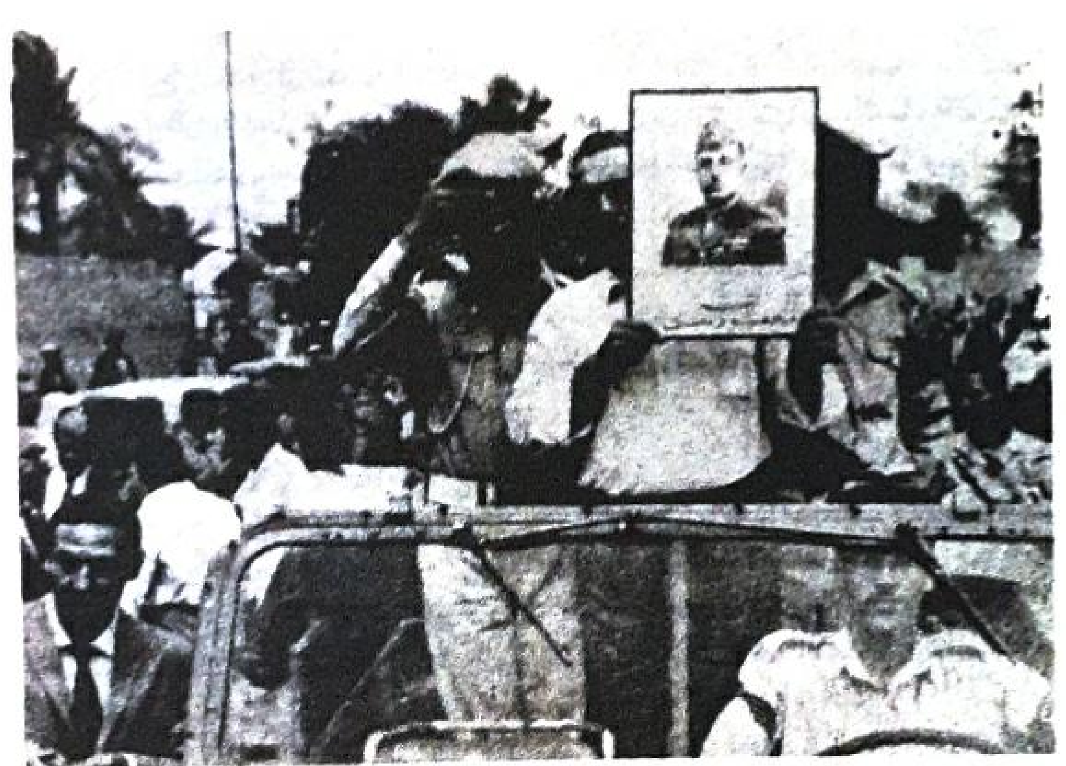
«سارت بنا السيارة في الليل الموحش الكئيب ، الشوارع خالية والطرقات مقفرة والهواجس التي كانت تصخب في اذهاننا وعروقنا تنفخ في الشوارع المطواة انفاس الموت الذى اوشك ان يحمل الى بغداد اكبر فاجعــة» .

«وصلنا الى معتقل ابي غريب ، كانت الامارات والدلائل تقربنا من الواقع المر شيئا فشيئا . كانت الاضواء مشتعلة كأنما عرسا في طريقه الى سجن عدو الاله ، وتحت كل شجرة كان يقف جندى مدجج بالسلاح ، ورغم كل هذا فقد اودعت السماء الحزينة كآبة خرساء في المعتقل وحومت الطيور على الرؤوس وانفغرت الافــواه من فرط خيانــة — الواجب — القــذر ... »

«فتشنا بعض الضباط وكانت اذ ذاك اصوات مطارق بليدة رعنــاء تنهال على الحديد وعلى رؤوسنا انا وامي التي ما شهدتها بمثل شجاعة

---

(١) السيدة — مديحة — هي زوجة الشهيد الثانية . اقترن بها عــام ١٩٢٣ بعد خمس سنوات من وفاة زوجته الاولى التي انجب منها ولدين هما — طارق — و — عدنان — ومن السيدة — مديحة — ولدين ايضا هما — معد — الطبيب حاليا و — المغيرة — .



عام ١٩٧١ : اعيد دفن رفات ابطال مايس في جامع الشهداء بام الطبول وسط تكـريم رسمي وشعبي كامل .

ذلك اليوم ، كنا نعرف ماذا يعني الطرق ولم نحاول ان نبدى ضجرنا لئلا يشمتوا بنـــا . . . »

« سرنا وسط مجموعة من الجنود الى غرفة والدى ووجدنا ضابطا مسلحا يقف عند باب الغرفة ولمحنا والدى موثوقا بالحديد من يديه ورجليه وجذعه ، وكانت تلك اللحظة كافية لان تدعنا نشعر بالالام التي كان اخوة والدى ، السبعاوى وسعيد يعانون منها ايضا . . . . »

اصوات المطـــارق

« قلنا لوالدى والمفاجاة تكاد ان تعقد لساننا :

ــ هل صحيح انكم ستسافرون . . . والى اين ؟

قال وهو يبتسم ابتسامة هادئة حنونة :

ــ سوف اسافر كما كنت اقول لكم منذ البدء ، الا تسمعون اصداء المطارق بل اصوات المطارق لتهيئة المشانق . انهم يعدون كل شيء لقتلنا ، لاتتاثروا ابدا . اني سالاقي ربي وانا مرتاح الضمير ، وثقوا بالله باني غير نادم على كل عمل قمت به من اجل وطني واني منتظر هذه النتيجـــة فكونوا مثلي ولا تحزنوا ابدا . وهذه ارادة الله ولا مرد لارادته ومشيئته .

ارتميت عليه ورحت احتضنه بعنف وانا انشبح بالبكاء ، وحاول هو ان يضمني الى صدره فلم يقدر لان القيود والسلاسل في يديه منعته مـــن ذلـــك .

واعلن الضابط انتهاء المقابلة التي لم تدم اكثر من ربع ساعة ....
اما والدى فقد كان رابط الجاش ، قوى الجنان ، يشجعنا ويواسينا لكي نتحمل المصاب الجلل ، وكان خلال ذلك كله يبتسم ابتسامة هادئة حنونة دون ان تذرف عيناه قطرة واحدة من الدمع وهو يرى دموع ولده المنهمرة على وجهه وصدره ... لقد كانت ابتسامة في الوداع الاخير تخفي وراءها كل معاني الفارس العربي البطل من شجاعة ورجولة منقطعة النظيـر .

وقد بدأ يتجمع في راسي عالم من الثار ، وظل الامـل الكبير يعيش معي حتى ١٤ تمـوز الخالد الذى وضع حدا لذلك الانتظار الذى كان يسلبني نعمة الحياة والاستقرار منذ الساعة السـادسة من مسـاء ٥ــ٥ــ١٩٤٢ عندما اذاع راديو بغداد خبر تنفيذ حكم الاعدام في الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم في والدى وصحبه الشهداء الابرار»[1] .

طوت القبور معظم اولئك الذين عاشوا المأساة في تلك الليلة الباكية، غير ان اقربهم الينا من حيث الوثائق التاريخية هو ــ علي محمود الشيخ علي ــ وزير المواصلات والاشغال في حكومة ــ الدفاع الوطني برئاسة الكيلاني ــ ابن ثورة مايس والذى حكم عليه بالسجن سبع سنوات اذ يقول : «في مساء اليوم الذى صدر فيه الحكم حضر ضابط من السجون ليبلغ المحكومين بالاعدام بصورة الارادة الملكية بالتنفيـذ وطلب اليهم ان يبينوا ماذا يريدون وبمن من اقاربهم وذويهم يتصلون ويتحدثون وما اذا كانت لديهم وصايا يوصون بها وقبل حضوره بساعتين كان قد احضر احد العارفين بوضع الحديد والسلاسل فقيد بها ارجلهم كما ان ايديهم كانت قد غلت بالحديد منذ ان صدر الحكم عليهم فاوصوا بما اوصوا وطلبـوا مقابلة اقاربهم الذين ذكروا للضابط اسماءهم ، وبعد ساعتين كان هؤلاء في غرفة المحكومين . لم اكن معهم ولم يكن ميسورا لاحدنا ان يختلط بالاخر ويتقرب منه فلا يسعني وصف المقابلات ولكنها على كل حال كانت مقابلات مؤثرة حزينة وقد كنت اسمع باذني بكاء السيدة عقيلة محمود سلمان لان غرفته كانت اقرب الغرف الى غرفتي ، وكنت اسمع من غرفة السبعاوى صوت طفله الصغير هاني وهو يداعب اباه ولا يدرى ماذا سيحل به وبابيه بعد ساعات وان صوته الملائكي الرقيق قد اثار في لواعج الالـم وكوامن الاسى وافاض من دمعي الدمع الغزير ولم اكن من قبل بالرجل الـــذى يتغلب عليه الضعف ويصرعه الفزع ولكن الاطفال المعصومين بدعاباتهم في ساعة الفجيعة وضحكاتهم وبسماتهم وسط المأتم وجهلهم البرىء بما فيه اهلهم ومعيلوهم من عناء شديد وخطر اكيد ينتزعون الدموع انتزاعا مـــن

(١) جريدة الزمان ــ البغدادية في مقابلة مع ــ طارق ــ نجل الشهيد في ٣٠ــ٨ــ١٩٥٨ وكذلك في لقاء للمؤلف معه بتاريخ ١٦ــ٣ــ١٩٧٦ .

العيون التي لم تألف البكاء ويستدرون العطف حتى من اغلظ القلوب ومبعث هذا الحق وهذا العطف هو عدم ادراكهم فداحة المصاب وعدم شعورهم بأثر الفجيعة وخطورة النكبة وبساطتهم وسذجابهم فيما يقولون وما يفعلون .

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل وفي هدوء الليل وسكونه حضر الموكلون بالتنفيذ ، فاخرجوا المحكومين من غرفهم بعد ان قام كل منهم بالفروض الدينية وبعد ان لبسوا في رؤوسهم اكياسا سودا ومروا من الممر الذى تقوم على جانبيه غرفنا يقود كلا منهم مستخدم من مستخدمي السجون وهم يرسلون خطاهم ارسالا كأنهم ليسوا سائرين الى الموت وانما لتأدية واجب فرضه عليهم وطنهم المحبوب فالمشهد بقدر ما هو اليم وحزين فانه كان رائعا يرفرف عليه الوقار والاحتشام وقد استطعت ان اراهم في موكبهم المهيب من ثقب الباب الموصدة علي وقد تملكني الاعجاب وغمرتني موجة عنيفة من الاعتزاز ببطولتهم لما لاحظته فيهم من رباطة جأش وثبات جنان وقوة ايمان .

وقضيت الليل ساهرا ، تارة افكر بنتائج هذه الاحكام القاسية فاجزع ، وطورا اشاغل نفسي بالعاب منوعة بالورق لعلي انام فاهجع الى ان ذر قرن الشمس وغمر الفضاء شعاع احمر وقد علمت اخيرا بان محل اعدامهم كان في ظهر البناية التي كنا نشغلها وكان من جملة الحاضرين مدير السجون العام وممثل عن المحكمة العسكرية العرفية وكان كل من سمو الامير (عبد الاله) وفخامة السعيد حاضرا عملية التنفيذ بصورة متنكرة وكان المتكلم من المحكومين هو العقيد محمود سلمان ، كنت اسمع صوتا من بعيد اثناء عملية التنفيذ ولكنني لم اكن اميز عبارته واتفهم كلماته ، ولما سألت عن صاحب الصوت قيل لي ان هذا الصوت صوت محمود سلمان وانه كان قد اعلن للجمع المحتشد حول المشانق المنصوبة بان كيان الامم يشيد على جماجم شهدائها .

وان كيان العراق سوف يشيد على هذه الجماجم وبعد ان هتف بحياة العراق وحياة العرب اسلم الروح راضيا مرضيا[1] » .

غمر الكون صمت هائل ، فهذا هو كل مانعرفه عن تلك الليلة المفجعة وكل ما يمكن ان يقع بين يدى المؤرخ الذى لابد وان تنتصب امامه اسئلة عديدة : ترى هل دون الشهيد شيئا بخط يده ؟ ايمكن ان يصل الى

---

(١) علي محمود الشيخ علي : محاكمتنا الوجاهية ، منشورات دار المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

علمنا عن طريقه شخصيا ما حل به منذ ان وقع ورفقائه بايدى الانكليز في طهران حتى اعيدوا الى بغداد ليجابهوا العذاب الذى لايصدقه عقل والموت على ايدى جلاديهم الخونة ؟ كيف جرت محاكمتهم وما هو رد فعلهم، ومنهم محمود سلمان ، تجاه المحكمة واحكامها سيما وان ذلك تعرض الى التزوير في الصحف الصادرة ذلك الحين ومن جانب اناس مرتزقة لدى الانكليز والحكم الملكي ؟ كيف استعد الشهيد لملاقاة ربه ؟ ماذا ترك خلفه ؟ امن الممكن انه كتب ، وابلغ احدا في السجن ، وصية عن عائلته وللامة العربية التي دفع حياته ثمنا من اجل حريتها ووحدتها وقضيتها العادلة ؟ ماهي مشاعره تجاه رفاقه ؟ أكان حقا على ذلك العزم والصمود كما جاء على لسان قرينته ونجله وغيرهما ؟ تساؤلات ظلت دون اجابة سوى الصمت والغموض الرهيبين . . .

الأفول المشرف



ايها الانجم التي قد رأينا
ان هذا الافول كان شروقا
وسيأتي الزمان منه بسعد
شنقوكم ليلا على غير مهل
الكاتوا في ظلمة الليل تجرا
هكذا الخائف المريب يواري
شنقوكم لانكم قد جعلتم
شنقوكم لانكم قد ابيتم
فاستحقوا اللعن الذي كررته
سيديهم الزمان لعنا عليهم

★ ●

ايها الانجم التي ركتنا
في سبيل الاوطان متم ففزتم
وستبقى الذكرى لكم ذات رمز
وسيجري احترامكم في مجالي
ان يوما به نعيتم الينا
قد حكاها طولا وشؤما وبغيا
فيه لبدت منا الوجوه كلوحا
الا سكتنا وفي القلوب ارتجاج
واقفا عن الكلام سكوتا
ووجنا حزنا ورب وجوم
يرث لمة المروءة منا

عبرا في افولهنا كالشموس
في دياجير طالع منحوس
تنجلي منه داجيات النحوس
ثم دسوا جسومكم في الرموس
هربوا المال من جباة المكوس
فعلة السوء منه بالتغليس
علم الجيش غيرما منكوس
ان تكونوا في ربقة الانكليس
خاليات القرون في ابليس
شائع الذكر في بطون الطروس

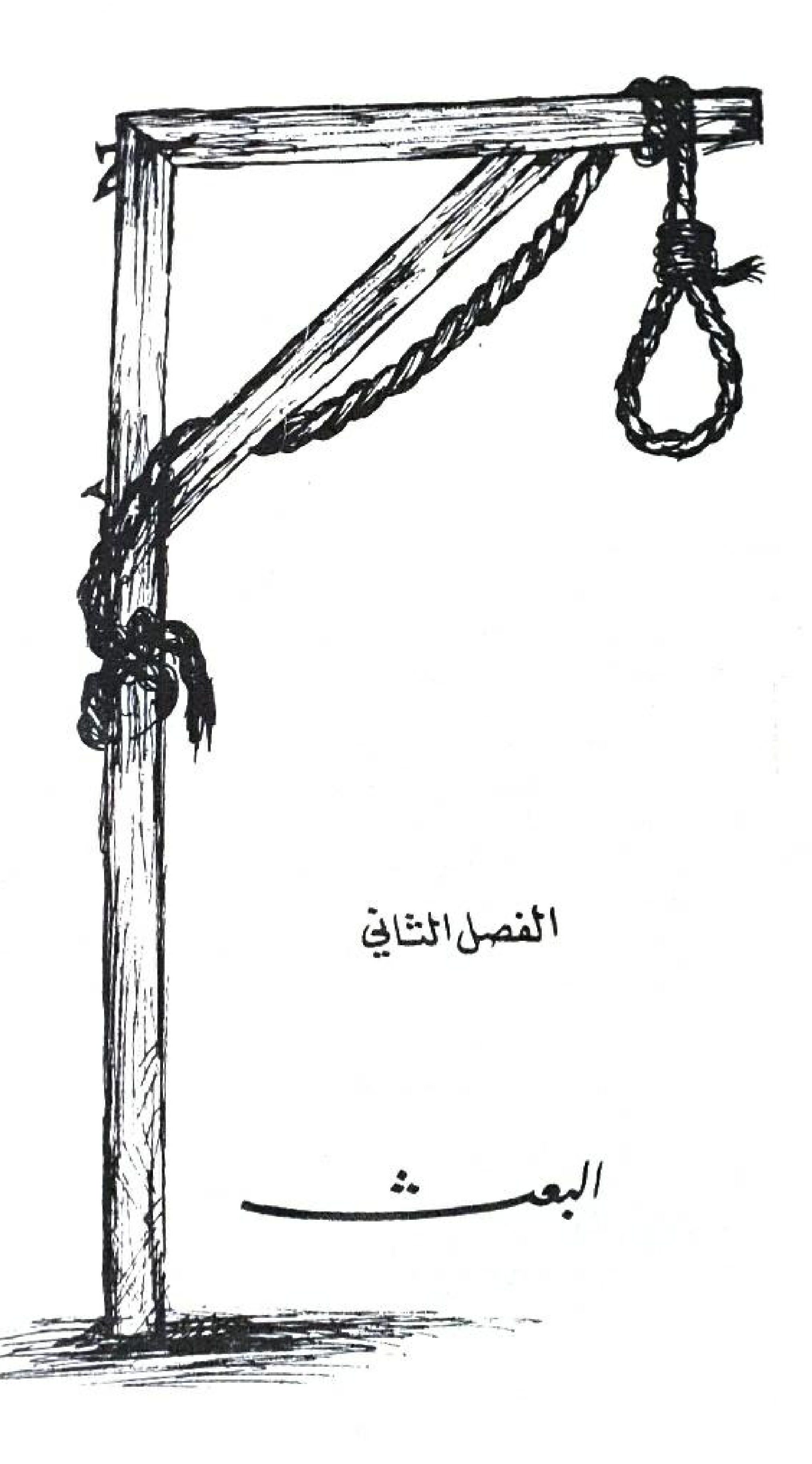
★

في اسى من وصابها محسوس
باجل التمجيد والتقديس
هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
شرف خالد لكم قدموس
يوم بؤس كحرب يوم البسوس
وتلظ بحر نار المجوس
في شحوب وغيرة وعبوس
مثل تيار لجة القاموس
معربا عن نشيجنا المهموس
يتأتى من صاعبات النفوس
ان نسى يوم شنقكم او تنوسي

معروف الرصافي

نظمها في رثاء شهداء الجيش العراقي الأحرار الذين ثاروا على الاستعمار عام ١٩٤١ وأعدمهم الخائنان عبدالاله ونوري سعيد يوم ١٩٤٢/٥/٥ ـ وهم محمد فهمي سعيد ومحمود سلمان ومحمد يونس السبعاوي من قادة الحركة التحررية في العراق





الفصل الثاني

البعــــث

كان ــ حطاب السوداني ــ الموظف في مديرية الاثار العامة قد تخرج من معهد اللغات اثناء عمله وقد ساعده ذلك على توسيع نطاق معرفته لعدد من اللغات الاجنبية وزيادة ولعه بها ، اضافة الى تعمقه في دراسة الامور الدينية حتى انه كان يدخل في احاديث طويلة مع المختصين في هذه المسائل الامر الذي كشف للملأ مدى تبحره وثقافته في ذلك المجال ، مجرى ترشيحه ، وهو شاب ، لتدريس ما ولع به في كلية الفقه في النجف الاشرف .

وبحكم هذا الواقع ، كان ــ حطاب ــ يجمع الكتب الدينية والتاريخية والقواميس حتى تكونت لديه مكتبة صغيرة زاد عليها بان اقتنى بعض الوثائق والمذكرات الشخصية التي حصل عليها من هذا الصديق او ذاك الزميل . ولقد قدر لهذه الهواية ان تضم المكتبة المذكورة سرا رهيبا سيؤدي اكتشافه ، عن طريق الصدفة المحضة ، الى مفاجأة لم تخطر ببال احد على الاطلاق .

تحولت مكتبة ــ حطاب ــ الى واقع متحرك ، نظرا الى ان صاحبها ووالدته العجوز وشقيقته التي افترقت عن قرينها ، وهو ابن عمها ، لخلافات طارئة ، كانوا يقطنون في بيوت مستأجرة من حي الى اخر في سائر ارجاء بغداد ، ورغم ذلك ظل السر محفوظا بين اكداس الكتب دون ان يفقد او يضيع رغم ضآلة حجم الدفتر الذي يحتويه ، وكأن عين القدر الالهي كانت ترعاه وتحفظه ، او هو هذا الواقع فعلا ، حتى يصل ايدي اصحابه الشرعيين فينصف صاحبه وتذاع الحقيقة على الناس بعد ثلاثة وثلاثين عاما من ارتقائه اعواد المشنقة في الخامس من مايس ، ١٩٤٢ وهو يوجه نظرات الاحتقار نحو جلاديه ويصب عليهم لعنات العار وينذرهم بحتمية المصير في صبيحة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ عندما تلاحمت قوى الجيش والشعب وانطلقت في اعصار كاسح دمر في غضونه الجلادين والخونة ومسح الارض باجسادهم ومزق نظامهم الارهابي وكأنه بيت من ورق .

موت غامض

تطور مفاجيء ، فقد خرج ــ حطاب من داره في صباح احدى الجمع متوجها اما لزيارة صديق او للنزهة ، انقضى النهار باكمله واعقبه الليل ونهار اخر ولم يعد صاحب الدار الى عائلته الا على شكل جثة هامدة فقد قتل في حادثة ما . وفي خضم النحيب والبكاء ، لم تصدق والدة ــ حطاب ــ الفقيد انه قد مات او انها لم تكن مستعدة لتقبل الامر الواقع القاسي فتحولت مكتبته ، وعلى وجه الدقة مجموعة الكتب والقواميس والدفاتر ، الى رمز للغائب العزيز فتعلقت بها الوالدة المفجوعة الى حد لايصدق حتى انها كانت تنفق عليها الكثير من وقتها وبلغ من حرصها على محتوياتها انها

لم تسمح بفقدان ورقة واحدة منها رغم ان ظروف الحياة الشاقة اجبرتها ، وابنتها ، ذات يوم ، على الاقامة في بيت مستأجر ، هو الاخر ، في النجف الاشرف على مقربة من مثوى فلذة كبدها الذى نكبت به بعد ان كان موئل الرجاء والامـــل .

تنتمي الاسرة الى فخذ من قبيلة ــ كنده ــ العربية ، لذا فاستجابة للتقاليد والاعراف العشائرية ، وبسبب من بقاء ام ــ حطاب ــ وشقيقته في تلك الحالة المفجعة ، فقد استجاب زوجها الى نداء الشهامة ، سيما وان الخلافات بينهما قد اندفعـــت الى الظـــل بفعل الزمـــن وتحت تأثير الكارثة ، فتم الوفاق ، وقطن الثلاثة في دار مستأجرة في منطقة الثعالبة ، شرقي بغـــداد .

ظل الزمن يغذ السير نحو المجهول ، والعائلة السودانيّة تعاني من ثقل الايجار الذى ارغمها على الانتقال الى دار قريبة اخرى ، فطن الزوج الى المكتبة التي تحولت الى ثقل لا حاجة له به خاصة وانه ليس بالشخص الذى يمتلك اهتمامات ابن عمه الراحل ، فاستطاع ، بعد لاى ، اقنـــاع والدة ــ حطاب ــ بوجوب فسح المجال امام انتفاع جهة ما ، كأن تكـــون جمعية خيرية ، بالمحتويات ، ولسبب ما خطر بباله ان اخـــــاه ــ عبيد السوداني ــ الموظف لدى الدولة ، له هو الاخر تعلق بســـــائر انواع الكتب ، لذا فقد ترسخت لديه قناعة بان خير مكان يمكن ان يضم مكتبة ابن عمه هو دار شقيقه ليستفيد من النافع منها ويتصرف ، حســـــبما يرتأى ، بالباقي ، وهكذا كان في ٢٤ ايلول ، ١٩٧٥ .



عبيد السوداني : مباغتة غير متوقعة .

المفاجـــأة

مساء ذلك اليوم ، استعان ــ عبيــد ــ باحــد اصدقـــائه في نقل محتويات المكتبة ، الى بيته ، وبعد ذلك انهمك في تصنيف الكتب والدفاتر والقواميس والاطــلاع على بعضها حتى لفت نظـــره شيء يشبه دفتــر الملاحظات اليومية فتصور انه يعود الى ــ حطاب ــ يدون فيه وقـــائع حياته او اية معلومات تخصه ، من عناوين الى ارقام تلفونات ، غير ان الدهشة البالغة غمرته عندما فتح الصفحات الاولى من الدفتر ليجد انه مفكرة يومية تعود الى عام ١٩٤٢ ، اى ان ثلاثة وثلاثين عاما تفصل بين تاريخها وساعة الحصول عليها .

ترى ، لمن تكون هذه ؟ من المؤكد انها ليست للفقيد ذلك انه كان طفلا صغيرا لم يتجاوز عمره ثماني سنوات انذاك ، ازدادت المسالة غموضا لان صاحبها امتنع عن تدوين اسمه او عنوانه عليها .

استمر ــ عبيد ــ في تقليب الصفحات ، فتحولت الدهشة الى حيرة ، ذلك انه وجد امامه سلسلة من الوقائع تخص شخصية يبدو انها هامـــة وذات مكانة مرموقة ، والاغرب من هذا فان تاريخ وقوع احداثها لم يبدأ مع مطلع عام ١٩٤٢ ، كما هي العادة في كتابة المفكرات اليومية ، بل ان صاحبها سجل امورا وقعت له في العام السابق ثم استمر في السرد ليس حسب التسلسل اليومي للمفكرة ، بل بموجب تواريخ تذكرها جيدا وسجلها في بداية كــل واقعة .

يوم الخميس ، اول كانون الثاني ١٩٤٢ يطالعنا ما ياتي : « ٣٠ مايس ــ ١٩٤١ ليلا تحركنا من بغداد الى خانقين ووصلنا خانقين صباحا الساعة الرابعة وذلك مع الاخوان (صلاح الدين ، فهمي سعيد ، كامــل شـــبيب) .

٣١ ــ مايس ــ ٤١ صباحا وصلنا قصر شيرين حدود ايران » .

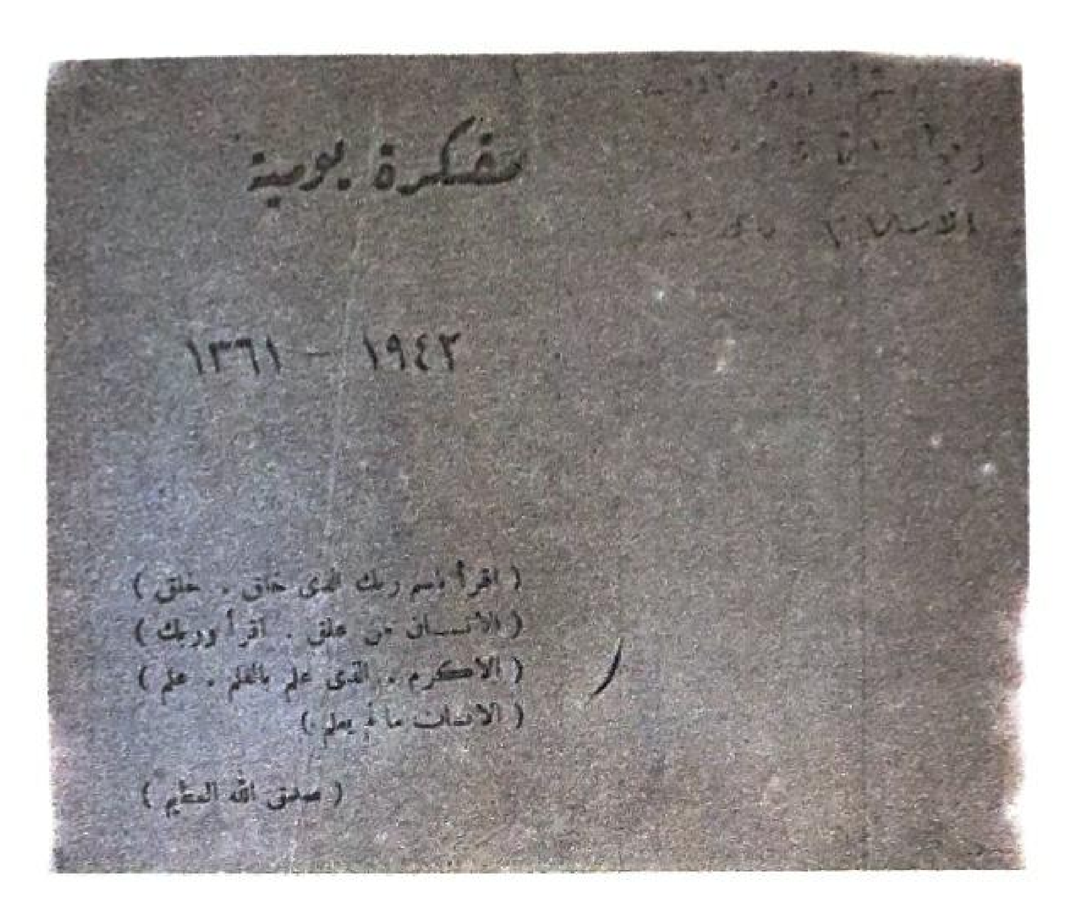
يوم الجمعة ٢ كانون الثاني ، ورد ما يلي :

« ١ ــ حزيران ــ ٤١ كرمنشاه .

٢ منه همدان ــ قزوين .

٣ ــ حزيران ــ ٤١ وصلنا طهران » .

وصلنا مرحلة هامة ، فقد اصبح واضحا ، استنادا الى الوقائـــع التاريخية المعروفة ، ان صاحب المذكرات هو احد قـــادة ثورة مايس ، ١٩٤١ الذين غادروا الحدود العراقية ــ ليلة ٣٠ــ٣١ ذلك الشهـــر في طريقهم الى طهران طلبا للجوء السياسي بعد انهيار الثورة المذكورة نتيجة للتدخل المباشر من جانب الجيوش الانكليزية مقرونا بالخيانة ، غير ان المشكلة انه يستمر في اهمال الاشارة الى اسمه مكتفيا بالحديث بصيغة


مفكرة يومية

١٩٤٢ - ١٣٦١

(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق)
(الانسان من علق . اقرأ وربك)
(الاكرم . الذى علم بالقلم . علم)
(الانسان ما لم يعلم)

(صدق الله العظيم)

الصفحة الداخلية من مفكرة الشهيد محمود سلمان .

الجمع او استخدام الضمير (انا) ولكن السؤال عن شخصيته يظل يطرح نفسه بالحاح سيما وان المذكرات تقفز من ٣ حزيران الى ٥ ايلول حيث ورد فيها ما يلــي :

« ٥ ــ ايلول ــ ٤١ وضعنا في سجن طهــران مع الاخــوة (فهمي سعيد ، امين زكي باشا ويونس السبعاوى) .

٢٤ ــ ايلول ٤١ تحركنا من طهران بالقطار الى الاهواز مخفورين حيث سلمتنا السلطات الايرانية الى الانكليز » .

ان خلفية الحدث الاخير اصبحت في ذمة التاريخ ، وكذلك ما اعقبها من تطورات ، فلقد قامت القوات البــريطانية من الجنــوب والغــرب والسوفيتية من الشمال في اواخر اب ١٩٤١ باحتلال ايران وذلك لان : « انكلترة وجدت ان طرق المواصلات الى روسية يجب ان تمر عبر ايران لان الطريق الشمالي الذى ينتهي بممر مانسك لايكفي لامداد الروس سيما وان هذه الطريق محفوفة بالمصاعب يتهدد الجمد في اكثر شهور الســنة وغير مأمونة العواقب لاسباب كثيرة لا مجال لذكرها[1] » . والســبب

(١) علي محمود الشيخ علي : محكمتنا الوجاهية ، ص ٢١ .

الاخر : « ان لدى الحكومة الايرانية خبراء المان وايطاليين في معاملهـا ومصالحها يربو عددهم على الستمائة نفرا . وهؤلاء اصبحوا في نظـر الحكومتين الانكليزية والروسية خطرا على مصالحهما ومصلحة الدولة الايرانية نفسـها[1] » .

ونظرا لحجم المذكرة الصغيرة ، فمن الطبيعي ان صاحبها قد دون ما جال بخاطره بايجاز ، اما الظروف التي احاطت باعتقال معظم الساسة والضباط المقيمين في طهران فهي كما يلي : « ففي مساء ١ ايلول ١٩٤١ جاءنا . وظف كبير من موظفي الشرطة الى الدار وابلغنا بضرورة البقـاء بجانب الشريف شرف[2] في داره فامتثلنا للامر ، وذهبنا الى دار الشريف وهناك فهمنا ان الضباط العراقيين الصغار قد اعتقلوا في بناية كلشن والزم من في دار المفتي (الحسيني) بأن لايبرحوها وكذلك من كان في دار السبعاوى من رجال ونساء ان لايتركوها واني ورئيس اركان الجيش (امين زكي) واخي داود قد الزمنا بان نظل في دار الشريف وبعد ساعتين جيء ايضا بالعقيدين فهمي سعيد ومحمود سلمان واضيفا الى من كان في دار الشريف وقد كانت هذه الاعتقالات اول قطرات الغيث[3] » .
علـى الاطـلاق .

يواصل المؤلف حديثه : « ومن جملة الشروط التي زيدت علـى الايرانيين تسليمنا نحن الملتجئين السياسيين في المملكة الايرانية الى الجهة الانكليزية خلافا لقواعد الحقوق الدولية والمعاهدات القانونية بين الجهات ذات العلاقة ... وفي غضون تلك الفترة المزعجة عاد يونس السبعاوى من محل اعتقاله في زنجان بعد ان اقبل عليها الروس يضربونها بقذائفهم من الارض والسماء . واما صلاح الدين الصباغ فقد بقي في تلك المدينـة (زنجان) وقد قيل بانه اختفى في الجبال مع الايـرانيين الذين لاذوا بها . وعندما شعرت حكومة طهران برجوع السبعاوى اليها ، اوقفته في السجن محتجة بانه لم يكن واجبا عليه ان يترك زنجان من دون اذن من السلطات الايرانية متناسية بان الذين كانوا يمثلون السلطات الايرانية هناك كانوا في مقدمة الهاربين المعتصمين بالجبال . ولما تركها السبعاوى لم يكن احد منهم في المدينة حتى يتصل بل او يكون معه على اتفاق » .

حدثتنا السيدة ــ مديحة ــ عن جانب اخر لتلك الماساة بقـولها :

---

(١) نفس المصدر ص ٢٢ .

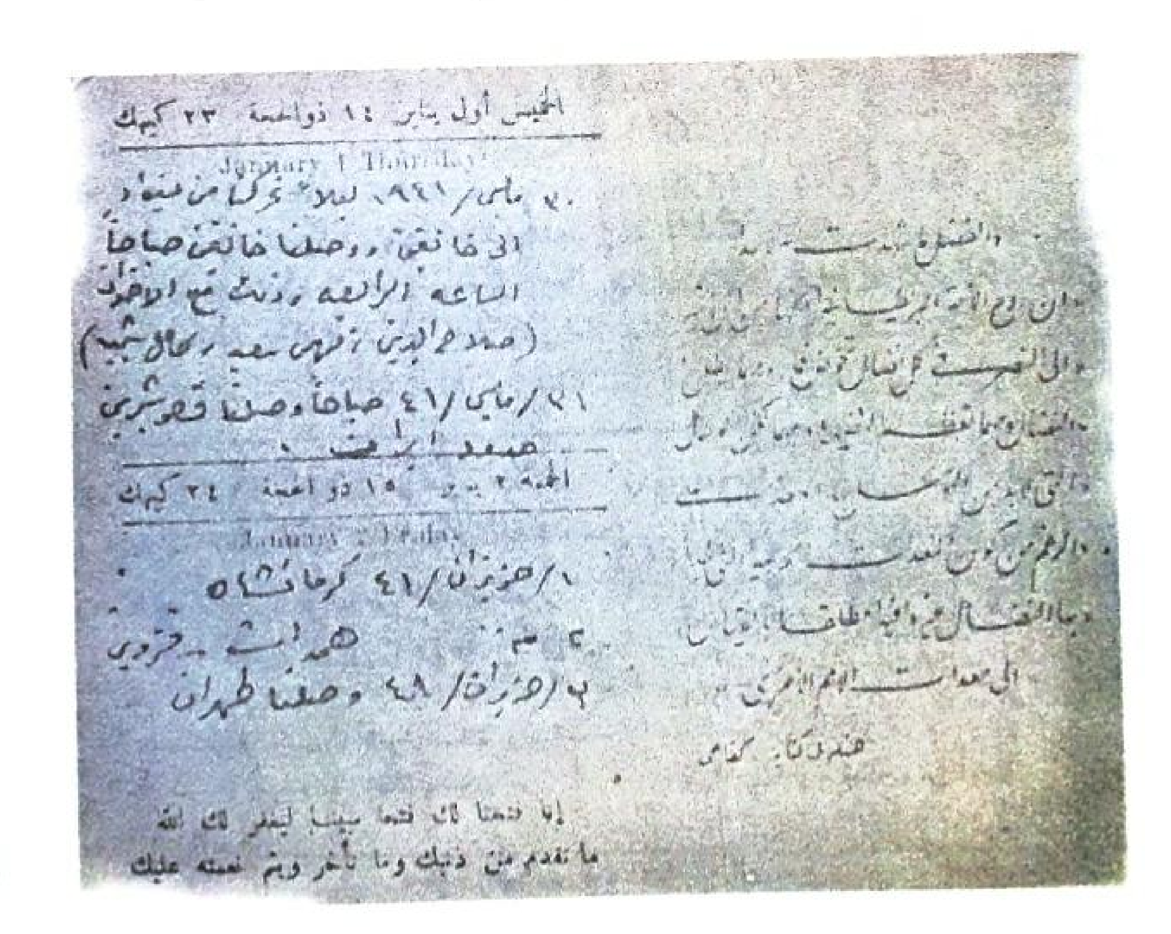
(٢) هو الذى اختاره مجلس النواب وصيا على العرش بعد هرب الوصي عبد الاله الـى الحبانية فالبصرة في اوائل نيسان ١٩٤١ .

(٣) علي محمود الشيخ علي : محاكمتنا الوجاهية ، ص ٢١ .

« بعد اسابيع من رحيل القادة الى ايران تلقيت رسالة من زوجي يطلب فيها التوجه الى طهــران فاصطحبت طفلــي الصغيرين ــ معـد ــ و ــ المغيرة ــ حيث قطنت معه في شقة صغيرة وكان ذلك مع اقتـــراب القوات البريطانية والسوفيتية من العاصمة ، ولما تساءلت من الشهيدين فهمي سعيد ومحمود سلمان عن السبب في عدم تركهما ايران والتوجــه الى تركيا حيث سيحصلان ، بالتاكيد على الترحاب باعتبارهما ضابطين سابقين في الجيش العثماني ، اجابا بانهما يريدان ، اولا وقبل كل شيء ، ضمان سلامة المفتي كما انهما بانتظار تاشيرتين مـــن وزارة الخـــارجية التـــركيـــة .

« وبعد الالحاح ، وافقا على ذلك لكن شاءت الصدف ان الســفير التركي في طهران لقي نحبه فجاة ، فاعلنت السفارة حالة الحداد ثلاثـــة ايام فاقتربت القوات البريطانية من طهران حتى وصلت قزوين التي لاتبعد سوى مسيرة ساعتين بالسيارة ، حانت الفرصة فترجهت الى الســفارة التركية غير ان الموظف الذى استقبلني اخبرني ان جميــــع المواصلات السلكية واللاسلكية قد قطعت مع بلاده والعالم الخارجي وانه ، لهـــذا السبب ، لايستطيع منح التاشيرتين المطلوبتين ، فاسقط في يدى .

الصفحة الاولى من المفكـرة .


الخميس أول يناير ١٤ ذو الحجة ٢٣ كيهك

January 1 Thursday

٢٠ مايس/١٩٤١ ليلا خرجنا من بغداد

الى خانقين ، وصلنا خانقين صباحا

الساعة الرابعة وذلك مع الاخوان

(صلاح الدين ، فهمي سعيد ، كامل شبيب)

٢١/مايس/٤١ صباحا وصلنا قصر شيرين

الجمعة ٢ يناير ١٥ ذو الحجة ٢٤ كيهك

January 2 Friday

٨/حزيران/٤١ كرمانشاه

إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك

« اثناء ذلك ، اتصل مقيم لبناني في ايران يحمل لقب — الجواهري — بالشهيدين عارضا عليهما ان بمقدوره تهريبهما مقابل مبلغ من المال ، وعلى الرغم من الشكوك التي ساورتهما بشأنه واحتمال غدره بهما بعد استلامه المال ، فان الشهيدين وافقا على ذلك ، لكن — فهمي — اصطحب عائلته معه مما دفع بزوجي الى العودة لاقتناعه بعدم امكانية اخفاء هذا العدد من الاشخاص وللمخاوف التي اشرنا اليها ، ومن المؤكد ان شقتنا كانت مراقبة اذ سرعان ما ظهر ضابط شرطة ايراني متسائلا عما اذا كان الشهيد موجودا ، ولقد كنت مستعدة لانكار ذلك غير انه ظهر بغتة لمحاولة معرفة شخصية الزائر الذى طلب منه مرافقته الى بيت الشريف شرف بذريعة توفير حماية افضل لهم خوفا من السلطات الايرانية من وقوع محذور لهم ، ولما لم يكن من بد ، فقد توجه مع الضابط الى هناك ثم جاءتني الاخبار بانه نقل مع رفاقه الى سجن طهران المركزى مع المجرمين الاعتياديين ، فطار صوابي لهذا المصير الذى حل بالقادة .

السبت ٣ يناير ١٦ ذو الحجة ٢٥ كيهك

January 3 Saturday

١٥/ايلول/٤١ وضعنا في سجن طهران مع الاخوان (فهمي سعيد ، امين زكي باشا ويونس السبعاوي)

٢٤/ايلول/٤١ تركنا طهران بالقطار الى الاهواز مخفورين حيث سلمنا السلطات الايرانية الى الانكليز .

الاحد ٤ يناير ١٧ ذو الحجة ٢٦ كيهك

January 4 Sunday

٢٦/ايلول/٤١ وصلنا الاهواز [illegible] وضعونا في سجن الاهواز [illegible]

٢٠/كانون اول/٤١ تركنا سجن الاهواز في الباخرة لنفينا الى ما وراء البحار .

والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون

الاثنين ٥ يناير ١٨ ذو الحجة ٢٧ كيهك

January 5 Monday

٢١/كانون اول/٤١ وصلنا ميناء البصرة صباحاً ونقلنا الى باخرة كبيرة اسمها (آغه)

٢١/١٢/٤١ تركنا ميناء البصرة بالباخرة الى ما وراء البحار لجهة لا نعلمها .

الثلاثاء ٦ يناير ١٩ ذو الحجة ٢٨ كيهك

January 6 Tuesday

٢٧/١٢/٤١ وصلنا ميناء بومباي صباحاً

٢٩/١٢/٤١ يوم الاثنين عيد الاكبر في الباخرة آخرة في ميناء بومباي وجرت مراسم الصلاة للعيد على ظهر الباخرة وكان [illegible]

وما انفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار

صفحة اخرى من المذكرة .

« اخذت طريقي الى دائرة الامن حيث استقبلني المدعو ــ مقدادى ــ مسؤول شؤون المهاجرين والذى يتقن العربية وكنت على معرفة به بحكم مراجعاتي السابقة . ولما طلبت منه مقابلة الشهيد حاول مساومتي قائلا : اخبريني عن محل اختفاء المفتي وانا على استعداد ليس لاعادة زوجك لك حرا طليقا فحسب ، بل وحتى السماح لكما بالتوجه حيثما تريدان . ولما كنت بالفعل لا اعرف شيئا عن ذلك ولثقتي التامة ان ــ مقدادى ــ كان يبطن خلاف ما يظهر ، فقد اكدت له هذه الحقيقة ثم اصررت على مقابلة قريني حتى اعرف ما حل بــه .

« وبعد لاى ، امر احد اعوانه بمرافقتي الى السجن ، وقد هالني ما رايت ، القادة من سياسيين وعسكريين في سجن المجرمين الاعتياديين . خرج قريني ، فكان ثابت الجنان ، صابرا ، تاركا امره الى ربه يقضي بما يشاء ، وقد علمت منه ان ــ فهمي ــ بعد ان سمع باعتقاله ، ترك مكان اختفائه وسلم نفسه للسلطات الايرانية قائلا : لقد عشت مع محمود وكافحت وتعاهدنا على ذلك حتى الموت ، فان عاش محمود عشت معه وان مات مت معه ــ ورفض كل الجهود التي بذلها ضباطه واخوانه في سبيل عدوله عن التسليم .

« وفي ختام المقابلة ، دس الشهيد في يدى ورقة صغيرة قال انها من السبعاوى وطلب مني الاتصال باحد الضباط العراقيين الصغار لايصالها الى السفير السوفيتي في طهران مقترحا عليه ان تتسلم حكومته الشهداء وتعتبرهم اسرى حرب لديها ، وبالفعل تمت المقابلة رغم ان الضابط المذكور كان مراقبا ولكنه استطاع الافلات من المراقبة ودخل السفارة راكضا ، ولقد وعده السفير السوفيتي بنقل الطلب الى حكومته للنظر فيه ، وبعد ساعتين فقط ، كان جميع المعتقلين واسرهم في محطة القطار في طهران وهم في طريقهم الى المجهول . من الواضح ان الخبر وصل الانكليز بشكل ما فارادوا قطع الطريق على حلفائهم . ومن محطة القطار لم تقع عيني على ــ محمود ــ ثانية الا في اسطبل الخيل في ــ ابي غريب ــ بعد ذلك بشهور[1] » .

من الطبيعي ان الوقائع التي اعقبت ذلك معروفة ، سواء من حيث النفي الى افريقيا الشرقية والجنوبية ، او اعادة قسم من المعتقلين الى العراق لمحاكمتهم امام المجلس العرفي العسكرى ، الا ان الاستناد على ما ورد في المذكرات يعطي الموضوع نكهة تاريخية خاصة به :ــ

(١) من المقابلة في ٢٥ــ١ــ١٩٧٦ .

بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٤٢ وردت الحقائق التالية :
« ٢٦ ــ ايلول ــ ٤١ وصلنا الاهواز والانكليز وضعونا في سجن الاهواز الملكي (يقصد المدني) .
٢٠ ــ كانون الاول ــ ٤١ تحركنا من سجن الاهواز في الباخرة لنفينا الى ما وراء البحار » .

ننتقل الى ٥ كانون الثاني :
« ٢١ ــ كانون اول ــ ٤١ وصلنا ميناء البصرة صباحا ونقلنا الى باخرة كبيرة اسمها (اغره) .
٢١ــ١٢ــ٤١ تحركنا من ميناء البصرة بالباخرة الى ما وراء البحار لجهة لا نعلم بها » .

في ٦ كانون الثاني ورد ما يلي :
« ٢٧ــ١٢ــ٤١ وصلنا ميناء بومباى صباحا .
٢٩ــ١٢ــ٤١ يوم الاثنين عيدنا الكبير في الباخرة اغره في ميناء بومباى وجرت مراسيم الصلاة للعيد على ظهر الباخرة وكان مجموعنا ٣٥ شخصا وكانت الصلاة مؤثرة على البحارة الهنود المسلمين وقد خطب خطبة العيد ناجي باشا السويدى[1] . تليق بالموقف .
٣ــ١ــ١٩٤٢ (اقلعنا من ميناء بومباى بالباخرة (كندالة) اى خان دلة) .

ننتقل الى ٨ كانون الثاني و ٩ منه :
« ١١ــ١ــ٤٢ وصلنا الى (المنبثة)[2] في افريقيا ونزلنا من الباخرة واخذونا الى معتقل الاسرى في المنبثة ومكثنا اسبوع هناك وكانوا اسرى طليان حيث ضيفونا واشبعونا ورحبوا بنا بصورة فوق العادة .
١٩ــ١ــ٤٢ تحركنا من المعتقل في المنبثة الى مينائها وركبنا في الباخرة (دمبو) الهولاندية وبتنا ليلة واحدة ثم تحركنا .

---

(١) وزير المالية في حكومة الدفاع الوطني برئاسة ــ الكيلاني ــ في شهرى نيسان ومايس ١٩٤١ وقد ورد في مذكرات علي محمود الشيخ علي ما يلي : « وكان يوم عيد الاضحى يوما مشهودا اذ ادينا صلاة العيد جميعا وكان امام المصلين وخطيبهم السيد السويدى واني شهدت صلاة العيد في مناسبات مختلفة فيما مضى وسمعت خطبا كثيرة من خطباء المساجد والجوامع ولكني استطيع ان اجزم باني لم اشعر باطمئنان روحي وانشراح نفساني ولم المس روعة وجلالة ولم انس بلذة وراحة في الوجدان مثل ما شعرت به او لمسته او انسته في هذه الصلاة ولا ادرى مبعث ذلك هل هو حراجة موقفنا او غربتنا ونزوحنا من ديارنا ام العزة الدينية التي ملكت علينا مشاعرنا» .

محاكمتنا الوجاهية ، ص ٤٨ .

(٢) ميناء ــ ممباسا ــ في كينيا حاليا .

نتحول ليوم ١٠ كانون الثاني :

« ٢٠—١—٤٢ صباحا اقلعنا من ميناء المنبثة الى (دوربن)[1] التابعة لافريقيا المتحدة . ٢٥—١—٤٢ الاحد وصلنا ميناء دوربن وبتنا ليلة واحدة في الباخرة » .

وصلنا الان الى ١١ كانون الثاني و ١٢ و ١٣ منه :

« ٢٦—١—٤٢ وصلنا ميناء دوربن صباحا وتقربنا الى الرصيف وهناك افرزنا نحن ستة اشخاص من مجموع ٣٥ وهم (محمود ، فهمي سعيد ، امين زكي باشا ، علي محمود الشيخ علي ، يونس السبعاوي وصديق شنشل) . ووضعونا في السجن الملكي ولا نعلم عن مصيرنا . مكثنا ٢٢ يوما في السجن وكان طعامنا يأتي لنا من مطعم في الخارج ، وعلى حسابنا حيث الطعام في السجن من طعام عبيد افريقيا[2] وقد سفروا اخواننا المتبقين (٢٩) شخصا الى (روديشيا)[3] التابعة الى افريقيا المتحدة » .



بعض المشاركين في ثورة مايس في صورة لهم بطهران — من اليسار — : ملازم نجدة الشراف ، الشهيد محمود سلمان ، ملازم اول خيال فاضل رشيد ، راشد عبد الوهاب الشيخ علي ، نقيب حمود بريس السعدون ، نقيب رشيد فليح ، ملازم عبد الحميد قادر السامرائي . — الجالسون — ملازم خيال عبد الحق العزاوي ، ملازم عبد الرزاق احمد طه .

---

(١) ميناء في جمهورية جنوب افريقيا والتي تعرف ايضا باسم — اتحاد جنوب افريقيا — .

(٢) كانت التفرقة العنصرية ضد الافارقة اهل البلاد الاصليين من القسوة بحيث ان المستوطنين من الاقلية البيضاء حولوهم الى عبيد حتى ان الطعام الذي يقدم لهم مقابل عمل السخرة في مناجم البيض ومزارعهم الشاسعة لايطاق من قبل المعتقلين المجلوبين من بعد الاف الاميال رغم الظروف المحيطة بهم ، وهذه التفرقة العنصرية مستمرة وقد ازدادت سوءا مع مرور الاعوام .

(٣) روديسيا او «زيمبابوي» في راى الافارقة .

لاول مرة تاتي الاشارة الى اسم «محمود» من يكون هذا المحمود ؟

في ١٤ كانون الثاني جاء ما يأتي :
« ٢٦–٢–٤٢ مساء تحركنا الى ميناء دوربن في السيارة (الوكس) واركبونا في الباخرة (لندن) بتنا ليلة واحدة في دوربن » .

١٥ كانون الثاني و ١٦ منه :
« ١٧–٢–٤٢ بالباخرة لندن مع قافلة من البواخر ما يقارب العشرون (العشرين) باخرة الى بومباى . ٤ – مارت (اذار) ٤٢ وصلنا بومباى صباحا ونقلنا الى الباخرة (ناريللا) التي كانت راسية في ميناء بومباى . وقد سرنا بهذه الباخرة ثلاثة ايام وكانت راحتنا جيدة . استغرقت سفرتنا من دوربن الى بومباى ١٦ يوما » .

واضح من تسلسل الاحداث ان صاحب المذكرات لم يتقيد بتاريخ معين في المفكرة لتدوين ما يتذكره او ما يعانيه بل اتخذ منها مجرد سجل لسرد الحوادث ، مكتفيا باستخدام تواريخه هو .

جاءنا في ١٧ كانون الثاني و ١٨ منه :
« ٧ – مارت – ٤٢ نقلنا من الباخرة ناريللا الى الباخرة (د.تونشاير) التي كانت راسية في ميناء بومباى وبتنا ليلة واحدة فيها .
٨ – مارت – ٤٢ تحركنا صباح اليوم الى البصرة » .

الان ، حلت ساعة العذاب الحقيقية . مفهوم جدا ان ينال رجال الثورة الاضطهاد والقهر على ايدى الانكليز انفسهم ، وهم في غربتهم وتنقلهم الاف الاميال من معتقل الى اخر ، ومن مستعمرة اسيوية الى افريقية ، ومن المنطقي ان يعانوا من الاذى الصادر عن زبانية الانكليز في ايران وغيرها ، لكن الالام التي كانت بانتظارهم في وطنهم العراق ، الذى ضحوا من اجله وفي سبيل امتهم العربية بكل شيء ، لا يمكن ان يوصف الا باتلامهم ، وقد حدثنا بعضهم عنه فعلا ، غير ان صاحب المذكرات بقلمه البسيط القوى ، يعطينا صورة اوضح لما حدث ، فقد جاء في ١٨ كانون الثانى ما يأتى :
« ١٣ – مارت – ٤٢ وصلنا الى البصرة بعد ان تقربنا الى الرصيف جاء الكرنل (الكولونيل – العقيد) ساركن ومعه الرئيس عبد القادر حسين[1] مع ثلة من الجنود فاستلمونا ووضعونا بسيارة مستشفى

---

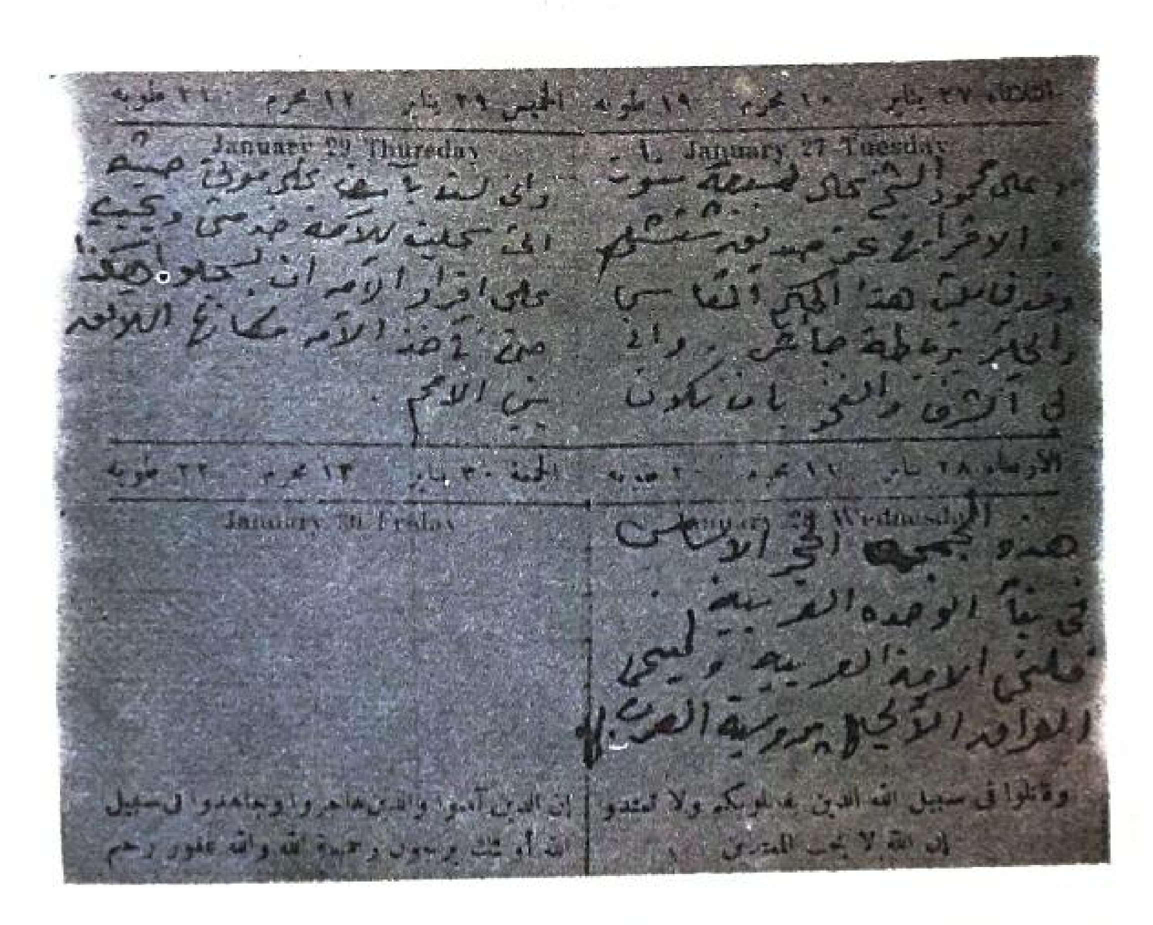
(1) هو الذى وصل الى رتبة – زعيم – اى – عميد – وكان امرا لمعتقل – ابي غريب – وقد اذاق الشهداء ورفاقهم الويل ، واستلم الشهيد الصباغ من الانكليز عام ١٩٤٥ واشرف شخصيا على اعدامه ثم تعليق جثمانه امام وزارة الدفاع صباح ١٦–١٠–١٩٤٥ وقد مات هذا شر ميتة بعد ان تهرا جسده وهو حي وتمزق اربا اربا .

ممسكر- (مغلقة الابواب والنوافذ) وذهبوا بنا محروسين الى محطة القطار في الساحل حيث كانوا قد احضروا قطارا خاصا وبعد جلوسنا بالقطـــار مباشرة قيدوا ارجلنا بالسلاسل الحديدية الثقيلة وايادينا وبتنا هذه الليلة بالقطار بحالة من اسوأ الحالات حتى الصباح وكان القطار مسكر النوافذ والابـــواب تمامـــا .

وتستمر المفكرة في الحديث :

« ١٤ ـــ مارت ـــ ٤٢ وصلنا صباحا محطة الدورة » وانزلنا مـــن القطار ونحن نرسف بالسلاسل والقيود واركبونا بسيارة سجن كل واحد في لوج وانزلونا في ابو غريب محل الركائب داخل بنكله (بناية مغطـــاة بالصفيح) معدة لنا مسبقا ومحاطة بالاسلاك الشائكة واقعدونا كلا منـــا داخل غرفة لوحده . هكذا كنا مكبلين ليلا ونهارا .

« ١٧ ـــ مارت ـــ ٤٢ جرت اول محـــاكمتي وارجلنا مكبلة » في المجلس العرفي العسكرى المنعقد في الوشاش تحت رياسة العقيد مصطفى راغب وعضوية كل من الحاكم عبد العزيز الخياط والحاكم خليل والعقيد محمد على سعيد والمقدم عبد الله النعساني والمدعي العام حمدى صدر الـــدين .



الثلاثاء ٢٧ يناير ١٠ محرم ١٩ طوبه — الخميس ٢٩ يناير ١٢ محرم ٢١ طوبه

January 27 Tuesday — January 29 Thursday

الاربعاء ٢٨ يناير ١١ محرم ٢٠ طوبه — الجمعة ٣٠ يناير ١٣ محرم ٢٢ طوبه

January 28 Wednesday — January 30 Friday

هذه ... الحجر الاساسي
في بناء الوحدة العربية
فلتحي الامة العربية ولتحيا
القواعد الاولى ... العروبة

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم

الصفحة الاخيرة من المفكرة وفيها وصية الشهيد الى الامة العربية قبل اعدامه بساعات .

١٨ ــ مارت ــ ٢) ٤ نكت اصفاد الرجل .
٢٣ ــ نيسان ــ ٢) ٤ انتهت المحاكمة » .

حل اليوم المفزع ، جاء يوم الجريمة الابدى ، هنا ياخذ السؤال صفة مضنية ، من صاحب المذكرات ؟ وعلى ماذا يدل هدوء النفس ، والاطمئنان ، وعدم التعبير عن انة شكوى واحدة رغم سائر صنوف العذاب والاذى خارج الوطن وداخله ؟ من هـو ؟ .

« ٤ ــ مايس ــ ٤٢ اعطى الحكم بالاعدام شنقا لكل من فهمي سعيد وانا ويونس السبعاوى . وحبس كل من رئيس اركان الجيش بخمسة سنوات وعلي محمود الشيخ علي بسبعة سنوات والافراج عن صديق شنشل » .

ان (انـا) هو العقيد محمود سلمان ، قائد القوة الجوية من عام ١٩٣٩ حتى ٣٠ مايس ١٩٤١ . انه احد قادة تلك الثورة المشهودة ، ام ثورتي ١٤ تموز و ١٧ تموز في القطر العراقي وملهمة ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، انه العربي الشامخ ، المؤمن ، رفيق صلاح الدين الصباغ ، وفهمي سعيد ، ويونس السبعاوى الذين انهوا طريق المجد بارتقاء اراجيح الابطـال .

الوصيـة

ما ان انتهى مصطفى راغب من النطق بالحكم ، واعيد المعتقلون الى زنزاناتهم الانفرادية حيث اعيد تكبيل ارجلهم بالحديد الثقيل ، حتى كانت الارادة الملكية التي تحمل توقيع ــ عبد الاله ــ بتنفيذ الاعدام بحق محمود سلمان وفهمي سعيد ويونس السبعاوى جاهزة بايدى الجلادين .

وهناك اجماع على ان الثلاثة قابلوا لحظاتهم الاخيرة ببسالة وصمود ، وانهم استهانوا بالموت من اجل قضيتهم العادلة ومستقبل امتهم العربية ، ويمكن ان نعتبر موقف ــ محمود سلمان ــ في ساعات انتظار الموت ، نموذجا لتصرف رفيقيه . لقد وصل الشهيد ذروة الشجاعة في نفس اللحظات التي يفترض فيها ان يبدى ولو دلالة واحدة على الرهبة امام دفعه الى المشنقة .

وهذه هي وصيته : « وقد قابلت هذا الحكم القاسي والجائر برباطة جاش ، واني لي الفخر والشرف بان تكون هذه الجمجمة الحجر الاساس في بناء الوحدة العربية ، فلتحيا الامة العربية وليحيا العراق الابي « بروسيا العرب »(١).

---

(١) بروسيا ــ مقاطعة او ولاية المانية كانت الرائدة في تحقيق وحدة المانيا الممزقة وقد عرف العراق بهذا الاسم في الثلاثينات نظرا لقوة الحركة القومية العربية فيه وانعقاد امل تحقيق الوحدة العربية عليـه .

وأني لست بآسف على موتي حيث اني سجلت للامة خدمتي ويجب على افراد الامة ان يسجلوا هكـذا حتى تأخذ الامـة مكانها اللائق بين الامـــم » .

هكذا الامة العربية ووحدتها هي الشغل الشاغل للشهيد الجسور ، وهو بانتظار الموت ، لا الاهل والولد ، ولا القريب والصديق ، وتلــك أصدق الوان الايمان وارفع رموز التضحية والايثار .

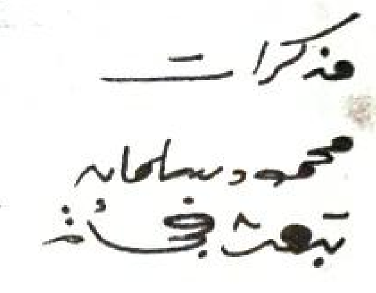
من خلال قراءة المذكرات ، وامعان الفكر فيها ، استنتج ــ عبيــد السوداني ــ انها تعود الى ــ محمود سلمان ــ ولكن كانت تعوزه الادلة الثبوتية على ذلك ، توجه ، بناء على رأى صديق له ، الى دار المؤرخ عبد الرزاق الحسني الذى عرف من الوهلة الاولى ، ومن ســياق التواتــر التاريخي في سردها ؛ انها فعلا ملك الشهيد ، ثم ارشــده الى ان مــن الافضل تسليمها لعائلة الشهيد ممثلة بنجله ــ طارق ــ الذى ادرك من فوره انها دونت بخط والـــده .

فكــان البعث ، وقام ــ محمود سلمان ــ من مرقده في يوم قيامة خــاص بــه .

بعد ٣٤ عاماً من الضياع



الشهيد محمود سلمان



اخر صفحتين مــن مذكرات الشهيد محمود سلمان .

●.. واني لي الشرف والفخر بأن تكون هــذه الجمجمة الحجر الاساس في بناء الوحدة العربية .. هذه الكلمات سجلها الشهيد البطل محمود سلمان ، قائد القوة الجوية في ثورة مايس ١٩٤١ ، قبل أن يرتقي المشنقة بساعات فجر ٥ مايس عام ١٩٤٢ ..●

وقد حاولت سـلطات العهد الملكي البـائد ، تشويه مواقف الشهيد سلمان ورفاقه الابطــال لسنين عديدة .. وبقيت الصورة ناقصة الى ما قبــل اســابيع معدودة ، عندما عثر اخيرا على مذكرات الشهيد محمود سلمان التي هي الآن بحوزة السيد محمود شبيب .

● يقول السيد شبيب عن هذه المذكرات :

انهــا مكتوبة فــي مفكرة اعتيادية ، وقد كانت هذه المفكرة ضمن الاوراق والكتب التي انتقلت الى السيد عبيد السوداني بعــد وفاة عمه .. وقام السيد السوداني بالتحري عن صاحب المذكرات ، لعدم ورود اسم كاتبها فيهـا .. فعرضها على المؤرخ المعروف عبد الرزاق الحسني الذي اكد عائديتها للشهيد سلمان ، استنادا الـــى سياق الحوادث التاريخية الواردة فيها .. ثم سلمهـــا الســيد السوداني الى طارق نجل الشهيد فتعرف بدوره على خط ابيه ..

وتاتي الاهميــــة التاريخيــة للمذكرات ــ كمـــا يقول السيد شبيب ــ لانهـــا تلقي الضوء الساطع ، على لسان احد شهداء ثورة مايس ، على مواقف هؤلاء الشهداء فــي منافيهم وسجونهم وردود فعلهم تجاه احكام اعدامهم سواء عند صدورها او قبــل تنفيذها .. وهي صورة واضحة للتاريخ لفكرنا القومي الحديث ، اضافة الى الموقف الحقيقي لاحد هؤلاء الشهداء ليلة اعدامه ، وهو مقيد بالسلاسل ويوجه رسـالة مسـلحة مــن قوى النظام العميل .

● وعن محتوياتها يقول السيد شبيب :

تبدا المذكرات من تاريخ مغادرة قادة الثورة العراق في ٣٠ مايس عام ١٩٤١ ، وتتناول حياتهم في ايران واعتقالهم من قبل الانكليز بعــد احتلالهم لايران ، ونقلهم بالبواخر العسكرية الانكليزية الى جنوب افريقيـــا وروديسيـــا ، واعادتهم الى القطر عــن طريق البصرة ونقلهم الى بغداد بقطار مغلق واحتجازهم في اسطبل في ابي غريب ومحاكمتهم في معسكر الوشاش ، وما جرى لهم بعد ذلك حتى تنفيذ الاحكام بحقهم .

● وعن رد فعله تجاه المذكرات يقول السيد محمود شبيب :

اني انحني اجلالا حتى الارض لشهداء ثورة مايس الابطال .. واعجابي بهم عظيم ، وتقديري لهم ليس له حدود .. وقد رأيت من خلال هذه المذكرات الشهيد محمود سلمان امامي ، وقد انتصب بطلا عملاقا وشامخا ، وهـو يواجه اعواد المشنقة محتقرا جلاديه الخونة ، حيث لم يتزعزع عــن عقيدته قيد انملة .. ولم يفقــد ايمانه مطلقــا بعدالة القضية القومية التي يوشـك ان يضحي بحياته من اجلها بعد ساعات .

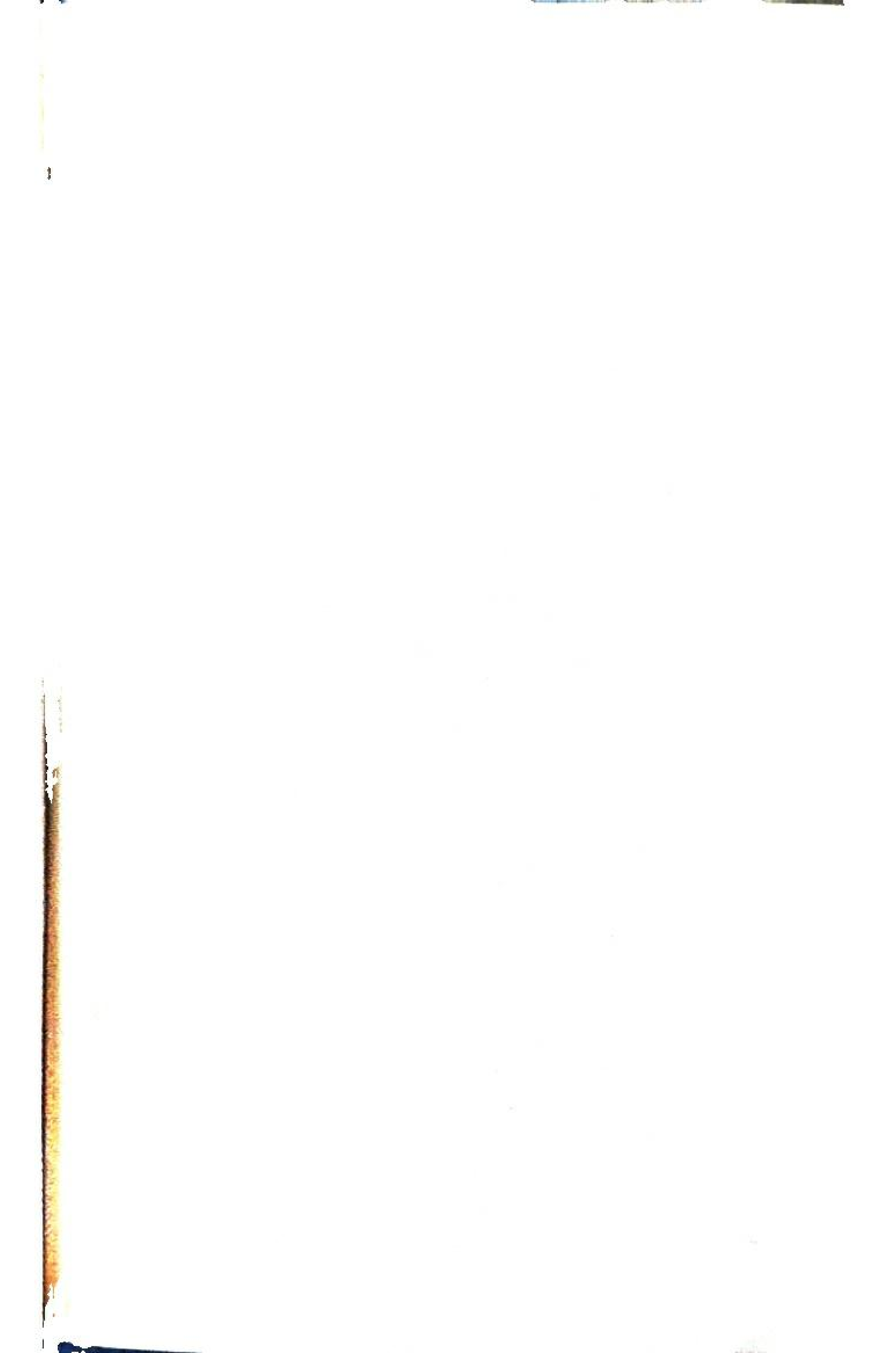
ويضيف السيد شبيب : لقــد قرأت الكثير من وصايا الشهداء العرب .. ولكنني لم اهتز فــي حياتي مطلقا ، ذلك الاهتزاز الذي انتابني وسيطر على مشاعري ، عندمـــا قرأت مذكرات محمود سلمان .. لقد برز امامي عملاقا قوميا ، يقف في صف واحد مع عبدالكريم الريفي وعمر المختــار وعدنان المالكي وصــلاح الدين الصباغ .. وغيرهم .

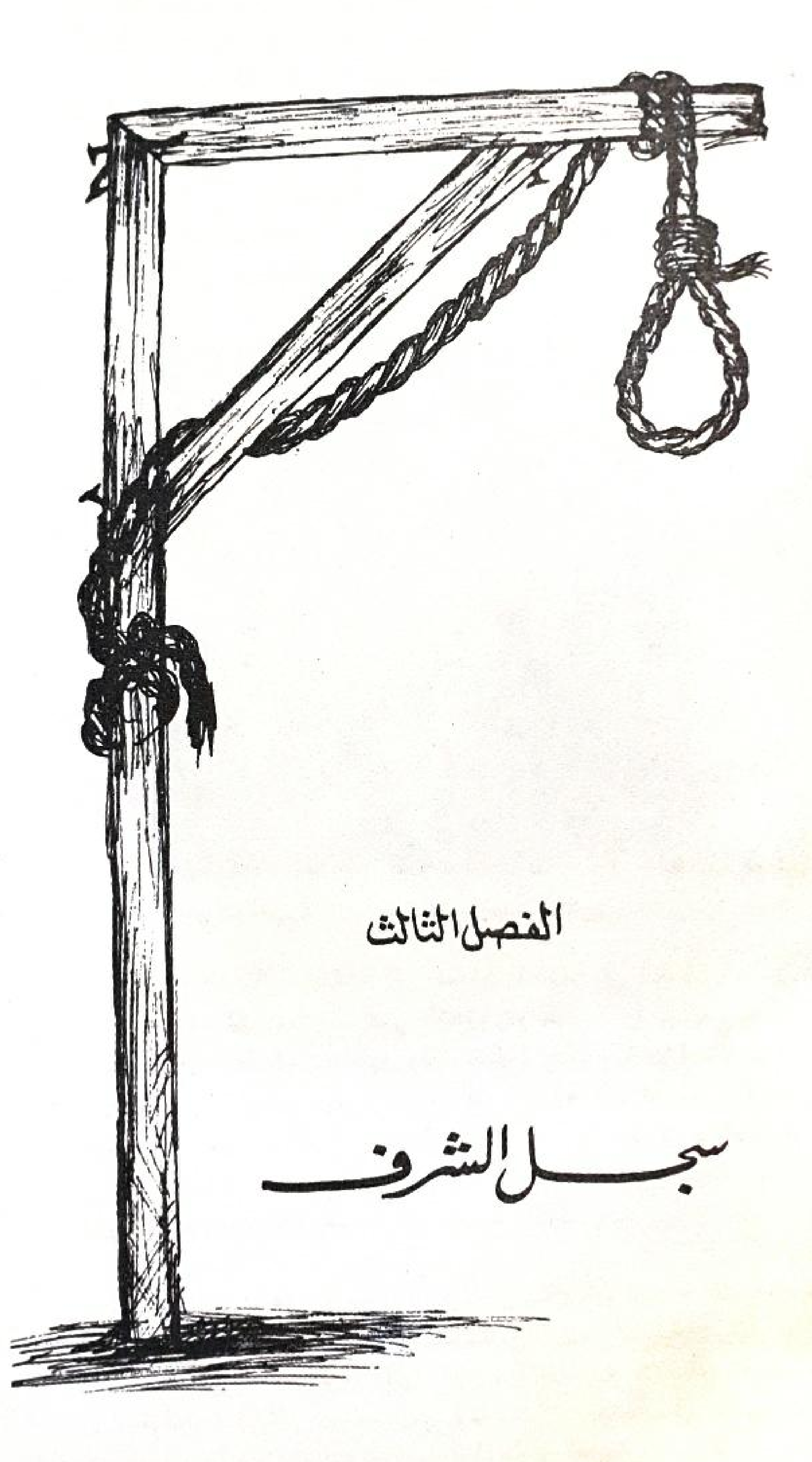
● وعما يترتب على حصوله على هذه المذكرات ، يقول السيد شبيب :

لقــد منحتني عائلة الشهيد شرف الحصول علــى مذكراته بأسرها .. والاكثر من ذلك ، فان هذه العائلة العربيـــة الكريمة منحتني شرفا آخر هو التصرف كمــا اريد بالمذكرات والوثائق والصور الاخرى التي لديهــا .. ولقد قررت في الحال ايقاف جميع اعمالي الكتابية الرتيبة ، والشروع فورا في تأليف كتاب عن الشهيد محمود سلمان .

وتلك خدمة اقدمها لهذا البطل العربي ، احد تلك الكوكبة الخالدة التي اشعلت نار ثورة مايس .. والتي كان من ثمارها ثورتي ١٤ و ١٧ تموز المجيدتين ، وبـل وحتى ثورة ٢٣ تموز ــ يوليو في القطر المصري .

قصة العثور على المذكرات كما ظهرت في جريدة الثورة بتاريخ ٤ــ١١ــ١٩٧٥ .





الفصل الثالث

سجل الشرف

في عائلة عربية انحدرت من ـ عانه ـ واستقرت في محلة . . العمار ـ ببغداد ، ولد ـ محمود سلمان ـ عام ١٨٩٩ ، وبعد ان نال تعليمه التمهيدي في المدارس المحلية ، ارتأى والده ، وهو مقاول معمار ، ان يسير الفتى في نفس الطريق الذي اعتاد عليه الكثير من شبان بغداد والعراق ، اي الانضمام الى الجيش العثماني لما لذلك من بريق كبير ومستقبل مضمون ، وهكذا توجه ـ محمود ـ الى الاستانة او اسطنبول كما كانت تعرف انذاك حيث دخل المدرسة الاعدادية العسكرية فتخرج فيها وصادف ذلك وقت اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨)



محمود سلمان في الجيش العثماني . وفي بداية انضمامه للجيش العراقي .

ولما كانت الدولة العثمانية بحاجة الى ضباط للخدمة في الجيش ، فقد اوجدت مدرسة ـ التطليمكاه ـ التي التحق بها ـ محمود ـ مع سائر اقرانه من الرعايا العثمانيين فاحرز رتبة ضابط عام ١٩١٦ وعهد له بالخدمة في الحال تقريبا وجرى تنسيبه الى الفرقة السادسة والاربعين حيث خاض غمار معارك كثيرة في جبهات مقدونية والعراق وفلسطين واستمر على ذلك حتى سقوط الشام بايدي القوات العربية بقيادة الشريف فيصل بن الحسين والحليفة بقيادة الجنرال ـ اللينبي ـ .

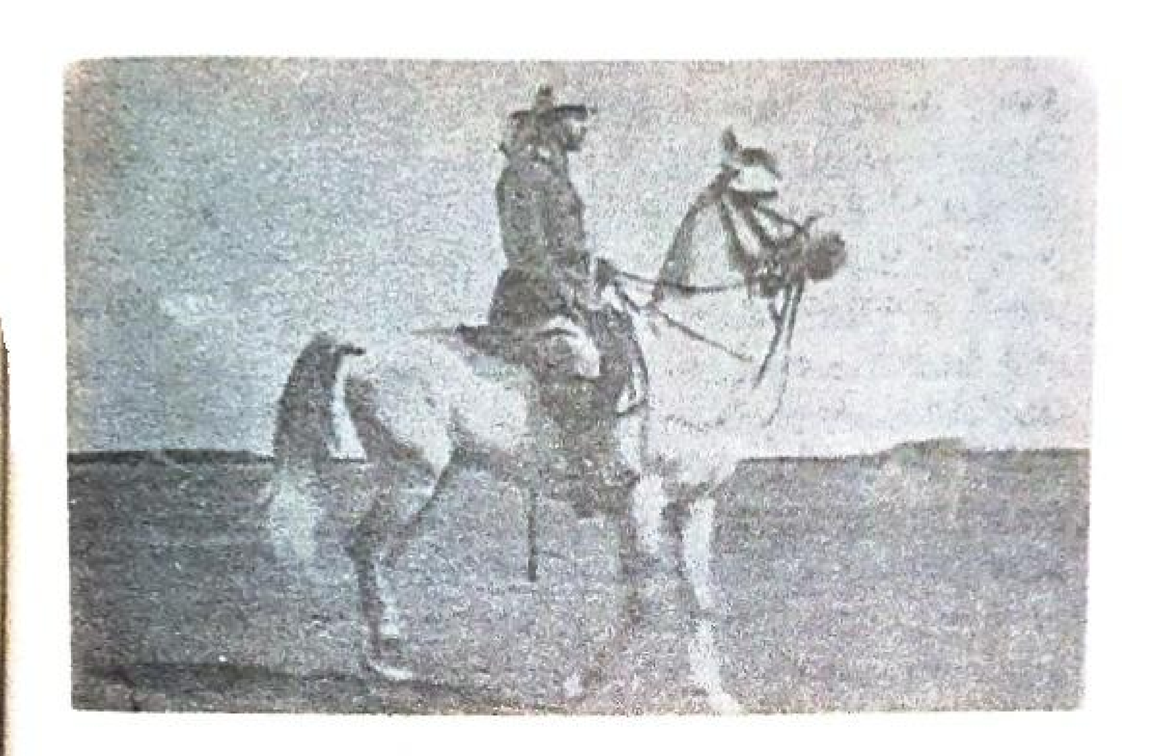
وعلى الرغم من عدم وضوح الرؤية في تلك المرحلة التاريخية بالنسبة للولاء للدولة العثمانية ، فان ـ محمودا ـ وغالبية اقرانه من الضباط العرب ، وهم من ذوي الميول القومية العربية اثناء خدمتهم في الجيش العثماني ، ارتأوا ان مصيرهم ومستقبلهم مرتبطان بالتجربة الفيصلية في سوريا حيث برزت للوجود اول دولة عربية بعد اكثر من

خمسة قرون ، وهكذا وبعد دورة في الكلية الحربية بدمشق ، التحق الضابط الشاب بالجيش السوري برتبة ملازم وذلك بتاريخ ٦ــ١٠ــ١٩١٨ ولم تؤد الهمة والحماس اللذان ابداهما ــ محمود ــ واقرانه ورؤسائه في بناء ذلك الجيش الى نتيجة اذ سرعان ما اتضح ان سوريا كانت من نصيب فرنسا بموجب اتفاقية سايكس ــ بيكو وصك الانتداب الذى نوضته عصبة الامم ، ورغم ان مجابهة فرنسا في معركة حربية كانت عملية انتحارية دون شك ، الا ان الجيش السوري الصغير بقيادة الفريق يوسف العظمة ، وزير الدفاع قرر خوضها دفاعا عن الشرف على الاقل ، وكان ــ محمود ــ الى جانبه في موقعة ميسلون يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ التي انتهت باستشهاد القائد وجرح ــ محمود ــ وتمزق ما تبقى من الجيش واحتلال دمشق وابعاد فيصل واركان حكومته منها ، وفرض السيطرة الفرنسية المباشرة على سوريا وبحلول بداية تمزيق الوطن العربي الى اقاليم لم تكن معروفة من قبل .

ما الذى بقي امام اولئك الشبان بعد التجربة الفيصلية في سوريا ؟ قسم منهم ، وبينهم ــ محمود ــ اثروا الانتظار لحين انجلاء الموقف ، بينما توجه الباقون الى العراق حيث تم وضع اللبنات الاولى في صرح بناء الجيش العراقي في ٦ــ١ــ١٩٢١ ، ويستفاد من اقوال عائلة ــ محمود ــ انه ذهب الى تركيا بناء على مشورة والده ، غير انه لم يظل طويلا هناك اذ ظلت مشاعره الوطنية تلح عليه بالعودة الى بلاده خاصة وان اثنين من اقرب اصدقائه اليه وهما صلاح الدين وفهمي قد انضما الى الجيش العراقي ، ومما لا ريب فيه ان اتصاله بهما ، وبغيرهما ، لم ينقطع في تلك الفترة ، لذا فما ان حل عام ١٩٢٤ حتى كان ــ محمود ــ في بغداد حيث دخل دار التدريب ليصبح ضابط رعيل في الكتيبة الرابعة في جيش كان في بداية تأسيسه وتكوينه .

عرف ــ محمود ــ بين اقرانه بولعه بعمله العسكرى واقباله على التعلم والتزود بالمعرفة كما كان يهوى ركوب الخيل وتربيتها ويمارس العاب الفروسية كافة لذا فلا عجب ان نراه يتنقل بين مختلف وحدات الخيالة حيث اهلته خبرته لان يعين في ٢٠ــ٤ــ١٩٣٠ مساعدا لامر المدرسة (الكلية فيما بعد) العسكرية ومدرسا للفروسية فيها حيث قيض له ان يكون استاذا للامير غازى ، ولي العهد ، الذى تعلق به تعلقا كبيرا منذ ذلك الحين بحيث كان يخاطبه ، حتى وهو ملك ، بلقب «سيدى» .

وتقول السيدة ــ مديحة ــ ان الملك فيصل اتصل بالشهيد ذات يوم عارضا عليه ان يكون مرافقا له ، وهو مركز يتطلع له الكثير من ضباط الجيش ويتشبثون بشتى السبل للوصول اليه ، الا ان ــ محمودا ــ اعتذر عن قبول العرض قائلا بانه يفضل البقاء في عمله العسكرى ، وذات يوم ، وبعد تخرج غازى ضابطا ، استدعى فيصل الشهيد واخبره صراحة



الفارس محمود سلمان امر مدرسة الخيالة .

انه يخشى على اخلاق ولي العهد من أصدقاء السوء وان الواجب الوطني يقتضي من — محمود — ان يتولى الاشراف على توجيه — غازي — بكل ما لديه من اساليب ، وهكذا نقل — محمود — في ١—٧—١٩٣٣ الى منصب مرافق الملك ، ولم تنقطع صلته بالعائلة المالكة منذ ذلك الحين ، وقد عمل باقصى جهده من اجل توجيه — غازي — في الطريق الصحيح ، الا ان ظروفا خارجة عن ارادته واحاطة الملك نفسه باصدقاء وخلان من الاشرار وموت فيصل المبكر ، كل ذلك جعل — غازي — يجنح الى الشطط بالشكل الذي تناقله الناس تلك الايام وما زال يردده البعض حتى الان ، وان كان هذا قليل الصلة بالسلوك السياسي الذي اختطه — غازي — فيما بعد ، وتأثير — محمود — فيه واضح وبين ، الامر الذي جعله يشغل مكانة لايستهان بها بين ابناء الشعب داخل العراق وخارجه مما اثار عليه غضب الانكليز وسخطهم حتى انتهى الامر بمقتله ليلة ٣ — ٤ نيسان ١٩٣٩ .

في ٢٢—٤—١٩٣٦ و — محمود — برتبة رئيس اول (رائد) جرى تعيينه امرا للحرس الملكي الا انه لم يستمر في مركزه الاخير طويلا ، اذ نقل في ٨—٧—١٩٣٦ الى مركز معاون الكتيبة الثالثة ، وبعد شهور قلائل ، اي في ٢٩—١٠—١٩٣٦ وقع الحدث الذي قيض له ان يلعب دورا مركزيا ليس في حياة — محمود — بل وسائر اقرانه او الذين شاء القدر ان يصبحوا من خصومهم ، ومجمل العراقيين من عسكريين ومدنيين ، ففي ذلك اليوم استيقظت بغداد على الطائرات تحوم في سمائها وتلقي المناشير التي تحمل توقيع الفريق بكر صدقي ، قائد القوة الاصلاحية

الوطنية كما نعت نفسه في المنشور ، وهي تهاجم حكومة ياسين الهاشمي وتعلن انه قد طلب من الملك اقالته وتعيين حكمت سليمان ـ الذى طالما لهجت البلاد بذكره الحسن ، حسب تعبير المنشور بدلا منه ، وهكذا وجد ـ محمود ـ واخوانه انفسهم امام موقف لم يخطر لهم على بال ، التعاون مع الانقلاب وقائده امر مستحيل لتباعد الافكار والمواقف ، والتصدى لهما لايقل عن ذلك استحالة ، خاصة في المراحل المبكرة ، لذا لم يكن امامهم سوى الامتثال للامر الواقع وانتظار ما يخبئه القدر .

لم تمر الا اسابيع قلائل ، حتى وجد ـ محمود ـ امر النقل الى الموصل امامه ، وبينما كان في طريقه الى هناك ، جاءه امر اخر بالتحول الى كركوك ، ولكن ماذا يعمل هناك وقد بلغت الامور منتهى السوء بعد تصرفات الانقلابيين والذين تعاونوا منهم وتعلقوا باذيالهم ؟ كانت النتيجة محتمة ، فلقد ادى تعاون الضباط القوميين ، ومعهم عدد من الاكراد الذين شعروا ان وحدة الوطن في خطر ، الى القضاء على حياة ـ بكر ـ في الموصل في ١١ـ٨ـ١٩٣٧ وبذلك اختتم فصل من تاريخ العراق السياسي ليبدأ فصل اخر .

في ٣١ـ٨ـ١٩٣٧ عاد ـ محمود ـ الى بغداد امرا للحرس الملكي كما عهد لاقرانه بمناصب حساسة ورفيعة في الجيش وهي التي استطاعوا منها ان يتولوا تسيير السياسة العراقية حتى انتهى الامر ، وبحكم تطور الظروف المحلية والعربية والدولية ، الى تحكمهم فيها حتى وجدوا انفسهم وجها لوجه امام متطلبات السياسة الانكليزية في بداية الحرب العالمية الثانية ومناورات اعوان بريطانيا ، وفي مقدمتهم نورى وعبد الاله الرامية الى وضع العراق في خدمة المجهود الحربي الانكليزى دون اخذ مصالحه ، ومستقبل العرب ، بنظر الاعتبار مما اسفر عن الاصطدام المعروف باسم «ثورة مايس» الذى سنرى انه فرض على العراق فرضا .

قبل الانتقال الى استطلاع اراء معاصرى ـ محمود ـ عنه ، نذكر انه حصل على ٤٥ كأسا فضية خلال مختلف المباريات التي خاضها ، وهو رقم لم يحصل عليه اى ضابط في الجيش العراقي . كان رياضيا بروحه وسباحا ماهرا لا يبالي بالمخاطر ، وهو ادارى ممتاز وعسكرى من الطراز الاول ، حازم لاينثني عن عزمه عندما يقتنع بصوابه مهما كلفه ذلك من ثمن ، ولا يخشى في الحق لومة لائم ، وهو حركة دائمة لايكل ولا يمل من العمل ويشعر بلذة عجيبة تنسيه الطعام والنوم اذا كان العمل يعود على الوطن بالخير والنفع .

نجح في دورة الاعوان ، ودورة الخيالة ، ودورة الرمي والمبارزة بالحراب ، وفي الامتحان التمهيدى في اللغة الانكليزية وهو من ابرز لاعبي الكرة والصولجان (البولو) في العراق . وكان فارسا لايشق له غبار ،

ولهذا فلا غرابة ان اتخذ له الاسم السرى «فارس» عنـدما ادرك المفتي والكيلاني والسبعاوى والعقداء الاربعة ان الوقت قد حان للوقوف بوجه الانكليز واعوانهم بعد ان ايقنوا ان النية متجهة بصراحة نحو تفريق شمل العقداء تمهيدا لاسقاط حكومة ــ طه ــ وفرض السياسة الانكليزية على العراق وشعبه قبل ثورة مايس بايام .

اتجه الرأى عام ١٩٣٩ الى تعيين ــ محمود ــ قائدا للقوة الجوية لاعادة الضبط والربط اليها ، غير انه قابل ذلك ، في البداية ، بالرفض ليس من قبيل العجز او التواني ، بل لانه اصر على تعلم الطيران ، وهو في سن الاربعين ، قائلا : « وكيف استطيع السيطرة على القوة الجوية وانـــا لا اعرف الطيران ؟ » ، وبالفعل تمكــن من التدريب ليس علــى الطيران النهارى ، بل والليلي ايضا مضافا اليهما المعلومات النظرية ولم تستغرق الدورة اكثر من ستة اشهر ، ولقد وصلتنا الرواية التالية عنه :

« اراد نورى ، رئيس الوزراء ، وطه الهاشمي ، وزيــر الدفاع ، التوجه الى الموصل جوا في اوائل عام ١٩٤٠ ، وعندما ارتقيا الطائـــرة موجيء نورى بعدم وجود طيار سوى قائد القوة الجوية نفسه . وعندما تساءل عمن سيقود الطائرة اجابه ــ طه ــ بان ــ محمودا ــ هو الذى سيفعل ذلك . ولما كان نورى لايعرف مدى اتقان القائد لفن الطيران ، فانه رفض قيام الطائرة في اول الامر ولم يقتنع الا بعد ان قال له طـــه : باشا ، وهل سيظل محمود على قيد الحياة في حالة سقوط الطائرة ؟[1] »

في ١٠ــ٨ــ١٩٣٨ كتب « جندى بسيط»[2] مقالا في مجلة «الرابطة» القاهرية تحت عنوان : « بمناسبة مظاهرة الخيالة ، المقدم محمود بك سلمان ، امر مدرسة الخيالة العراقية » نقتبس منه ما يلي لموضوعيته وجديته وانتفاء الغاية الشخصية منه :

« استوقف نظر الذين درسوا التاريخ بامعان ما راوه في التـــاريخ من التحدث عن الشخصيات العسكرية .. فقد اراق العسكريون دماءهم على الارض ، واخرجوا ارواحهم رخيصة من حنايا الضلوع وابتكــروا الموت الشريف في سبيل الوطن العزيز ... وعلموا الناس كيف يبتسمون للموت الزؤام . انعتب على التاريخ ــ بعد ذلك ــ ان فتح صدره رحبــا فسيحا ، والتاريخ مكتوب للناس ، والناس يستفيدون من اخبار الشجاعة والاقدام ويستطيبون ذكر الدماء الغالية المراقة في سبيل الواجب المقدس .

---

(١) العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي في ١٣ــ٣ــ١٩٧٦ .

(٢) لم نستطع معرفة اسمه ويرجح ان يكون من اخواننا المصريين .

« هذه ناصعة نكتبها للحقيقة والتاريخ ، عن ضابط عراقي قدير هو المقدم محمود بك سلمان ، تقديرا لجهوده التي بذلها في تنظيم مظاهرة الفروسية الكبرى التي اقامتها مدرسة الخيالة العراقية وشهدها اعاظم رجال العراق ...

« هو شخصية لامعة في الجيش العراقي الباسل ، اشتهر بالشجاعة والاقدام والتضحية والثبات على المبدأ واداء الواجب بلا توان .



قائد القوة الجوية :
معلم الطيران النهاري
والليلي وهو ابن الاربعين !

« بدأ حياته العسكرية برتبة ملازم ثاني وبمنصب امر سرية في الجيش العثماني ... فالتحق بالجيش العربي يوم ١٠ لتشرين الاول سنة ١٩١٨ ، ثم رجع الى العراق بعد معركة (ميسلون) ، وفي ١٠-٣-١٩٢٤ انتسب الى الجيش العراقي الباسل ، وهو لايزال فيه حتى يومنا هذا ينافح عنه بالنفس والنفيس ، اذ ان الروح الوثابة التي يحملها المقدم محمود سلمان لم تجعله يقنع بما عنده من علم عسكري كما يفعل الاكثرون حينما يتسنمون وظيفة او يرتقون الى منصب ، فقرر ان يزيد علمه ويكمل ثقافته ... والسبيل الى ذلك دخول الدورات التي تقام للضباط في المدرسة الحربية من وقت لاخر . دخل دورة ضباط الاعوان فنجح بدرجة اولى ، ودخل دورة الرمي فنجح بدرجة ممتازة ، ودخل دورة الخيالة فنجح بدرجة اولى فماذا بعد هذا من دورات وماذا بعد هذا من نجاح ؟

« بعد هذا كله لا تنتظر ان يفيد الذين ستلقى مقاليد امورهم اليه ؟ لقد كان ذلك ، فقد اظهر مقدرة ممتازة في كل مهمة القيت علـــى عاتقه ، وماذا تكون نتيجة من يكون الاخلاص رائده والصدق مبتغاه ؟[1] ...

« والان يتولى المقدم محمود سلمان امرية مدرسة الخيالة ، التي تخرج للجيش العراقي ضباطا للخيالة ، ومن المفيد ان نذكر ان الدورة التي تخرجت هذه السنة كانت افضل الطبقات .. وهو الى ذلك رياضي مشهور ومن ابرز لاعبي الكرة والصولجان (البولو) في العراق وقد احرز كؤوسا كثيرة وجوائز عديدة في هذه اللعبة ، منها كأس الملك ، فقد فاز به سنتين متعاقبتين ٣٧ ــ ٣٨ ، واقام في هذا العام معرضا للخيل ضرب به رقما قياسيا في النظام والروعة وادهش الانكليز انفسهم ، ولـــو كان في العراق شركة سينمائية تستطيع نقل صور هذا المعرض لبرز العراق على رقوق السينما خير ما يبرز لاكبر امة تجيد الفروسية ، ولكان ذلك اكبــر دعاية للعراق ، وما يقال عن هذا المعرض يقال عن المظاهرة الكبرى التي اقامتها مدرسة الخيالة يوم ١٤ــ٧ــ١٩٣٨ التي جعلت الناس كبيرهـــم وصغيرهم يدهشون من رؤية البطولة والشجاعة في الفروسية الحقـــة والركوب القوى ، فاسألوا الاكف التي غلبت عليها من الدماء التصفيف والحناجر التي غلب عليها الاعياء من الهتاف ان كنتم لاتعلمون .



محمود سلمان ــ الثاني من اليسار ــ لاعب البولو .

---

(١) تقول السيدة ــ مديحة ــ انها لم ترد ــ محمودا ــ ولا مرة واحدة اعتبارا من بدء العمليات العسكرية في ٢ مايس وانه ظل يقود العمليات الجوية من مطـــار المثنى الحالي وانه لم يعد الى داره الا يوم ١٥ مايس حيث مكث بعض الوقت .

« وبعد هذا فان محمود سلمان مثال العسكري الكامل ومثـــال الاخلاق الفاضلة وهو حركة دائمة لاتعرف الكلل ولا الملل لصالح هـــذه البـــلاد .

« ايها الكرام من اراد ان ينجح في اعماله فليقتف اثر المقدم محمود سلمان ، اكثر الله من امثالك يامحمود واعانك على خدمة خير امة اخرجت للنـــاس[1] » .

في ٦ـ٥ـ١٩٦٧ ، ظهر مقال في بغداد بعنوان : « من عبير الشهداء » نقتطف منه ما يأتي : « اول الشهداء الذين عرفتهم هو المرحوم محمـــود سلمان فقد كان سنة ١٩٣٨ امرا لمدرسة الخيالة ، وكنت تلميذا في تلك المدرسة ، لذلك كنت اراه كل يوم في اوقات التدريب واوقات المحاضرات .

كان في منتهى النشاط والحيوية ، وكان يعمل باستمرار بدون كلل ولا ملل وكان يراقب تلاميذه عـــن كثب ويبذل جهده لمعـــاونتهم في حـــل مشاكلهم الرسمية او الشخصية .

كان يبدو بوضوح بانه عسكري متميز وانسان متميز ايضا .

كان عسكريا متميزا ، لان اسلوبه في التدريب كان رائعـــا حقا ، ومحاضراته النظرية كانت مركزة مفيدة .

وكان من ابرز لاعبي ـــ الكرة والصولجان ـــ ليس في العـــراق فحسب ، بل في البلاد العربية كلها .

وكان انسانا متميزا ، لانه كان يتدخل بشؤون الذين بامرته صغارا كانوا ام كبارا ويحاول جاهدا حل مشاكلهم المادية والمعنوية .

اذا مرض احد رجاله حمله بسيارته وزار معه الاطباء ، فاذا استقر في المستشفى اكثر من زيارته واكثر من توصية الاطباء به خيرا .

واذا فرح احد رجاله شاركه في افراحه ، واذا الم به الحزن شاركه في احزانـــه . وكان يعرف تفاصيل دقيقة عن مشاكل رجاله ، وهو حاضر دوما للتخفيف من اعباء تلك المشاكل بدون سؤال ولا مطالبة ، بل هـــو الذي يبدأ بالسؤال والمطالبة دوما .

انه لم يكن (امرا) في هذه الناحية ، بل كان (ابا) مثاليا .

وصلته برجاله لاتنتهي بانتهاء مدة الدورة في مدرســـته ولا تنتهي بالنقل من وحدته بل تستمر بعد ذلك طويلا .

كان كلما زار وحدة من وحدات تلاميذه ، سأل عنهم واشـــتاق لرؤيتهم وساندهم عند امريهم ، وتحدث عن مزاياهم مفاخرا معتزا .

لقد كان انسانا رفيعا يمتلك موهبة فن ـــ التشجيع ـــ فكان يبني دائما ولايهدم ويرفع القواعد ولا يحطم ...

---

(1) مجلة الرابطة ـــ ، المجلد الخامس ، السنة الثالثة ، الجزء ١١٢ ، القاهــرة فــي ١٠ـ٨ـ١٩٣٨ .

انه كان من اولئك الذين يبنون الرجال ، وصدق الشاعر :
يبني الرجال ، وغيره يبني القرى
شتان بين قرى وبين رجال
وكان يحث رجاله على القراءة والتتبع والبحث والكتابة وكان يرشدهم الى الكتب النافعة المفيدة ، وينشر لهم ما يكتبونه ويذيع لهم احاديثهم في الاذاعة ، وكان يبدي اعجابه الشديد بما يكتبه تلاميذه ، حتى ولو كان ما يكتبونه سخفا وهراء .

واليوم يقرا بعض تلاميذه بعض نتاجهم الفكري في ايامه فلا يرون فيه غير توافه مكتوبة لاتستحق الجهد والعناء . وحين يذكرون تشجيعه الفذ لهم على هذا النتاج التافه ، وهو من هو عقلا وعلما وخلقا ، لايجدون مايبرر تشجيعه لهم ، الا انه بذلك التشجيع يدلهم على الطريق السوي ، ثم يسير معهم خطوات ، فاذا اطمأن الى سيرهم تركهم في مسيرتهم حتى يحققوا اهدافهم المرسومة بيسر وسهولة او بمشقة وعناء .



محمود سلمان وخمسة واربعون كاسا : رقم لم يسبق له مثيل في تاريخ الجيش العراقي

والخطأ بعده الصواب ، والنقص بعده الكمال ، والمهم هو السير على الدرب ، وعدم الركود ، لان الحركة حياة والوقوف موت ، كما كان يقول رحمه الله .

ولم اكن اعرف عام ١٩٣٨ ان محمود سلمان كان عضوا بارزا في منظمة وطنية في الجيش ، ولكنني كنت اسمعه يتحدث عن جرائم الاستعمار ، وعن ضرورة انقاذ البلاد من شروره ، وعن اهمية الوحدة العربية ، وعن مشكلة فلسطين ، منتهزا وجوده بين طلابه في اوقات التدريب والمحاضرات وكان حديثه عن كل ذلك حديث المتمكن المتين القوى المتحمس ، وكان يبدو واضحا ان تلك الاحاديث هي الاحاديث المفضلة عنده .

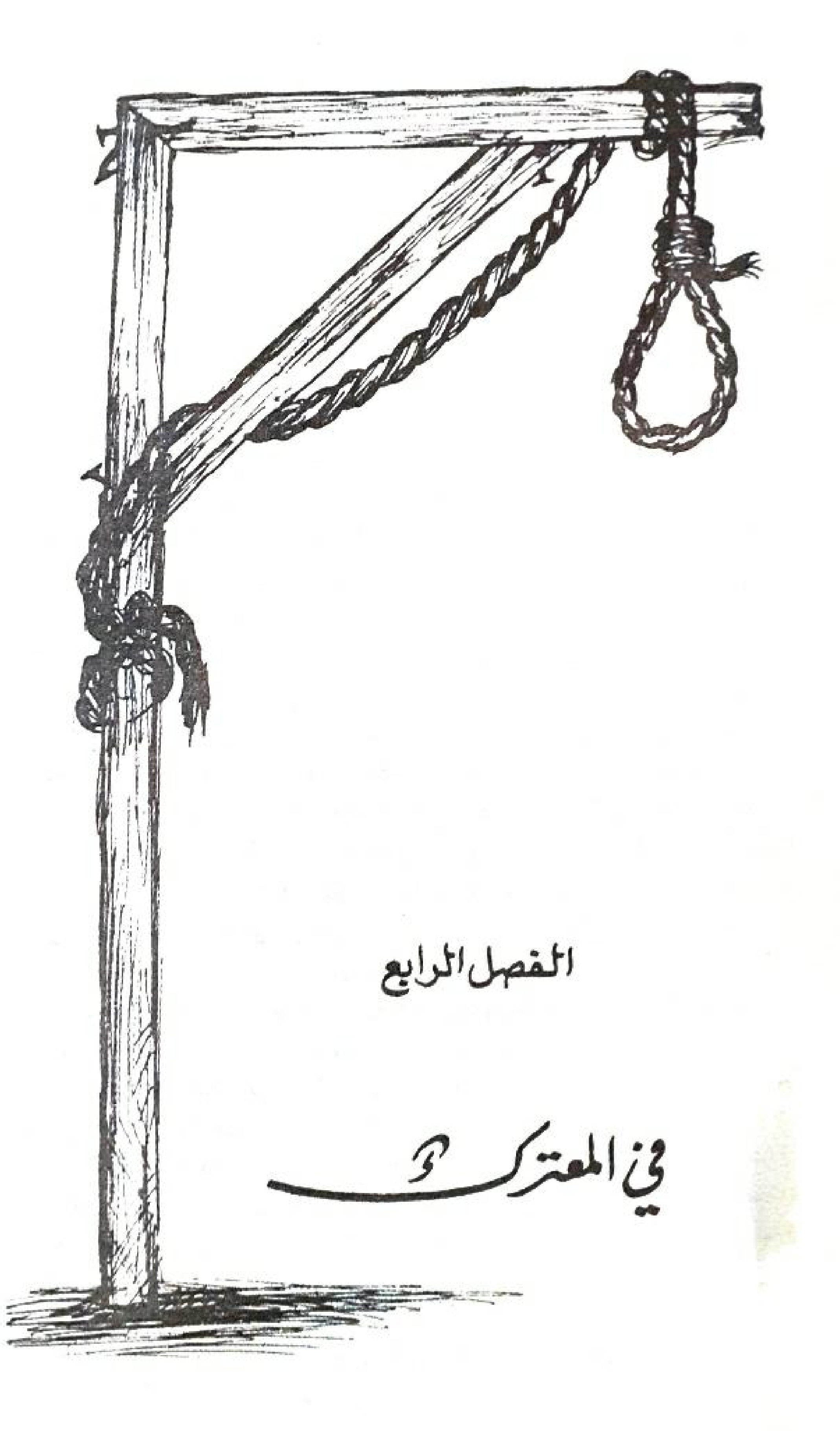
والذين يذكرون سطوة الاستعمار وقوته في العراق حينذاك ، ويتذكرون ان الجيش محظور عليه حتى التنويه بالقضايا السياسية يدركون اى خطر داهم كان يهدد مستقبل محمود سلمان لتحدثه علنا بالقضايا المصيرية للشعب العربي عامة والعراق خاصة — من اخطار جسام .
ولكن الرجل لم يأبه بتلك الاخطار ، ولم يكترث ابدا لمصيره ، اذ كان في شغل شاغل عن كل ذلك بخدمة امته ووطنه ، ومن وسائل تلك الخدمة الصادقة ، بناء رجاله ليكونوا قادة المستقبل بحق .

واخر مرة رايت المرحوم محمود سلمان ، يوم ٢٧ مايس ١٩٤١ فقد كان قائدا للقوة الجوية ، ولكنه خف لزيارتي حين علم باصابتي بجروح كثيرة خطرة قبل ايام في منطقة — الفلوجة — ولا تزال كلماته يومها ترن في اذني حتى اليوم ، وساذكرها ما حييت باذن الله ، فقد قال :
الحمد لله .. لقد بيض تلاميذى وجهي .

لقد كان عليه رحمه الله رجلا..[1]»

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب ، جريدة العرب ، ٦—٥—١٩٦٧ .



الفصل الرابع

في المعترك

بدأ محمود سلمان ـ حياته العملية سنة ١٩١٦ ضابطا برتبة ملازم في ظل ثلاثة اوضاع قيض لها ان تلعب ، فيما بعد ، دورا حاسما في تكوين تفكيره الشخصي والعسكري وتحديد مسار حياته حتى النهاية ، كانت الدولة العثمانية في خضم الحرب العالمية الاولى ، ومن الطبيعي انها ماكانت لتستغني عن خدمات كل عسكري متوفر لديها وهكذا وجد الضابط الشاب نفسه وسط لهيب المعارك برتبة امر سرية في جبهات متعددة . ولقد كانت الخبرة التي اكتسبها اضافة الى مزاياه العملية وتفوقه ، ذات اثر بارز في تقدمه السريع داخل الجيش العراقي عند انضمامه الى صفوفه عام ١٩٢٤ وكذلك في تأهيله واعداده لاشغال اعلى المراكز العسكرية واكثرها اهمية وحساسية واجتيازه مختلف الدورات العملية والنظرية بنجاح مرموق اثار دهشة معاصريه وعارفيه .

وعندما انفجرت الحرب المذكورة عام ١٩١٤ كان عمر السيطرة العثمانية على اجزاء واسعة من الوطن العربي قرابة اربعة قرون وان كانت بعض هذه الارجاء قد احتلت ، في غضون ذلك ، من قبل هذه الدولة او تلك كما هو الحال مع الشمال العربي الافريقي الذى توزع ، على شكل اسلاب ، بين فرنسا واسبانيا وايطاليا وبريطانيا وكذلك الخليج العربي الذى استولت عليه الاخيرة ، غير ان الوجود العثماني ظل قويا وملموسا في الاقاليم العربية القريبة من تركيا اى العراق وبلاد الشام والحجاز . ومع وجود الرابطة الدينية بين العرب والعثمانيين مما اضفى صفة خاصة على العلاقات فيما بينهم . الا ان الشعور القومي العربي بدأ بالانبعاث منذ مطلع الربع الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى في اعقاب اليقظة العلمية والادبية الحديثة ، اى بعد افتتاح المدارس الحديثة المختلفة في سوريا ولبنان ، وانتشار المطابع العربية فيهما وانتقال عدد من ادبائهما الى مصر ، وطبع مخطوطات كثيرة من تراث الاجداد في مطابع القاهرة ولايبزغ ولندن وباريس وغيرها .

وبعد ان زالت الغشاوة عن عيون العرب نتيجة لهذه النهضة ، ونشأت نخبة من المثقفين بالثقافتين العربية والغربية ، وفي هذه النخبة خاصة ظهر اكبر رجال اثاروا الشعور القومي العربي فبدأ يسرى في العالم العربي بعد ان لبث فيه مستكنا زمنا طويلا ، وكانت الظاهرة التي لازمت هذه اليقظة تاليف جمعية اسمها «الجمعية العلمية السورية» عام ١٨٥٧ وهي التي صدر عنها اول نداء معروف للقومية العربية حديثا وهي القصائد الوطنية الثورية التي نظمها «ابراهيم اليازجي» خاصة تلك التي هذا مطلعها :

تنبهوا واستيقضوا ايها العرب
فقد طمى السيل حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالامال تخدعكم

وانتم بين راحات القنا سلب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم
تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

وقد انتشرت هذه القصيدة ، وغيرها ، في السر ورددتها السن الشباب في بيروت ودمشق على الاخص ، فكانت على راى الكثيرين ، اول بذرة بذرت في حقل الحركة القومية العربية ، ولقد ادى اتساع المشاعر بهذا الشكل الى تتابع بروز الجمعيات والنوادى والحلقات منها « حلقة الشيخ طاهر الجزائرى» و «حلقة دمشق الصغيرة» المتفرعة عنها و «جمعية النهضة في اسطنبول عام ١٩٠٦» . وفي ذات الوقت لايمكن انكار الدور الذى لعبه كتابا ــ عبد الرحمن الكواكبي ــ اللذان نشرهما في اواخر القرن التاسع عشر وهما «طبائع الاستبداد» و «ام القرى» ولقد كان الاول صرخة مدوية في وجه المستبدين ودعوة صادقة الى نهضة اجتماعية وسياسية تتحطم فيها سلاسل الاستبداد في الدولة وينعم الناس بنعيم الحرية ، وينتهي الكتاب بدعوة المسلمين والنصارى من العرب الى الاتحاد وتناسي الاحقاد .

وفي هذا الجو ايضا ، برزت «جمعية المنتدى العربي» التي انشأها عدد من الموظفين والنواب ورجال الادب والطلاب العرب في القسطنطينية (اسطنبول) عام ١٩٠٩ ، ثم اقامت لها فروعا في عدد كبير من المدن السورية والعراقية ، وكانت الجمعية مركزا لالتقاء العرب المقيمين في العاصمة العثمانية ، ومع انها لم تكن من وجهة النظر الرسمية جمعية سياسية ، الا انها كانت في الحقيقة تباشر وتمارس نشاطا سياسيا كاملا ، واما الجمعية السرية التي كانت تقابلها من حيث القطاع الاجتماعي الذى تحتويه وهو المثقفون المدنيون فكانت «جمعية العربية الفتاة» التي تكونت في باريس عام ١٩١١ وحددت هدفها باستقلال البلاد العربية من الحكم العثماني والاجنبي ، وقد انتقل مركزها الى بيروت عام ١٩١٣ ، ولما دخلت الدولة الحرب الى جانب الالمان في اواخر تشرين الاول ١٩١٤ انتقل المركز الى دمشق مع بقاء فرع في بيروت ، وثمة نوع اخر من الجمعيات السرية ظهر عام ١٩٠٨ ممثلا في «الجمعية القحطانية» التي تضم بصفة خاصة الضباط العرب في الجيش العثماني وكان هدف الجمعية تحويل الامبراطورية العثمانية ، بجناحيها العربي والتركي الى امبراطورية ثنائية تشبه امبراطورية النمسا والمجر وبذلك تقوم دولة عربية موحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية ولغتها الرسمية الى جانب دولة تركية تتمتع بنفس المميزات ، وكانت «جمعية العهد» ايضا من الجمعيات ذات الطابع السرى .

ولقد حدثت محاولات قبل الحرب العالمية الاولى لتجميع هذه القوى المبعثرة ممثلة بالجمعيات باتجاهاتها المختلفة ، وكان ابرز واوضح امثلة

هذا التجمع انشاء «جمعية او حزب اللامركزية» في القاهرة اواخر ١٩١٢ وهو الحزب الذى ذابت فيه الكثير من هذه الجمعيات العربية ، وكان هدف الحزب كما يتضح من اسمه اقامة نظام لا مركزى في حكم الولايات العربية داخل اطار الدولة العثمانية وتعبئة الراى العام لتأييد هذا المطلب .

وفي اثناء نمو اليقظة العربية ، اخذت تنشط عند العثمانيين عصبية تركية ترمي الى صبغ الامبراطورية بصبغة تركية ، ولقد اعتقد معظم اعضاء جمعية الاتحاد والترقي بعد اسقاط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ان سياسة التتريك ستصهر بقية عناصر الامبراطورية العثمانية في بوتقة تركية واحدة ، ولما قام بعض العرب بتأسيس الجمعيات والنوادى التي اشرنا اليها ، سارعت السلطات التركية الى اخماد نشاطها واغلاق ابوابها مع ان بعضها كان يدعو الى الاخاء العربي العثماني ، وتمسك الترك باسلوب الادارة المركزية الشديدة بدلا من العمل على تخفيف وطأتها ، وعندئذ قام نوع من التفاهم السرى بين نفر من رجال الاصلاح العرب المتذمرين ومن ضباط الجيش .

وعندما عقد المؤتمر العربي في باريس عام ١٩١٣ ، لم تخطر فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية على بال المؤتمرين ، بل بالعكس كانت كلمات الخطباء كلها تنصب على الاحتفاظ بوحدة الامبراطورية شريطة الاعتراف بحقوق العرب ، عن طريق اشراكهم في حكم بلادهم ضمن الشكل الادارى اللامركزى . وعد الاتحاديون بالاصلاح على اساس تنفيذ معظم قرارات المؤتمر العربي في باريس ، ولكنهم عمليا لم يقوموا باية خطوة حاسمة في سبيل ذلك ، فاستنكر العرب تسويف العثمانيين وعدم وفائهم بالعهد ، ولكنهم لم يكونوا يملكون سوى الاحتجاج وهو اضعف الايمان .

والواقع ، فان الجمعيات العربية ، حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ما كانت تنوى الانفصال عن الامبراطورية لسببين : الاول هو تمسك العرب بالخلافة الاسلامية والرابطة العثمانية ، والثاني هو خوفهم من تسرب النفوذ الاجنبي الى بلادهم ، وكان خطره يبدو في الافق القريب . ولكن بعد انحياز تركيا لدول الوسط[1] ، وعنف مظالم حكام الاتحاد والترقي ، وبعدما كان من مذابح جمال باشا في سوريا ولبنان للقضاء على القوميين العرب ، لبست النهضة العربية ثوبا جديدا فاصبحت جامعة قومية سياسية .

---

(١) المانيا القيصرية والنمسا والمجر .



الحاج امين الحسيني

برتبة ملازم في الجيش

العثماني :

كان في فوج واحد مع

محمود سلمان.

في خضم كل ذلك ، كان ـــ محمود سلمان ـــ قد اجتاز تعليمه المدني والعسكرى حيث احرز رتبة ضابط عام ١٩١٦ اى قبل ان يتجاوز الثامنة عشرة من العمر . ومما لاشك فيه انه ، وسائر ابناء قومه من المتعلمين العرب ، قد تأثروا بالافكار القومية التي اخذت معالمها الرئيسة بالبـــروز الى الوجود عن طريق الادبيات من شعر ونثر وخطابة وكذلك الجمعيات والحلقات والنوادى التي تطرقنا لها بالذكر والتي كانت تتطلع الى اعـــادة تكوين دولة العرب وبعث القومية العربية ، واذا كانت الادلة التاريخية المؤكدة غير متوفرة عن الجمعية التي انتمى اليها الشهيد ، فان ما اورده الحاج امين الحسيني ، مفتي فلسطين فيما بعد ، يمكن ان يعطينا صورة

تقريبية عن واقع الحال : «اما القادة الثلاثة السادة محمود سلمان وصلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ، فقد عرفتهم عام ١٩١٥ اثناء الحرب العالمية الاولى ، وكنا جميعا ضباطا في الوية الفرقة السادسة والاربعين العثمانية، وكنت انا والسيد محمود سلمان في فوج واحد ، وكنا جميعا متفقين في الاراء والمبادىء[1] » ، واذا عرفنا ان الحسيني نفسه كان منتميا الى احدى هذه الجمعيات ويرجح ان تكون «العهد» التي اقتصرت عضويتها على الضباط العرب خلافا لجمعية «الفتاة» المختلطة ، فمن المرجح ان يكون ــ محمود سلمان ــ عضوا في الجمعية المذكورة .

وعلى الرغم من ان الضباط العرب كانوا يخدمون في الجيش العثماني على قدم المساواة مع اقرانهم الاتراك ، الا انهم ، ما كانوا يعتبرون انفسهم الا عثمانيين اى من تبعية الدول العثمانية المسلمة ، اما احساسهم بعروبتهم فانه لم يبق على حاله فحسب ، بل وازداد مع ظهور بوادر الاستعلاء التركي بعد انقلاب ــ حزب الاتحاد والترقي ــ واستمر ذلك الشعور بالتنامي حيث تجسد بانتماء الغالبية الساحقة منهم الى مختلف الجمعيات السرية سيما «العهد» و «الفتاة» وكان ذلك من العوامل التي زادت من روابط الصداقة والتقارب بين مختلف الضباط العرب العاملين في الجيش العثماني ، وهنا جاء ثالث الاوضاع التي بدأ ــ محمود سلمان ــ حياته العملية فيها ، فقد كان يزامله في الفرقة السادسة والاربعين الملازمان صلاح الدين الصباغ ومحمود فهمي سعيد ، هذا اضافة الى وجود الملازم امين الحسيني في فوجه بالذات ، ولقد قيض لهذه الرفقة ان تتحول الى علاقة هي اقرب ما تكون الى الاخوة او بالاحرى الاخوة نفسها ، وظلت تلعب دورا متواصلا في حياة الضباط الثلاثة ، وهي، من بين عوامل اخرى ، التي احكمت علاقة الحسيني بهم من جهة ، وبالسياسة العراقية ، وانعكاسها على الوضع العربي وتاثرها به ، من جهة اخرى سواء عند قدومه للاقامة في العراق عام ١٩٣٩ او قبل ذلك .

وعندما اندلعت الثورة العربية في الحجاز والتي قادها الهاشميون بزعامة الحسين ، شريف مكة ، في حزيران ١٩١٦ بعد سلسلة المكاتبات المعروفة مع مكماهون ، نائب الملك في مصر وغيره من المسؤولين الانكليز وصدور الوعود المعطاة للعرب ، كان الشهيد في بداية حياته العسكرية ، وفي غضون ذلك توجه عشرات الضباط العرب ، سواء الذين كانوا خارج نطاق يد الاتراك مثل عزيز المصرى وسليم الجزائرى ومولود مخلص وعلي النشاشيبي وجميل المدفعي ، او الذين وقعوا اسرى بيد البريطانيين وابرزهم جعفر العسكرى للعمل مع الشريف ، غير ان هؤلاء كانوا من كبار الضباط ، اما غيرهم من الضباط الصغار ، مثل محمود سلمان ، فانهم

(١) مجلة «فلسطين» ، العدد ٧٧ ، السنة السابعة ، ص ٢٢ .



فيصل ملك سوريا ١٩٢٠ : تجربة حافلة بالمآسي .

وحتى لو ارادوا الانضمام الى الثورة المذكورة ، فان ذلك كان من قبيل المستحيل لوجودهم الفعلي في الخدمة وتحكم الاتراك التام بالوضع ، فاندفعوا في اداء واجباتهم بتفان واخلاص لهذا نراه وقد اشترك في معارك كثيرة في مقدونية والعراق وفلسطين واصيب في معركة «المصلبة» برصاصة في ذراعه الايمن فلم يثنه ذلك عن عزمه وواصل الحرب حتى سقوط الشام بايدى الجيش العربي والحلفاء .

على ان الوضع الجديد ترك بصماته بعمق ليس على تفكير الشهيد وحده وتحديد رد فعله ازاء الاحداث ، بل وعلى مجمل الضباط العرب الذين تركوا الجيش التركي ووضعوا انفسهم تحت تصرف الحكم العربي في سوريا ، خاصة بعد ان بدأت الحكومة بانشاء جيش نظامي يدعم العهد الجديد ويساعد على السير في الخطوات التي تحقق امل العرب واهداف ثورتهم ، لم تكن الريبة تساور اى عربي ازاء الذين استمروا في الخدمة لدى العثمانيين من عسكريين ومدنيين لذا : «كانت الحكومة العربية في دمشق تبحث عن العلماء في كل مكان وتسلم الاخصائيين الاكفاء ممن استدعوا من مصر واسطنبول وانحاء البلاد العربية مختلف شؤون الحكومة[1]» .

(١) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ، ص ٢٦٢ .

وعلى الرغم من ان سلطة حكومة فيصل لم تشمل سوريا الاصلية، او الشام كله ، الا ان نهوض الدولة العربية اظهر لاول مرة بعد عصور مستمرة من الخمول والانحطاط ، ان عودة العرب الى مجرى التـــاريخ وبعثهم كامة واحدة ليس ضربا من الاحلام يراود نفرا من المثاليين ، وانما هو وليد حي شهد النور في فورة من الحماس القومي الرائع وجابه مطامع الاستعمار قبل ان يشتد منه العود . ولقد بدا دخـــول فيصل دمشـــق وكأنه تحقيق لامال رجال الحركة العربية في الاســـتقلال اذ نصب فيصل ملكا على سورية ورفعت اعلام العرب فوق تلك البلاد ، وقوبل هـــذا الحدث بفرحة كبرى في الاوساط العربية . ومن المؤكد انه كان سببا فـي تنامي الامل باتساع نطاقه ليشمل الاقطار العربية الاخرى ، اى انه كان حدثا تحرريا ووحدويا في ذات الوقت .

«وعلى هذا الاساس شكل فيصل حكومة عـــربية من ســـوريين وفلسطينيين وعراقيين وحجازيين في دمشق التي اصبحت مركز الثقـل العربي حينذاك ، واخذوا يعملون يدا واحدة في مجابهة دسائس الاستعمار ، ووضع اسس جديدة لدولة عربية حديثة بعيدة عن العصبيات الاقليميـــة والطائفيـــة . فالاقليمية لم يكن لها اثر في ذلك الزمن ، وكان لكل عربي الحق بان يتولى عملا في الحكومة على حسب ما عنده من معرفة ومـــن خبرة بذلك العمل ، فرئيس الدولة ، او المنطقة ، مثلا ، كان حجـــازيا ، ومدير العدل لبنانيا ومدير المالية لبنانيا متمصرا ، ومدير المعارف سوريا من حلب ، ومدير الشرطة فلسطينيا من نابلس ، ومدير الصحة والاسعاف لبنـــانيا من زحلـــة ، ورئيس اركـــان الجيش عراقيـــا ، ورئيس ديوان الشورى ـــ مجلس الدولة ـــ دمشقيا ، ومدير الداخلية بيروتيا وهكذا ، ولم يكن للاديان ولا للطائفيات اعتبار في تولي مناصب الحكومة ، فقد كان في المناصب الكبرى السني والشـــيعي والعلـــوى والدرزى والمـــاروني والارثوذكسي والكاثوليكي والبروتستانتي وجميعهم يخدمون في حكومـــة عربية ، ويعملون لقضية العروبة»[1].

اذن ، في خدمة هذه التجربة وضع محمود ســـلمان ومعه صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد انفسهم وصمموا على عدم ادخار اى جهد ، مهما كان ضئيلا ، من اجل انجاحها وتوسيع نطاقها ، فهي الحكم الـــذى تحول الى واقع بعد قرون من تيه الامة العربية في دياجير الفرقة والجهل والتخلف والبؤس ، غير ان الاطماع الاستعمارية سرعان ما وادت هـــذا الوليد ، ذلك ان الحلفاء الذين كانوا قد عقدوا عام ١٩١٦ اتفاقية سايكس ـــ بيكو التي تقضي بتقسيم الاقطار العربية التي كانت خاضعة للســـيطرة العثمانية بين بريطانيا وفرنسا ، واصدروا وعد بلفور عام ١٩١٧ والذى يقضي «باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين» ، ان هؤلاء الحلفاء استمروا

---

(١) مصطفى الشهابي : القومية العربية ، ص١٢٢,١٢٣

في تطبيق سياستهم المقررة هذه في الخفاء والعلن ، لذا فان فرنسا اصرت على فرض انتدابها على سوريا ولبنان وذلك تحت غطاء تطبيق القرار الذى اتخذته عصبة الامم في مؤتمر «سان ريمو» بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠ .



يوسف العظمة وزير دفاع سوريا وشهيد ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠ : حارب محمود سلمان الى جانبه حتى جرح .

وكان المفروض ان يكون الانتداب من نوع «آ» وفقا للمادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم والذى تعتبر البلاد التي يفرض عليها الانتداب بلادا مستقلة تتمتع بسيادة داخلية وخارجية وان لاتتعدى صلاحيات الدولة المنتدبة ، النصح والارشاد ، غير ان فرنسا وانكلترا ظلتا تعملان لدى عصبة الامم حتى استطاعتا اخذ موافقة العصبة على صكوك الانتداب التي اصبحت الدولتان ، بموجبها ، وصيتين على سوريا ولبنان والعراق وفلسطين وشرقي الاردن لامنتدبتين عليها .

ولقد قوبل هذا القرار المجحف بالرفض والاستنكار الشديدين من جانب الشعب العربي في كل مكان ، وكان من نتائجه المباشرة انفجار ثورة العشرين في القطر العراقي وشقيقتها في فلسطين في ٤ نيسان ١٩٢٠ وثورة يافا في ١١ مايس ١٩٢١ ، غير ان فرنسا اصرت على تطبيق خططها بشأن سوريا ، ولم تفد محاولات الملك فيصل التوصل الى تسوية ما معها شيئا رغم اتصاله ، نهاية الامر ، بقناصل الدول الكبرى في دمشق وابلاغها مضمون الانذار الشفهي الذى وجهه الجنرال غورو ويتضمن ما يلي :

ا ـ وضع سكة حديد رياق ـ حلب ، تحت تصرف الجيش الفرنسي .
ب ـ قبول الانتداب الفرنسي .
ج ـ الغاء التجنيد الاجبارى وتسريح المجندين .
د ـ قبول الاوراق النقدية (الفرنسية) التي اصدرها البنك السورى (في بيروت) .
هـ ـ معاقبة المجرمين (المجاهدين) الذين استرسلوا في معاداة فرنسا[1] .

ازاء هذا الموقف المتعنت ، لم يكن امام الشعب السورى وجيشه الفتي الصغير سوى المقاومة دفاعا عن الشرف على الاقل ، فكانت موقعة ميسلون في ٢٤ تموز والتي ابدى فيها السوريون بقيادة وزير الدفاع ، يوسف العظمة ، بطولة نادرة وبسالة منقطعة النظير ، غير ان ذلك لم يحل دون النتيجة المعروفة مسبقا ، فقتل العظمة وتمزق الجيش السورى تحت ضغط الجيش الفرنسي باسلحته الكاملة واحتلت دمشق ، وانزل العلم العربي وارتفع العلم الفرنسي مكانه ، وفرض الحكم العسكرى على البلاد ، واعدم عدد من الوطنيين وترك فيصل ووزراؤه البلاد في اليوم التالي .

كانت موقعة ميسلون ، بالنسبة لمحمود سلمان ، الذى خاضها واصيب بجراح في غضونها ، ذات اثر عميق للغاية فهي قد وضعت حدا للحلم القومي الذى تحول الى واقع ، وبرز وجه الاستعمار على حقيقته ، وفوق كل ذلك فان المعركة كانت الصك الذى خلق بموجبه الواقع الاقليمي للعرب ، وشهد العرب الحقيقة القطرية لاول مرة في تاريخهم الحديث ، لقد تمزق الوطن الى كيانات تحرسها الجيوش الاستعمارية واحدة بعيدة عن الاخرى بقوة السلاح ، ويحتاج حتى التنقل فيما بينها الى اجراءات ومعاملات دونها مايتطلبه السفر الى فرنسا او بريطانيا ذاتها . اذن ، اصبح الحلم القومي الذى يستحق التضحية والفداء كابوسا .

عاد محمود سلمان واقرانه الى «الاقليم العراقي» وهم في غاية خيبة الامل والقنوط . وعلى الرغم مما حدث في سوريا وما انتهت اليه

---

(١) ساطع الحصرى : ميسلون ص ١١٨ .

ميسلون ، فان مرحلة اخرى من العمل قد بدات لمواصلة الماضي ومحاولة تلافي ما حدث . كان امامهم خوض تجربة جديدة من نوعها في العراق لعلها

تكون الاساس للانطلاق نحو تحقيق ما عجزوا عن انجازه في سوريا . كان العراق على وشك الحصول على الحكم «الوطني» او «الاهلي» وعلى ملك ايضا هو فيصل بالذات . وقبل ذلك ، وفي ٦ كانون الثاني ١٩٢١ بدات الوحدات الاولى للجيش العراقي التدريب لتكون نواة لقوات مسلحة اوسع تطلع اليها الضباط القادمون من سوريا بأمل كبير بعد ان عقدوا العزم على ان يخوضوا غمار التجربة هذه بنفس الهمة والحماس الذى ابدوه في الشام ان لم يكن اكثر بفعل رد الفعل لما حصل هناك .

اثناء الخدمة في وحدات الجيش المختلفة ، توطدت الصلة بين محمود سلمان ، وصلاح الدين الصباغ ، وفهمي سعيد وقامت لهم علاقة مع ضابط اخر سبق له وان خدم في الجيش العثماني هو — كامل شبيب — ، ومن الطبيعي انهم تعرفوا خلال ذلك على عشرات من زملائهم ، من نفس رتبهم او اعلى او اقل منها ومن معلميهم غير ان — كاملا — كما اثبتت الاحداث فيما بعد كان اقرب الناس اليهم وهو ما ادى في النهاية الى بروز كتلة — العقداء الاربعة — والتي يمكن اعتبارها الحلقة المركزية للضباط القوميين في الجيش العراقي .

لم تكن الظروف السائدة في العراق بعد تنصيب فيصل على العرش في ٢٣ اب ١٩٢١ تتطلب أهتمام الضباط العراقيين الصغار بالسياسة او العمل السياسي ، فالجيش في بداية تكوينه وهو بحاجة الى كل جهد يرمي الى توسيعه وتقويته ، وفيصل في نظر السياسيين والعسكريين «وطني» او «قومى» يرمي الى الحصول على تنازلات اخرى من الانكليز طبقا لمبدأ «خذ وطالب» الذى راى انه ينسجم مع كيان البلاد الضعيف والتزامه هو شخصيا تجاه بريطانيا التي جاءت به الى السلطة . وفي ذات الوقت، فان الرجال القادمين من سوريا او الذين استهواهم العمل السياسي من بين الذين بقوا في العراق او انتهت ظروف عملهم في تركيا بعد ان اصبحت الدولة العثمانية في ذمة الماضي ، لم يكن في سلوكهم العام ما يثير الشكوك فالمواقف لم تتضح بعد خاصة وان هيمنة فيصل على الوضع استبعدت بروز اى من الرجال المذكورين وان كانت شخصيات من امثال ياسين الهاشمي واخوه طه قد حصلا على مكانة اكثر احتراما بحكم ماضيهما العسكرى في الجيش العثماني وتزعم ياسين للمعارضة ضد المعاهدات البريطانية — العراقية وخدمة طه في مراكز مختلفة داخل الجيش بما في ذلك رئاسة الاركان ، وان كان هذا لايمنع توزع ولاءات الضباط بين مختلف الساسة سواء لدافع شخصي او تقديرا لموقف او اعتبار ما .

ومع ذلك كانت احداث كثيرة منها فشل ثورة العشرين في تحقيق

اعدامها وفرض المعاهدات الجائرة على العراق ، ومحاوله تهويد فلسطين عن طريق تنفيذ وعد بلفور ، وما حل بسوريا وتجزئة الوطن العربي قد تركت اثرها على الشباب المتعلم ، على قلته ، ومن بينهم الضباط سواء الذين دخلوا الجيش مع تكوينه او من خريجي الكلية العسكرية الذين حلوا محل الضباط المتقدمين في السن ابتداء من عام ١٩٣٠ اضافة الى تسلط الضباط الانكليز وغلظة طباعهم اذ يقول ــ طه الهاشمي ــ عنهم : «ومع ان البعض من اعضاء البعثة العسكرية (البريطانية) في اوائل سنة ١٩٣٠ كانوا من الاكفاء ويرغب في تدريب القطعات عن طيبة خاطر الا ان العجرفة والصلف كانا لا يزالان الصفة الغالبة في جميع الاعضاء . وكان الضباط (العراقيون) على عادتهم يعتبرون الضباط البريطانيين مسؤولين عن كل شيء ولذلك لم يستلموا زمام وظائفهم بالجد والاهتمام ، اذكر اني لما استلمت رئاسة اركان الجيش ان المفتش العام البريطاني ومن ورائه مفتش شعبة الحركات البريطاني احتجا بشدة على ملحوظات مدير الحركات العراقي بشأن الضابط البريطاني في المنطقة الشمالية لانه اعتبر ضابط الارتباط ذلك مسؤولا عن صرف العتاد في الرمي اكثر مما هو مقرر . وكان هذا الضابط من المتعجرفين معجبا بنفسه لاينفك عن المس بكرامة الضباطالعراقيين وتحقيرهم امام الجنود[1] » .

ولابد ان تشغل مسالة تسلح الجيش العراقي بال الضباط ، او قسم كبير منهم ، وكذلك السياسيين الذين يرون نفس الراى ويجمعهم نفس الامل والتطلع للمستقبل ، ويمكن بلورة نوع من الاتجاه الوطني عند هذه النقطة بالذات ، فالذين اهملوا مسالة تسليح الجيش ، او اللاجيشيين في راى طه الهاشمي ، كانوا او اصبحوا في واد ، والذين استهدفوا تحقيق ذلك ، او الجيشيين ، وقفوا في واد اخر ، وكان ذلك المطلب من عوامل التقاء الضباط الوطنيين في اواخر العشرينات وبداية الثلاثينات وجعلتهم يتقبلون الافكار الجديدة ويتكتلون على شكل صداقات وعلاقات شخصية في البداية ثم نوع من التنظيم كما سنرى فيما بعد .

ورغم الواقع المر في العراق وسوريا وفلسطين ، وباقي ارجاء الوطن العربي الممزق ، الا ان الجيشيين ، سياسيين عامة وعسكريين خاصة ، لم يتقبلوه بل : «كان الشبان من الضباط قد استهوتهم احلام يقظتهم هذه ليروا في جيش ــ بروسيا العرب ــ القوة القادرة على تحقيق احلامهم بتأسيس الدولة العربية الكبرى لتعيد الى الامة العربية مجدها الغابر وحضارتها المندثرة متى تهيأ لهم قائد ظافر يتعقب خطى كمال اتاتورك او رضا شاه او موسوليني[2] » .

---

(١) مذكرات طه الهاشمي ، ص ١٤٣ .

(٢) محمود الدرة : الحرب العراقية البريطانية ، ص ٤٧ .

وبعد التصادم المستمر بين الحركة الوطنية للشعب العراقي والاستعمار البريطاني . وتباين المواقف بين مؤيدي المعاهدات ، خاصة معاهدة ١٩٣٠ ، ومعارضيها برز تقسيم واضح لهؤلاء الساسة يمكن تحديده بما يلي : «وكان هؤلاء الشبان يرون ان حكامهم صنائع للانكليز المحتلين لانهم عاجزون عن تحقيق امالهم وامانيهم تلك[1] » ، ولقد عزز من هذا الشعور ــ المظاهرات الصاخبة التي قوبل بها ــ الفريد موند ــ الزعيم الصهيوني البريطاني للعراق عام ١٩٢٨ وما صحب ذلك من اعتقالات وطرد عدد كبير من الطلاب من معاهدهم ومدارسهم واللجوء الى سياسة المراسيم التي تجيز استخدام «المقرعة» في التعامل مع طلاب المدارس «المشاغبين»[2] ، ومما زاد من حدة ردة الفعل الشعبية ازاء هذه الزيارة والظروف المحيطة بها انها جاءت بعد ايام قلائل من موت «الشيخ ضاري المحمود» قاتل الكولونيل «ليجمان» ابان ثورة العشرين والذي القي القبض عليه بمكيدة وقدم للمحاكمة وصدر الحكم عليه بالاعدام رغم شيخوخته ومرضه ، وعلى الرغم من تخفيض الحكم الى السجن المؤبد فان الشيخ توفي في السجن بعد يومين فقط اي في ١ شباط ١٩٢٨ وكان تشييعه مناسبة لمظاهرة هائلة سار فيها الرجال والنساء بعد ان اختطفوا جثمانه من المستشفى عنوة وذلك تحديا للحكومة وسلطة الانتداب معا .

وفي الوقت الذي مارس فيه الانكليز سياسة التصلب ازاء المطالب العراقية ، فان اغلاق الصحف لابسط الاسباب اصبح من الامور المألوفة ويكفي ايراد ما يلي :

« كانت ــ الوزارات المتعاقبة ــ عطلت عددا كبيرا من الصحف ، والمجلات . مما عده المعارضون اضطهادا للحريات التي كفلها القانون الاساسي للبلاد ، فلما استوى «الاخائيون[1]» على اريكة الحكم في ٢٠ اذار سنة ١٩٣٣ اتخذوا القرار الاتي :

قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ٢٢ــ٣ــ١٩٣٣ الافراج عن جميع الصحف المعطلة ــ وكان عددها ٢٥ صحيفة ــ والسماح لها باستئناف الصدور ، على ارباب الصحف ، التي يشملها هذا القرار ،

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) يمكن اعتبار ما حدث بفعل هذه الزيارة ذروة تنامي الشعور القومي في العراق وارتباطه بقضية فلسطين . ولقد قيض لذلك ان يلعب دورا كبيرا في تطورات الاحداث فيما بعد خاصة وان قسما من المعتقلين والمفصولين تحولوا الى جانب العمل المتواصل في المجالين الوطني والقومي وبرزوا في ذلك فعلا .

(٣) نسبة الى حزب الاخاء الذي تألف اواخر ١٩٣٠ .

مراجعة مكتب المطبوعات ، واتمام المعاملات القانونية اللازمــة لاصدار صحفهــم [1] » .

واضافة لما سبق ، يمكن الاشارة الى تزييف المجالس النيابية بشكل فاق المتصور ، والفساد في اجهزة الدولة واستشراء الرشوة ، وفرض — نوري السعيد — المعاهدة بعد قمعه العنيف لجميع مظاهر المعارضة الشعبية كما يتجسد في المثال التالي : «اراد فريق من الشبان ان يعقــد اجتماعا سياسيا في بغداد في يوم ٢٢ ايلول ١٩٣٠ ، تلقى فيــه الخطب السياسية لمعالجة المرتف الراهن في البلاد ، وتقام مظاهرات في مســاء اليوم المذكور ، فقدم بيانا بذلك الى — متصرفية لواء بغداد — قبل الموعد المضروب لعقد الاجتماع بخمسة ايام ونشر على الراى العام البيان التالي :

الى الشعب العراقي العظيم :

انت تقاسي الجوع والعرى ، والانكليز واتباعهم سبب جوعك وعراك ، وهم يتعمون بثروتك وغناك ، وهم الذين مزقوا قومك وساموك الذل ، فلهم في كل وطن من مواطننا مظالم ، ففلسطين مرهقة ، يشتت الانكليز ابناءها ، ويخرجونهم من ديارهم ليسكنوا الصهيونيين الاعداء فيها ، وقد ارهقوا وما زالوا يرهقوا العرب في انحاء جزيرتك المقدسة ، فهذا الفقر وتلك المظالم والمعاهدات الجائرة ، تدعوك الى الاضراب العام بعد ظهر الاثنين المقبل ، بتعطيل الاشغال ووســائل النقل ، واقفــال الدكاكين ، والمحلات ، والمقاهي ، ودور الاعمال ، وان تتظاهر تظاهرا سلميا .

واعتبرت الوزارة هذا البيان تحريضا على كراهية الحكومة واخلالا بالامن الداخلي ، فقبضت على فريق من القائمين بهذه الحركة ، وأمرت بتوقيفهم ، والتحقيق معهم ، ثم ما لبثت ان سرحت قسما من الموقوفين ، وساقت القسم الاخر الى المحاكمة [2] ، ولم يحل ذلك دون انفجار الاضرابات المتوالية التي كان اخطرها اضراب «الثورة الصامتة» احتجاجا على قانون رسوم البلديات والتي بدات في ٥ تموز ١٩٣١ وامتدت الى معظم ارجاء العراق حتى كادت ان تتحول الى ثورة فعلية تطيح بالنظام من اساسه .

ومما اثار الراى العام ، وفي مقدمته المتعلمين بالطبع ، التقلبات بين

---

(١) عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٣ ، ص ٢١٩ .

(٢) عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج٣ ، ص ٦٥ ، وكانت المحكمة قد اصدرت احكاما مختلفة بحق المتهمين ومن ذلك الحكم بالسجن ستة شهور علــى المحامي — يونس السبعاوي — الذى اصبح فيما بعــد صلة الوصل بين المدنيين والعســكريين القوميين .

مواقف بعض رجال السياسة ومن اغرب الامثلة على ذلك ان ــ مزاحم الباجهجي ــ الذى كان من اشد اعضاء الحزب الوطني معارضة للوزارة السعيدية ، واكثر الناقمين على المعاهدة وعلى عاقديها . ولكن ما كاد زملاؤه يسافرون الى الفرات الاوسط ، حتى تصالح مع نورى السعيد وادخل عضوا في وزارته . وعندما اصبح وزيرا للداخلية ثم وكيلا لرئيس الوزراء اثناء غيابه خارج العراق ، استخدم اقسى انواع الغلظة والعنف في معاملة المعارضة والناس ، حتى اضطر نورى السعيد الى التخلي عنه

مما جعله يقول في مذكرة الاستقالة : «لقد ظهر لي من اجتماع هذه الانباء . وللاسف الشديد ، ان سياسة الجد والحزم ضائعة في الظروف الحاضرة[1] . . . . . » .

« كل تلك الاحداث الداخلية والخارجية .. تركت اثرها العميق في نفوس القلة المتعلمة الطامحة من ابناء الشعب العراقي الغارق في الجهل والتأخر[2] » . والواقع ، فان المظاهرات الصاخبة التي استقبلت «الفريد موند» عام ١٩٢٨ وما رافقها واعقبها ، كانت رمزا لتلاحم شعور العراقيين بالتذمر والشكوى من اوضاع البلاد العامة بمخاوفهم ، بعد الذى حصل لبلاد الشام ، مما قد يقع لفلسطين خاصة بعد اتضاح تصميم بريطانيا على تنفيذ وعد بلفور وتزايد نطاق الهجرة اليهودية الى هناك ، غير ان : «الراى العام العراقي ، خلال الحقبة الاولى من عهد ما يسمى بالحكم الوطني ظل موحدا ؛ وعلى قدر كبير من الانسجام والتوافق . وكان الشعب العراقي على اختلاف طبقاته وفئاته الاجتماعية ، منصرفا لمكافحة النفوذ الاستعمارى باحلافه ومعاهداته ، مدفوعا بشعور وطني عام . ولم تكن التيارات والمبادىء الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتباينة ، التي هي من مقتضيات الحضارة الحديثة ، قد تغلغلت بين صفوف ابناء الشعب . وقد تبدلت الحال خلال الثلاثينات عما كانت عليه قبل ذلك ، حيث انتشرت الثقافة ، واتسعت المدارك ، وتوفرت وسائل الاتصال بين مختلف انحاء المعمورة ، بما فيها من علوم واداب وثقافات ، فبرزت عندئذ للوجود المبادىء السياسية المختلفة ، والنظريات الاجتماعية والاقتصادية المتباينة ؛ واخذت هذه المبادىء والنظريات ، تتبلور وتتركز يوما بعد اخر ، وراحت بعض الفئات تنحو بهذه المبادىء عالميا محضا ، من شانه ان يصرف النشا الجديد عن تاريخ امته ، ومقومات قوميته ، ووطنيته . فراى فريق من الشباب العربي المثقف ؛ ضرورة مجابهة هذا الخطر الوافد ، الذى يهدد قوميته وتراثه ، ولم يكن هذا الفريق من الشباب من النوع المحافظ او الرجعي المتزمت، كما يحلو للبعض ان يصفه ، ولم

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٢) محمود الدرة : الحرب العراقية البريطانية ، ص ٤٧ .

يكن كذلك ممن لايريدون مسايرة التطورات ، التي تقتضيها الحضارة الحديثة . او يأبى اقتباس المبادىء السياسية والاجتماعية والاقتصادية الصالحة . التي تخدم اكثرية ابناء الامة العربية ، وتشيع بينهم مبادىء الحق والعدل والمساواة الاجتماعية ، ولكنه يرى ان يصبغ ذلك بصبغة عربية ، وان يتجه به وجهة قومية ، وان لايكون من اقتبس ما يصلح من هذه المبادىء سائرا في فلك غيره . وعلى هذا الاساس ، ولتحقيق هذه الاهداف ، انبرى هذا الفريق لتأسيس نادى المثنى بن حارثة الشيباني ، وقد انضمت الى هذا النادى النخبة من الشباب ، واسهمت في مجهوده القومي . وكان من اهداف هذا النادى ومؤسسيه ، بعث الروح القومي بين ابناء الشعب ، وايقاظ شعور المواطنة العربية العامة في نفوسهم ، والعمل على احياء التراث القومي ، ونشر الثقافة العربية بين افراد المجتمع ، الى غير ذلك مما يخلق في الشباب روح الاعتزاز بقوميته وماضي امتـــه .

« وقد انضم الى هذا النادى ، عـــدد كبير من المعنيين بالقضايا العربية ؛ من المحامين والاطباء واساتذة المدارس والطلاب وغيرهم مـــن ابناء الشعب [1] . وكانت الاجتماعات العامة تعقد في مقـــره ، ويلقي اعضاؤه وغيرهم المحاضرات في المواضيع المختلفة كالادب والتاريخ والاجتماع وكل ما يتصل بالثقافة العربية بسبب ، ويصدر الكتب والرسائل والكراسات في هذه المواضيع وغيرها ، كما كان ينظم الزيارات لاعضائه وغيرهم ، الى المواقع التاريخية المهمة لتفقدها والاطلاع عليها . وكان يستقبل الوفود والشخصيات العربية الوافدة من البلاد العربية ، ويقيم لهـــا الحفلات ، ويتبادل واياها الخطب والاحاديث القومية . وكان الى جانب ذلك ، يعني عناية كبيرة بمشاكل البلاد العربية ، كقضية فلسطين وغيرها . ولقـــد ساهم في مجهود الدفاع عنها ، بما يملك من وسائل . وبالجملة فقد وفق النادى خلال مدة قيامه ، وممارسة نشاطه بخدمات جلى ، في نشر الوعي القومي بين شبا بالعراق ، وابناء الشعب بصورة عامة [2] » .

---

(1) مبادئنا من تراث الانبياء ومن وحي الاله ، لاسعاد كل حي على وجه الارض . وهي تكفينا شر البلشفية والنازية والديمقراطية الانكليزية ، فان هذه اسماء براقة تخفي وراءها تيارات من الاخلاق المادية الغربية تعمل على القضاء على المثل العليا التي كان اسلافنا مبدعيها وحاملي مشعلها .

صلاح الدين الصباغ : فرسان العروبة في العراق ص١٢ و ١٣ .

(2) محمد مهدى كبة : مذكراتي في صميم الاحداث ، ص ٥٤ و ٥٥ .

ومما لاريب فيه أن النادى لعب دورا هاما في صقل الوعي القومي لدى عدد كبير من الضباط سواء عن طريق ادبياته او علاقتهم الشخصية مع اعضاء النادى علما بانــه لم يكن من حقهم الانتماء اليه . ولقد اثار النادى ، بنشاطه القومي الواسع النطاق ، حقد الانكليز وزبانيتهم عليه ، فكان ان اغلقوه بعد فشل ثورة مايس وحولوا مقـره الى ناد لاعوانهم وعملائهـم .



صلاح الدين الصباغ في صورة خاصة : سرعان ما توطدت الصلة بينه وبين محمود سلمان .

هذا على النطاق المدني . اما في الجانب العسكري . فان — محمود الدرة — يعطينا صورة متقاربة ، فابتداء من عام ١٩٢٩ ترك توفيق حسين (المقدم فيما بعد) المحاضر في الكلية العسكرية تأثيرا على تلامذته لانه كان يضفي على دروسه الخارجة عن حدود ثقافته ، معلومات عامة تجتذب انتباه هؤلاء ، وبعد ان اصبح التلامذة ضباطا ، اوثق ذلك المعلم صلته بهم وبث بينهم اراء وافكارا جديدة مغايرة لما سمعوه من قبل . ولقد ادى ذلك الى اقتناع البعض بان العمل السياسي واجب وطني يقتضيه وضع البلاد للسير بها بسرعة مجاراة للامم الاخرى ، كما ان الامر يتطلب تكوين زعامة عسكرية تحرر البلاد من السيطرة الاجنبية وتدير الشؤون العامة على نحو «عسكرية» الحكم التركي او الايراني[1] ، خاصة بعد فشل الساسة العراقيين في تحقيق هذه المهمة . ويبدو ان ذلك كان بداية للتفكير في تكوين جمعية سياسية للضباط وهذا ما تم فعلا نتيجة لاجتماعاتهم في مقر جمعية الشبان المسلمين في الكرخ حتى وصل عددهم الى سبعين ضابطا في ربيع ١٩٣٤ (بعد موت فيصل الاول) ، وعندما عقدوا اول اجتماع موسع لهم ذلك الحين ، لم يكن لديهم ميثاق او نظام او افكار سياسية واجتماعية واقتصادية واضحة اذ لم يكن في رؤوس اولئك الضباط شيء واضح منها .

---

(١) يلاحظ ان الاعجاب بالنظامين في تركيا وايران والتطلع اليهما يشمل المدنيين والعسكريين.

ومن سياق الوقائع التاريخية يتبين ان ـ توفيق حسين ـ لم ينفرد في بث الافكار الجديدة وتأليف تكتل داخل الجيش اذ يقول الصباغ : «وهكذا كان اختلاطي بالانكليز كان يدمي قلبي ويجرح مشاعري ويثير في نفسي ردود فعل قوية ، غير اني كتمت ذلك عنهم سنين عديدة ، فاعجبهم مني السعي والاجتهاد والانصراف عن العمل القومي والوطني . فقد كنت اطوى الليل والنهار منكبا على اداء واجبي ، وفاتهم اني كنت ابشر بمبادئنا سرا وانشرها بين اصحابي وتلاميذي ، تلك المبادىء التي يرتجف منها الاستعمار خوفا ، وغاب عنهم اني كنت اسعى بكل قوتي لاكون اهلا لتسلم دفة القيادة فاكون على رأس جيش عربي لا شائبة في ظاهره وجوهره ، ولا شائبة في تدريبه وتسليحه ، مترقبا الفرص لانقاذ العروبة من ذل الاستعمار وجوره ، ومن اساليبه السامة ومخدراته المعسولة[1]» . ومما يؤكد هذه الحقيقة انه : « عندما شاع خبر تأليف جمعية الضباط في صفوف الجيش ، لقيت الدعوة حقلا خصبا فيه ، الا ان الكثيرين من ذوى الرتب الكبيرة لم يكونوا راضين عن وجود المقدم توفيق حسين فيها ، وعلى رأسها فتولى الرئيسان الاولان (الراندان)[2] صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد قيادة تكتل الفريق القومي من اولئك الضباط بعيدا عن جو توفيق حسين الذى اختار له حوارييه الجدد ـ ولم يكن المؤلف من بينهم بعد ان ادرك ان صلاح الدين وفهمي اقرب الى مشاعره واحاسيسه الاصلية من معلمه توفيق فانضم الى تكتلهما منذ ذلك الوقت[3] » .

ومن الملاحظ ان الصباغ مارس التدريس في الكلية العسكرية وكلية الاركان في نفس الفترة وكذلك الحال مع محمود سلمان ، وكان الامير (الملك) غازى من تلامذة الكلية العسكرية وقد تشبع بافكار ـ محمود ـ وظل متعلقا به الى اخر لحظة من حياته[4] ، وهذا ما يفسر جانبا من المسلك السياسي الذى اختاره الملك مما اوجد له موقعا خاصا في الحركة القومية بعد الفراغ الذى اوجده اسقاط ـ ياسين الهاشمي ووفاته (١٩٣٦ ـ ١٩٣٧)

---

(١) فرسان العروبة في العراق ، ص ٥٨ .

(٢) كانت هذه الرتبة كبيرة فعلا في الجيش العراقي الناشيء ، كما كانت غالبية اعضاء التكتلات من الملازمين من خريجي الكلية العسكرية .

(٣) الحرب العراقية البريطانية ، ص ٩ .

(٤) يقول الصباغ (ص ٩١) انه لم يكن مدرسا في الكلية المذكورة ايام وجود غازى فيها لانه انتمى الى كلية الاركان حينئذ .

ولم يكن الحديث عن الوطنية ، او الاشارة الى المظالم التي حلت بالعرب نتيجة نكث الحلفاء وعودهم من الامور الغريبة في المعاهد العسكرية سواء ايام الانتداب او بعده وذلك لعاملين :

اولا : ان هذه المظالم قائمة بالفعل ومن المستحيل التستر عليها .

ثانيا : كان ما يحدث في اوساط الشعب من ردود فعل تجاه مجمل مسارات السياسة العامة ، يترك صداه على معلمي المعاهد المذكورة وطلابها ، وتزداد الصورة جلاء عندما نعلم انه لم يكن هناك تمييز طبقي عند قبول الطلاب ، بل ان اكثريتهم كانت من متوسطي الحال والفقراء ، لان الطبقات العليا اختارت وظائف الدولة لمنافعها ويسر الحياة فيها ومستقبلها المؤكد . وابتعادها عن المخاطر خاصة بعد ان شرعت الحكومة باستخدام الجيش في القضاء على عمليات التمرد القبلية .

ماهي تطلعات الضباط الشبان على اختلاف تكتلاتهم ؟ انها تتلخص في نقطتين تتقبلان التوسع الشامل :

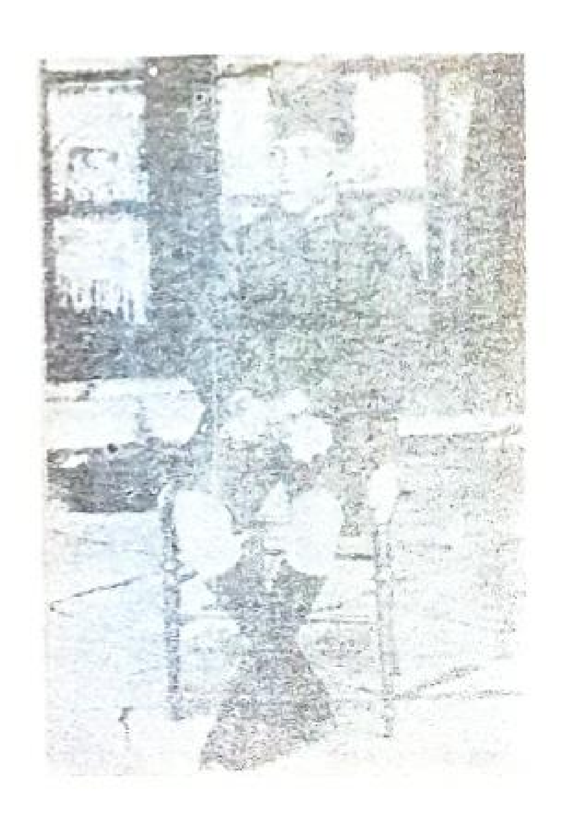
اولا : ضمان الاستقلال الحقيقي للعراق ودفعه في طريق التقدم للحاق بركب الدول التي سبقته خاصة جارتيه في الشمال والشرق .

ثانيا : تخليص الاقطار العربية الاخرى ، وفي مقدمتها فلسطين المهددة بالضياع النهائي مما حل بها والسعي لتحقيق الوحدة العربية واعادة بناء دولة العرب الكبرى .

ان ما ورد على لسان الصباغ من شكوى والم ، يعكس مشاعر سائر اخوانه ، ويعطي خلفية تتناقض كل التناقض مع التطلعات التي اشرنا اليها ، وهو الذى سيؤدى ، في نهاية المطاف ، الى اصطدام حركة القومية العربية في العراق بالاستعمار الانكليزى واذنابه[1] : «على ان الاوضاع في تركية وايران لاتشبه الاوضاع في البلاد العربية . واذكر انني لما اشتركت بامر رسمي في مراسم تشييع جثمان المغفور له مصطفى كمال اتاتورك عام ١٩٣٩ رأيت من علائم التقدم ما اذهلني خاصة في عاصمة تركية الجديدة التي كانت في الماضي اشبه بالقرى ، من انقلاب في الحياة الاجتماعية وفي العمران والاقتصاد وفي الامور الثقافية والمعنوية . ورأيت اعتزاز الاتراك بوطنيتهم وغرورهم بقوميتهم واعتدادهم باستقلالهم وكيف تتنافس الدول كسب ودهم وترسل قطعات من جيوشها للتعبير عن حزنها ، ثم انتقل بي الفكر الى ايران وهي تخطو الى الامام بخطى جبارة على غرار تركية ، بفضل استقلالها الناجز الذى نالته قبل بضع سنين ، فاين استقلال تركية وايران الناجز من استقلال العراق المقيد المزيف ، العراق

(١) على الرغم من ان الزيارة جرت في هذا الوقت ، الا ان اقوال الصباغ تاتي مصادقا لخيبة الامل لدى القوميين بعد ان وصلت مشاعرهم مرحلة النضوج ، وان كانت المبادىء العامة والتي تبلورت في بداية الثلاثينات ما زالت دون تغيير .

يزحف وهما يركضان لانهما حران في اختيار طريقهما لايسيرهما احد حران في التسلح كما يحلو لهما وكما يتطلب وضعهما الجغرافي والسوقي



الملك غازي في الحادية عشرة من العمر : تشبع بافكار محمود سلمان .

« فلما انتهت مراسيم تشييع اتاتورك مررت بسورية في طريقي الى بغداد . رايت سورية مهد العروبة ومبعث الجهاد الوطني ، سورية الزاهية الخضراء ذات الجبال الشامخة والسهول الفسيحة يرزح اهلها تحت كابوس الذل والجور ، ويعاني شعبها الخوف والعنف ، ويتجرع مرارة الفقر ، ويخنقها الجشع الفرنسي وتشاد فيها ابنية الرق والاستعمار ونوادي اللهو والخلاعة للقضاء على الروح العربية والعادات القومية ، ثم انتقل بي الفكر الى فلسطين يوم مررت بها عائدا من اوربة وكيف تولى علج صهيوني فحص امتعتي ، ورايتها بام عيني تسام وتضام ، قد حرمت العروبة فيها وبيعت للصهيونية بيع الانعام ، ثم استعرضت بفكري بلاد العرب فاذا في كل بلد بلوى ، اما العراق فعليه ان يرعى مصالح الامبراطورية البريطانية ، واما سورية فعليها ان تخدم المصالح الفرنسية ، واما باقي البلاد العربية فعليها ان تخضع للطليان او الاسبان ، وهكذا على العرب ان ينقسموا جماعات وشيعا ، ليتعلم العراق الديمقراطية من بريطانية ، وتتعلم سورية الحرية من فرنسا ، وتتعلم طرابلس الفاشية من ايطالية ، ثم على العرب ان لايجحدوا فضل هؤلاء وان لا يقولوا اف للاجانب الذين يستغلونهم كالانعام ، لانهم يخدمون المدنية بذلك [1] .

---

(١) فرسان العروبة في العراق ، ص ٦٠ و ٦١ .

بدأ الاحساس بثقل وزن الجيش العراقي بعد نجاحه في القضاء على تمرد الاثوريين صيف عام ١٩٣٣ ، وقد تجسد ذلك في الاستقبال الحافل الذى اعد للقائد ــ بكر صدقي ــ الذى شق شارع الرشيد في سيارة مكشوفة الى جانب الكيلاني ، رئيس الوزراء ، بينما كانت الفتيات ينثرن الزهور والرياحين على موكبه ، ومن غريب الصدف ان فيصل الاول ، المهيمن على مسارات الاوضاع الداخلية ، قد توفي بعد ايام من ذلك وانتقل العرش الى وحيده الشاب ــ غازى ــ المجرد من اية خبرة او دراية بامور المناورات السياسية اذ لم يعهد له بالمسؤولية الا فترة قصيرة عندما اصبح نائبا لوالده اثناء غيابه حيث تصرف بشكل حازم ازاء التمرد المذكور مما زاد من شعبيته .

ومع وفاة فيصل الاول ، برزت الى الوجود عدة حقائق جديدة ، فالساسة الذين عملوا معه كانوا اكبر عمرا واكثر تجربة من ــ غازى ــ كما كانوا من ذوى الاتجاهات والمصالح المختلفة لايجمع بينهم ، وبالاحرى بين بعضهم البعض ، سوى القرابة والصداقة والتحالفات الموقتة ، فكان من الطبيعي ان تنفجر التناقضات بينهم بسرعة واصبح التطلع الى الحكم هو الهدف العام لهم ، غير ان الكراسي كانت معدودة واصحاب المنافع كثيرين مما زاد من حدة الصراع .

ولما كانت المجالس النيابية مجرد الاعيب يعود فضل اشغال اعضائها كراسيهم وحصولهم ، ومن يلوذ بهم ، على المنافع والامتيازات ، ومنها الاقطاعيات الزراعية ، الى الحكام فمن غير المنطقي التصور ان بالمستطاع الركون الى معارضة برلمانية لتبديل الواقع الحكومي او تحقيق الاصلاحات التي كان بعض الساسة يتطلعون اليها ، لذا فقد كانت هناك قوتان يمكن استخدام احداهما لضمان ذلك : الجيش الذى اثبت قوته وفعاليته في حادثة الاثوريين بحيث تحول الى اقوى عنصر في السياسة العراقية ، والعشائر التي يمكن استغلال ابعاد رؤساء بعضها من البرلمان وحرمانهم من الامتيازات لاثارتهم ضد السلطة المركزية . وعلى الرغم من وجود تكتلات مختلفة داخل الجيش ، الا ان التفكير اتجه الى القبائل ، وبذلك تم تحريض عدد من عشائر الفرات الاوسط ضد حكومة ــ علي جودت ــ الذى حل محل صديقه ــ جميل المدفعي ــ بعد استقالة الاخير بناء على رغبة الملك في ٢٥ اب ١٩٣٤ ، وبابتعاد ــ جودت ــ عن قادة حزب الاخاء : ياسين والكيلاني وحكمت سليمان واتجاهه نحو التحالف مع ــ جميل ــ بهدف اقامة كتلة سياسية جديدة ، بدأ عهد جديد من نوعه في السياسة العراقية .

كان ــ جودت ــ قد بادر في ايلول ١٩٣٤ الى حل مجلس النواب الذى جاءت به وزارة ــ ناجي شوكت ــ في العام السابق وكانت قصة

تزوير «انتخابات» المجلس الجديد موضع تندر الخاص والعام حتى وصف بانه لايعدو ان يكون ديوانا من دواوين الحكومة ، النواب فيه اشبه ما يكونون بالموظفين المعينين لاقيمة لهم لدى السلطة ولا تاثير على الشعب . ومن الوقائع التي زادت من خطورة الاوضاع ان الحكومة استثنت عددا كبيرا من رؤساء القبائل لانتسابهم الى المعارضة واكتفت بترشيح صغار الشيوخ و «السراكيل» مما قوى من صلة اولئك الرؤساء بكبار المعارضين في بغداد واكد استعدادهم للعمل ضد الوزارة القائمة .

وقبل الدخول في التفاصيل ، نرى ان نعرض الوضع داخل الجيش، فقد كانت هناك كتل او تجمعات متعددة اوسعها تلك التي ضمت صلاح الدين ومحمود وفهمي وكامل شبيب[1] ، وهي تميل الى المعارضة ممثلة بياسين[2] والكيلاني وحكمت وجعفر ابو التمن ، وذلك بحكم تعاطفهم مع الاتجاه القومي ، وربما الاصلاحي لعدد من اقطاب المعارضة ، ولصلتهم الوثيقة بالمحامين الشبان من اعوان المعارضة مثل يونس السبعاوي [3] ، لذا فان هذا التجمع لم يكن بعيدا عن مجرى الاحداث السياسية الخطيرة . ولكن ماهو نوع المساندة التي كانت هذه الكتلة قادرة على توفيرها للمعارضة ؟ لايوجد ما يشير الى ان هؤلاء الضباط واصدقاءهم كانوا ينوون القيام بعمل عسكري مباشر لعدة عوامل ابرزها توسط رتبهم ووجود ضباط لامعين يمسكون بزمام الجيش ، خاصة طه وبكر ، ولعدم نضوج هذه الفكرة لديهم فاكتفوا بالاتصال بالمعارضة : «ويذكر كاتب هذه السطور انه ذهب مرة برفقة الرائد (العقيد) فهمي سعيد الى مكتب جعفر ابو التمن واجتمعا به في محله التجاري في احد خانات بغداد التجارية ، فشجعهما وبارك موقف كتلة الضباط . كما جرت اتصالات وثيقة بعبد الواحد الحاج سكر رئيس قبيلة ال فتلة الثائر بوجه سياسة محور علي جودت — جميل المدفعي ، وافهم ان الضباط القوميين يؤيدون موقفه بمناصرته للمعارضة الحزبية التي كانت تتمثل في كتلة رشيد عالي — حكمت سليمان — جعفر ابو التمن ... واخيرا بزعامة ياسين الهاشمي [4] » .

هناك تكتل قوى اخر قائم على اساس شخصي يتركز حول شخصية — بكر — الذي برز نجمه بعد تمرد الاثوريين . ويرى الكثيرون ان مطامح القائد المذكور قد استيقظت منذ ذلك الحين وان صلته بالساسة : مثل

---

(١) علاقة الثلاثة الاوائل امتداد لخدمتهم في الجيش العثماني عندما كانوا في فرقة واحدة اما كامل شبيب فيبدو ان صلتهم به توطدت فيما بعد في العراق .

(٢) ينبغي ان نتذكر ان ياسين شقيق طه ، استاذ هؤلاء الضباط وقائدهم .

(٣) كان مثل غيره من الشبان القوميين عضوا في نادي المثنى .

٤ الحرب العراقية البريطانية ، ص ٥٥ .

ـ حكمت ـ وزير الداخلية في حكومة الكيلاني التي جابهت التمرد وابرز اقطاب المعارضة قد دفعته الى التفكير بعمل ما ضد حكومة ـ جودت ـ خاصة وان عددا من اقطاب المعارضة كانوا يتوددون اليه ويضربون على الوتر الحساس في نفسه لاستمالته اليهم .

وكان بكر يعرف جيدا وجود الكتلة او الجماعة التي تضم عـددا كبيرا من الضباط العرب . فاتصل مع اقطابهم محاولا استمالتهم الـى جانبه غير انهم خيبوا ظنه لعوامل عديدة منها ما اخذ عنه من ميل الـى التمييز بين المواطنين والتعلق بحياة المجون والاستهتار بالاخلاق وارتباطه القديم بالانكليز ، وعندما فشل بكر في مسعاه ، عاد ادراجه الى كركوك حيث انغمس في اجتذاب الضباط اليه فالتفت حوله مجموعة لايستهان بها ، استعان بافرادها ، فيما بعد ، للاستيلاء على السلطة .

في اواخر عام ١٩٣٤ شهدت ضاحية «الصليخ» في بغداد اجتماعات بين رؤسـاء عدد من القبائل القاطنة في شمال العراق وجنوبه وبعض قادة المعارضة سيما الكيلاني وحكمت ، وكان هؤلاء الشـيوخ قد اتجهوا في البداية الى ياسين طالبين منه تزعم المعارضة غير انه ابى ذلك في البداية قائلا لهم : «ان البلاد لاتتحمل القلاقل» ولعل مرد ذلك الى وجود رابطة صداقة له مع ـ جودت ـ وكذلك خشية زج الجيش ، الـذى يقـوده شقيقه ، في معارك مع القبائل عندما تنقض على السـلطة المركزية . وعندما ادرك ياسين ان الكيلاني وحكمت قد حققا نوعا من التقـدم في عملهما ، انضم اليهما وانغمس في النشاط المعادى لجودت بحماس واندفاع حتى اثمرت الجهود عن وضع «ميثاق الصليخ» الذى وقع عليه الساسـة المعارضون ومن حالفهم من رؤساء القبائل .

ولم تمض سوى اسابيع قلائل حتى انفجر الموقف في الفرات الاوسط واستعدت القبائل للعصيان المسلح واخذت المعارضة بتشديد ضغطها على ـ جودت ـ الذى لم يترك وسيلة للقمع الا واستخدمها غير ان اعمـال الحكومة توقفت ولم يكن بالمستطاع امرار تشريعاتها اضافة الى حدوث خلافات حادة بين ـ نورى ـ وزير الخارجية و ـ المدفعي ـ وزير الدفاع فلم يجد ـ جودت ـ بدا من الاستقالة ، وعندما تالفت حكومة جديـدة برئاسة ـ المدفعي ـ اعتبرت المعارضة ذلك تحـديا جديدا لها سـيما وان الاخير صديق رئيس الوزراء المستقيل ، لذا استمر العصيان المسلح واتسع نطاقه ، ولما حاول ـ المدفعي ـ استخدام الجيش في القضـاء على التمرد ، ابلغه ـ طه ـ رئيس الاركان بان من الافضل[1] » استعمال

---

(١) تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

الحكمة ، والبصيرة ، قبل الشروع بالقتال» ، وذلك في تقرير قدمه الى وزارة الدفاع[1] ، كما ان الملك غازي ارسل رئيس ديوانه الى — المدفعي — قائلا بانه : «لايزال يحرص على حقن الدماء ويأمل ان تعاد الامور الى مجاريها الطبيعية بدون قتال»[2] . فاستقالت الحكومة .

يمكن اعتبار العصيان القبلي المسلح بداية تدخل الجيش في السياسة وان كان ذلك بصورة غير مباشرة ، فقد كان القسم الاكبر ، في رأي الدرة ، من الضباط في المنطقة الجنوبية لايرى رأي الوزارة في استعمال القوة بوجه القبائل الثائرة ، بل جاهر البعض منهم برفضه الذهاب مع وحدته المسافرة الى منطقة الحركات مثل الرائد حسين علوان معاون امر احدى بطاريات المدفعية ، وكان الاشد حماسة على اهبة الاستعداد للالتحاق بالثائرين اذا ادى الامر الى قتال مسلح ، ومما لاشك فيه ان الاحداث العاصفة التي شهدتها بغداد والعراق في عهد — جودت — و — المدفعي — والنشاط الذي بذلته المعارضة وتدفق قسم من رؤساء القبائل الى بغداد ووصول المسألة الى تدخل الملك شخصيا قد ترك اثرا على نفوس عدد لايستهان به من الضباط وجعلهم يدركون اهمية ما يمكن للجيش ان يلعبه في الحياة السياسية للبلاد .

ولكن لماذا اراد الجيش ، او بعض رجاله ، هذا النوع من التدخل ؟ ان خير من يجيبنا على هذا السؤال هو — طه — نفسه : «حقا ان اشتغال الجيش بالسياسة يضر بمصالح الدولة ، ولا حاجة لي مطلقا لسرد الاسباب والبراهين لتأييد ذلك ، فهذا من الامور المتعارف عليها التي لا يجوز لاحد ان ينكرها .

وقبل ان يطلب الناس ابعاد الجيش عن السياسة ، يجب عليهم ان ينظروا الى الماضي القريب من التاريخ السياسي للعراق ، ففي بلد لا احزاب فيه ، ولم يستطع مجلس الامة ان يسيطر على شؤون الدولة بل هو يسعى لكسب رضاء الحكومة عنه بدلا من ان تستمد الحكومة الثقة منه ، والبلاط محروم من شخصية تحل محل شخصية فيصل ، ورجال السياسة لاهم لهم الا الجلوس على الكراسي لزيادة ثرائهم ، ومساعدة خلانهم ، والاكثار من انصارهم على حساب الخزينة ، والمستعمر يقيم العثرات في سبيل تقدم الامة .

---

(١) ويقول الصباغ ان الفضل الاكبر في نجاح الحركة يعود الى تقرير الفريق عبد اللطيف نوري قائد الفرقة الاولى (الذى استند عليه تقرير طه) ، وان له اليد الطولى في وضعه لانه كان رئيس ركن الرتل المكلف بالقضاء على الحركة ، وقد سر بهذه الخاتمة السليمة ضباط الجيش القائلون بالقومية العربية وكانوا طه . الفرسان ص ٦٦ .

(٢) تاريخ الوزارات ، ج ٣ ، ص ٧١ .

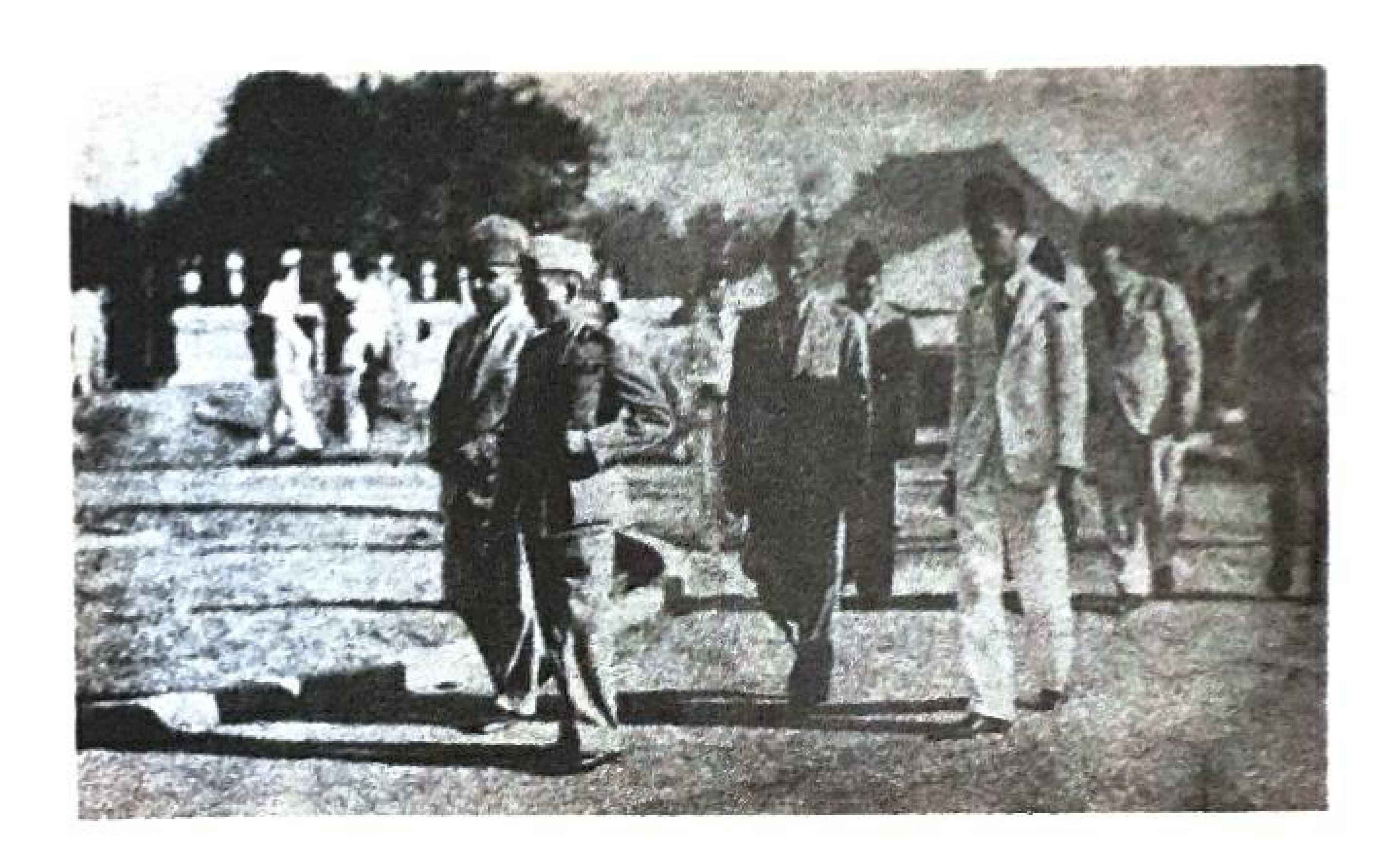
وفي بلد تكثر فيه الثورات بسبب سوء الادارة ، وجهل الموظفين وميل الكثير منهم الى الارتشاء ، فيضطر الجيش الى قمع تلك الثورات مضحيا بخيرة ابنائه ، وفي بلد على هذه الشاكلة لايستكثر على رجال جيشه الاهتمام بسياسته الداخلية . فرجال الجيش وهم بطبيعة الحال من خيرة ابناء الامة ومثقفيها وباذلي دمهم في سبيل استقلالها ، وتاركي راحتهم للحفاظ على امنها وسلامتها ، لايطلب منهم ان يصموا اذانهم عن الشكاوى المرة ويغمضوا عيونهم امام الوقائع المحزنة . فمن الواضح انهم يسائلون انفسهم عن منشأ هذه المخزيات ، ويتناولون الرأى في طرق الاصلاح . لاسيما وانهم يعملون ماتقدمته الجيش في البلاد المجاورة من الخدمات المثالية لامتها[1] » .

بهذه الخلفية ، استلم «الاخائيون» بزعامة ياسين ، زمام السلطة ، ومن هنا يمكن تقدير المصاعب التي جابهت الحكومة الجديدة منذ البداية ، وعلى الرغم من الاتجاه نحو الاصلاح ، الا ان المشاكل والتركة الموروثة كانت من الثقل بحيث ان شخصا ، من عيار ياسين ، قد ناء تحتها ، وفي البداية كان عليه ان يجابه معضلة داخل صفوف حزبه ، ذلك ان الكيلاني وحكمت اصرا على اشغال وزارة الداخلية وكان كل منهما يظن انه لعب الدور الاكثر حسما في اثارة القبائل وتأليب المعارضة ضد — جودت — و — المدفعي — ، لذا فانه احق من غيره بهذا المنصب المشرف على الشرطة والامن والصحافة وما له من صلة وثيقة بشيوخ العشائر ، من حلفاء وغيرهم ، وبمصالحهم .

ولقد اثر — ياسين — اسناد الداخلية الى — الكيلاني — لاعتقاده بوجود علاقة — لحكمت — مع مجموعة الشباب اليساريين الذين سبق لكامل الجادرجي ان ارتبط بهم وعمل معهم بعد تركه حزب الاخاء ، وقد عرفت المجموعة فيما بعد باسم «الاهالي» كما ان — ابو التمن — انضم اليها لنفس ظروف الجادرجي ، وقد كانت صلات — حكمت — مع الجادرجي وابو التمن معروفة فخشي ياسين من انتشار الافكار «اليسارية» خاصة اذا اصبحت وزارة الداخلية من نصيب — حكمت — ، هذا اضافة الى ان — الكيلاني — اقرب الى رئيس الوزراء الجديد من اى سياسي اخر بحكم عملهما معا داخل المعارضة وفي السلطة وكانت هذه الواقعة من ابرز الاسباب التي جعلت الحليف السابق يندفع اشد الاندفاع من اجل الاطاحة بوزارة — ياسين — سواء عن طريق تحريض القبائل او الاستعانة بالصداقة القديمة والاعجاب المتبادل بينه وبين — بكر — .

---

(١) مذكرات طه الهاشمي : ص ١٣٢ و ١٣٣ .



ــ من اليسار ــ : ياسين الهاشمي والملك غازي ومحمد امين زكي ــ وزير الاشغال المواصلات ــ وعبد الاله عام ١٩٣٦

ولسنا بصدد تقييم ــ ياسين ــ وحكومته ، فهذا يتطلب مجالا اوسع ، غير ان الرجل عمل جاهدا من اجل اصلاح الامور ، فقد استطاع تخليص العراق من ديون الحرب العثمانية ووضع برنامجا للتخطيط الاقتصادى ، وكافح الرشوة وعدم الشعور بالمسؤولية بين الموظفين الى حد فصل واقصاء عدد منهم ، رغم ان البعض من انصاره ومؤيديه ، ووضع قانون الخدمة الالزامية في الجيش موضع التطبيق فبرزت للوجود في عهده اول فرقتين للجيش العراقي وكان يأمل في تشكيل فرقة ثالثة ، وارسل شقيقه ، طه ، الى انكلترا بمهمة رسمية لضمان تسليح الجيش وتجهيزه على ان يعرج من هناك على المانيا وتشيكوسلوفاكيا لشراء مدافع والاتفاق على اقامة مصنع للاسلحة في العراق ، وسعى من اجل زيادة المستشفيات والمدارس ، واوجد نظام الفتوة لطلاب المدارس ، واتجه في سياسته العربية اتجاها قوميا لا شائبة فيه اذ اندلعت ثورة فلسطين عام ١٩٣٦ في عهده فكان يمدها بالسلاح والعون المالي ، كما فعل ذلك مع سوريا الخاضعة للانتداب الفرنسي ، وفسح المجال امام منتسبي الجيش العراقي للتطوع في صفوف الثورة ، وشجع الافكار القومية وكثرت الاشادة بها شعرا ونثرا وانشادا ، حتى اصبح العرب في المشرق خاصة يتطلعون الى ياسين على انه «بسمارك العرب» وان العراق «بروسيا العرب» ، بامل تحقيق الوحدة العربية على يديهما وتخليص الاقطار العربية القريبة

والمجاورة مما حل بها من جور الاستعمار ومظالمه . ولقد حاول ــ ياسين ــ مكافحة الفساد بين الموظفين والناس ، فأسس «الشرطة الاخلاقية» للحيلولة دون ارتكاب مايشين الاخلاق العامة علنا ، كما ان حادث فرار الاميرة «عزة» شقيقة الملك وتنصرها وزاوجها من ندل يوناني مما كان له اسوأ الاثر في النفوس ، لذا اتخذت الوزارة اجراءات لتطهير البلاط واصدرت مرسوما لصيانة سمعة العائلة المالكة ، ويقال بان غازى كان يضيق ذرعا من هذه الاجراءات سيما بعد ان حاول خصوم ياسين ان يوغروا صدر الملك مما ادى به الى تقبل انقلاب ــ بكر ــ سواء عند حدوثه او عندما اخبر بذلك قبله بمدة .

ومن الطبيعي انه لم يكن بمقدور ــ ياسين ــ القضاء على ظاهرة الفساد والرشوة بضربة واحدة ، وفي ذات الوقت وجد نفسه امام عمليات تمرد قبلية تهدف الى اسقاط الحكومة اى ان نفس السلاح الذى استخدمته المعارضة ضد المدفعي ــ جودت قد ارتد اليها وهي في الحكم . ولم يكن ــ حكمت ــ بعيدا عن العمليات المذكورة ذلك ان الاخير اندفع في خصومته للهاشمي الى حد لايصدق ورفض جميع عروض التفاهم المقدمة اليه . ولجأت الحكومة الى ــ بكر ــ لقمع الثورات ، فاستخدم هذا من الاساليب القاسية وغير الانسانية ما اثار حتى اولئك الذين عرفوا بوقوفهم الى جانب ــ ياسين ــ في الاوساط المدنية والعسكرية غير ان هذا لم يمنع عددا منهم من تحذير رئيس الوزراء من مطامح ــ بكر ــ الناجمة عن النجاح الذى حققه باخماده الثورات المحلية والتي لم تعد خافية ، ذلك ان ــ طه ــ نفسه يعترف في مذكراته[1] بان ــ بكرا ــ عرض عليه القيام بحركة تؤدى الى «تسلم المخلصين الحكم» وتسفر عن اقصاء «نورى وجعفر ورجال المعارضة»[2] . غير ان ــ طه ــ حذره من فكرة زج الجيش في السياسة فتراجع كما هي عادته .

وتقول السيدة ــ مديحة ــ انه قبل لمدة من وقوع الانقلاب وردت قرينها الشهيد ــ محمود ــ رسالة خالية من التوقيع وفيها ما يأتي : بما انك تقدر طه وتقول عنه انه عسكرى ممتاز وله منزلة عندك ، لذا فان ضميرى يدفعني الى ان افشي لك سرا ، ان بكرا سينفذ مؤامرة خلال اجازة ــ طه ــ الصيفية .

«وعلى الرغم من وجود سوء تفاهم بين ــ محمود ــ و ــ طه ــ فقد توجه الشهيد الى رئيس اركان الجيش وحذره من مغبة سفره ، لان بكر صدقي ينوى تنفيذ مؤامرة تستهدف قلب نظام الحكم اثناء غيابه . لم

---

(١) ص ١٥٦ .

(٢) يقصد المعارضة ضد ــ ياسين ــ عندما كانت حكومته في ايامها الاولى .

يصدق — طه — بذلك فرد بقوله : من ؟ بكر ؟ لو كان غيره لصدقت الامر . انه اقرب الي من اخي ياسين .

«وبالفعل كانت هناك ـ دالة مبينة بين الرجلين اتضح من سير الاحداث ، فيما بعد : انها تستهدف خدع طه» [1] .

وعلى اية حال ، فقد تظافرت عوامل عديدة مهدت الامور لنجاح الانقلاب ، غير ان اكثرها فعالية تحالف بكر مع — حكمت — واصدقائه «اليساريين» ، وتمكنه من عقد تحالف اخر مع الفريق عبد اللطيف نورى ، قائد الفرقة الاولى ، بعد ان اقنعه ان من الافضل له المشاركة في الانقلاب بدلا من الاقدام على الانتحار كما كان يزمع لمرضه ونظرا لعدم اهتمام الحكومة بامر مداواته في الخارج على نفقتها الخاصة .

واضافة الى تمكن — بكر — من تكوين مجموعة الضباط التي سبق وان اشرنا اليها ، فان الفرصة الذهبية حانت عندما عاد — بكر — من رحلة له في اوربا واستلم مركز رئاسة اركان الجيش بالنيابة من — عبد اللطيف نورى — وذلك في غياب — طه — بمهمة تتعلق بتسليح الجيش ، ولما كانت القطعات محتشدة في منطقة المناورات على مقربة من الحدود الشرقية ، فقد تم اجراء بعض التنقلات في الوحدات واعدت منشورات تحمل توقيع بكر «قائد القوة الاصلاحية الوطنية» لتلقى من الجو على بغداد صبيحة الانقلاب . وحملت خمسة طائرات بالقنابل وتوجهت الى جلولاء ، وما ان حلت ليلة ٢٩ تشرين الاول حتى زحفت الفرقتان الاولى والثانية من بلدروز وجلولاء الى بعقوبة فبغداد بقيادة — بكر — . وكان — حكمت — قد تسلم من قبل كتابا يحمل توقيع كل من — بكر — و — عبد اللطيف — موجها الى الملك على الا يقوم بتسليمه الا بعد ظهور الطائرات في سماء العاصمة والقائها المناشير .

وفي الساعة الثامنة والنصف من صباح الخميس ٢٩—١٠—٣٦ سقطت المناشير التي تطلب اقالة الحكومة على بغداد وما ان اطلع عليها الاهالي حتى اصابهم الرعب والهلع ، وفي ذات الوقت كان بعض الضباط وافراد الانضباط العسكرى يقومون بتوزيع نسخ من نفس المناشير في الشوارع والمقاهي ، وما ان اطلع — ياسين — على المنشور ، وكان في زيارة قصيرة لدار — جميل — حتى استقل سيارته وتوجه الى قصر الزهور بعد ان مر بمجلس الوزراء واجتمع ببعض زملائه حيث تذاكروا لبعض الوقت .

---

(١) من المقابلة في ٢٥—١—١٩٧٦ ، وتضيف السيدة — مديحة — ان — محمودا — لم يشترك في استقبال — طه — عند عودته الى العراق بعد مقتل — بكر — في صيف ١٩٣٧ غير انه زاره في داره فيما بعد حيث عبر له عن الاسى لوفاة — ياسين — .

الاعلانات ... قرشاً ... بالاتفاق مع الادارة

جريدة يومية سياسية جامعة

رقم التلفون بغداد ٧٧٤ — رقم صندوق البريد بغداد ١٣٦

صفحة جديدة

في تاريخ العراق

الانقلاب العسكري وتأليف الوزارة السليمانية

... العراق يوم الخميس الماضي ... فتح صفحة جديدة في ... وقد تم هذا الحادث الخطير ... الجيش الوطني الباسل ... مطاليب الشعب ... الشعب ... التي تجلت في المظاهرات ... من غير الجيش والهتاف ... الجمهور للجيش الوطني ... رئيس الوزارة والقائد ... الاصلاحية الفريق بكر صدقي ... البرقيات المهنئة والمؤيدة ... جريدة البلاد في عددين ... هذا التأييد والهتاف ... العراق ...

... من رجال ... في الجهاد الوطني ... هذه ... الاهلون ... الجديد ... فرقة ... الجيش الباسل ... عملياً في اصلاح الحال والقضاء على ما تذمر منه الشعب طويلاً وكان علة تأخره وفقره وشقائه.

ان اعظم ما يصبو اليه الاهلون ان يستمروا رغد شامل وان يحيوا حياة ملؤها القوة وفي وقت يحرصون على ان يكون كيان البلاد راسخاً يتشوفون الى ان ينعموا بسعادة ويعيشوا في ظل نظام عصري يجعل الفرد يتمتع بحقوقه وخيرات بلاده وهذا النظام يتوفر بقيام الوزارة الجديدة بحركة اصلاحية واسعة النطاق تبنى على المبادىء الاقتصادية



سعادة الفريق بكر صدقي العسكري

— تصوير عبوش

مظاهرات ضد الفاشست

في لندن

... المتظاهرون ضد الفاشيست في لندن ... الفاشيست ... والصورة تمثل ... وفي ... وهو يحمل طفلاً ... الفاشست البريطاني ... الزوجة

حوادث الخميس التاريخية

ذهب الناس الى اعمالهم يوم الخميس الماضي ذهاباً اعتيادياً بيد ان الحوادث تطورت بسرعة وفي ... بعض ... الاسواق

دواوين الحكومة

وما كاد الناس يطلعون على عنوانات المناشير وما تدعو اليه الا وعلموا في الحال بان الانقلاب

وقائده الكبير الفريق بكر صدقي وفخامة رئيس الوزراء حكمت سليمان ويصفقون تصفيقاً متواصلاً

سكرتير مجلس الوزراء ... العدد السابق) وعن ... الى صاحب الفخامة السيد حكمت سليمان ... التالية

اني اشكر صاحب الجلالة الملك ... اقوله في مثل هذا الموقف سوى ... الى الشعب العراقي الكريم الذي ...

جريدة البلاد تروي اخبار الانقلاب .

اما ــ حكمت ــ فانه عندما راى الطائرات تلقي بالمنشورات ، توجه بدوره الى قصر الزهور ، وبعد ان انتظر بعض الوقت دون ان يحفل بــه احد ، استدعى ، بواسطة ضابطين ، رئيس الديوان ــ رستم حيدر ــ وسلمه كتاب القائدين ثم انصرف ، وكان ــ رستم ــ قد جاء للملك بنسخة من المنشور ، وبعد ان اطلع عليه امر باستدعاء رئيس الوزراء و ــ نورى ــ و ــ جعفر[1] ــ والسفير البريطاني . ولما وجه ــ ياسين ــ سؤالا الى غازى عن موقفه من حركة الجيش التزم الملك جانب الصمت ، وبعد نقاش طويل حسم الامر عندما حلقت في سماء العاصمة ثلاث طائرات القت بعض القنابل حول دواوين الحكومة في الرصافة ، فقدمت الوزارة استقالتهـا وجرى تكليف حكمت ، خطيا بناء على طلبه ، بتأليف حكومة جديدة . وفي المساء دخلت قوات الجيش بغداد وعلى راسها ــ بكر ــ وتشـــكلت الحكومة الانقلابية دون المراسيم المعتادة .

كان نجاح الانقلاب ، والسرعة الخاطفة التي تم بها وما رافقه مــن عنف اودى بحياة وزير الدفاع ، ضربة قاصمة للآمال التي علقها الضباط العرب الذين رفضوا الانتماء الى «حـــزب» بكـــر صدقي والذين تصح تسميتهم بالقوميين فيما بعد ، على الجيش العراقي ، على الرغم من ان ــ حكمت ــ و ــ بكر ــ لم يوقفا المساعدات المرسلة الى فلسطين ولم يجريا تغييرات جوهرية على هذه الســـياسة حتى ان رئيس الوزراء العراقي كان اول مسؤول عربي يتصدى علنا للتنديد بمشروع التقسـيم الذى اقترحته لجنة ــ بيل ــ في صيف ١٩٣٧ كما انه طلب مساعدة المانيا وايطاليا والوقوف الى جانب الدول العربية عند عرض المشروع علـــى عصبة الامم من جانب الدولة المنتدبة ، بريطانيا .

ان استيلاء بكر شبه التام على السلطة ، وكونه غير عربي واتيانه ــ بحكمت ــ وهو سليل اسرة تركمانية ، واسقاطه حكومة ــ ياسين ــ التي اعتبرت افضل ما حققته الحركة القومية حتى ذلك الحين ، ثــم التصرفات الشاذة من جانب قائد الانقلاب ، وظهـــور اعـــوانه بمظهـــر الاستهتار حتى في الاماكن العـــامة ، واغتيال ومحـــاولة اغتيـــال بعض المعارضين ، ومطاردة ياسين وطه والكيلاني ونورى والمدفعي وانكماش غازى الكلي ، وارتباط الانقلاب ، في البـــداية ، مع جمـــاعة الاهالـــي «اليسارية» التى تحولت رسميا فيما بعد ، الى «جمعية الاصلاح الشعبي» ،

---

(1) لم يستطع ــ جعفر ــ في البداية حضور اجتماع قصر الزهور اذ انهمك في اتخاذ بعض الاجراءات التي تصور انها ستؤدى الى تبديل الموقف ومنها ارسال برقيات الى بعض من يعتمد عليهم ، فلما اطلع عليها ــ بكر ــ صمم على قتله اذا ما قدم لملاقاته وهذا ما تم فعـــلا .

وظهور الشيوعيين بشعاراتهم واعلامهم في الشوارع ، وما رافق ذلك من قيام الفتيات اليهوديات بالقاء الزهور على جنود القطعات التي دخلت بغداد فرحا وابتهاجا باسقاط حكومة ياسين القومية ، وما اشيع عن خطط لدى — بكر — لاقامة دولة كردية في المنطقة واستدعاء ضابط الماني ليضع له خطة الدفاع عن كردستان على نطاق يشمل الجانب الايراني والتركي ايضا ، ان كل ذلك اثار مخاوف القوميين ، وسخطهم في ذات الوقت على قائد الانقلاب ورهطه .

وكان الضباط المعارضون الانقلاب وقائده غير قادرين عند البدء على التفكير في عمل يدخل في نطاق الخيال ، فاثروا الانتظار الى حين حلول الفرصة . والواقع فان بكرا لم يشأ ان يظهر فورا عداءه لاولئك الضباط ، وبالتحديد لمن يتولون مراكز حساسة في الجيش ، ولعل مرد ذلك الى استمرار امله في اجتذابهم الى جانبه ذات يوم ، وربما تعود هذه السياسة الى الضغط الذى مارسه الضباط العرب الذين استمروا في الخدمة مع — بكر — خاصة العقيد اسماعيل صفوت . وعلى اية حال ، فلم يستطع قائد الانقلاب الاستمرار طويلا في تحمل وجود هؤلاء الضباط في مواقعهم العسكرية الهامة ، فاصدر امره بابعادهم ، حتى نقل بعضهم الى خارج بغداد[1] .

ومقابل ذلك ، راينا كتلة — بكر — من الضباط تزداد التفاتا حوله بحكم الارتباط المصيرى بعد اراقة دماء الخصوم والمنافع والملذات عندما زجهم باللهو والشراب والتسلط على مواطنيهم . وفي هذا الجو كان موقف القادة (العرب) الكبار مائعا فلم يعد بالمستطاع تعليق الامال عليهم ، لذا كان من الطبيعي ان تتوجه الانظار الى الضباط من ذوى الرتب المتوسطة لقيادة عملية القضاء على عهد الانقلاب بالتخلص من الفريق بكر صدقي ، وعلى الرغم من وجود تكتلات متعددة تعمل من اجل ذلك الهدف ، الا ان كتلة صلاح وفهمي ومحمود وشبيب كانت الانشط في هذا المجال والاكثر دقة في رسم خططها .

---

(١) تؤكد السيدة — مديحة — صحة هذه الواقعة وان — بكرا — ابلغهم ان نواياه حسنة واراد منهم التعاون معه الا انهم رفضوا وطلبوا منه كشف حقيقته واظهار اوراقه قبل مبادرتهم لذلك ، واضافت انه بعد ذلك ، اشتدت مخاوفه منهم ، فاصبح من المألوف ، مثلا ، العثور على تهديدات في حديقة الدار على شكل اوراق تحمل جمجمة وعظمين مع التحذير من عقد اجتماعات ، اما التنقلات فكانت كالاتي : فهمي الى الموصل . محمود الى الموصل وقبل وصوله اليها نقل الى كركوك فامضى كل هذه المدة في الاجازات لياتي الى بغداد لغرض التفاهم مع اخوانه . صلاح في (الميرة) وهو جار — محمود — لذا كان من السهل جدا الاتصال فيما بينهما . المقابلة في ٢٥-١-١٩٧٦ .

ومنذ البداية ، اتضح ان ـ حكمت ـ لايمتلك من قوة الشخصية ما يستطيع معه الوقوف في وجه ـ بكر ـ فتردت الامور وفقد القانون سلطانه ، واصبح العبث بسلامة المواطنين وامنهم من جانب جماعة اتسمت بالفساد والجهل امرا مالوفا ، وفي ذات الوقت سرت الخشية ، بين العسكريين والمدنيين من ذوي الاتجاه القومي من ان استمرار الوضع ، وتدهوره ، سوف لايؤدي الى تهديد كيان العراق ذاته فحسب ، بل وحتى الغاء دوره التقليدي في مساعدة الاقطار العربية الاخرى غير المستقلة في المشرق ، وعلى الرغم من ان ـ حكمت ـ قد قلب ظهر المجن لجماعة الاصلاح الشعبي بوقوفه الى جانب ـ بكر ـ ضدهم ومبادرة الاخير الى التنديد بالشيوعية ونفي اثنين من الشيوعيين خارج العراق بعد نزع الجنسية عنهم ، ومجيء اربعة من الوزراء القوميين بدلا من

الوزراء الاربعة المستقيلين ، فقد كان واضحا انه لابد من الخلاص من ـ بكر ـ سيما بعد اجراءات القمع البربرية ضد ثورة السماوة ، والاخطر من ذلك ان ـ بكرا ـ فقد القدرة على حرية الحركة اذ لم يعد يثق باحد سوى افراد حرسه حتى وصل به الامر الى ان ينام كل ليلة في منزل احد اعوانه وكثيرا ما كان يقيم له خيمة في ضواحي بغداد يقوم على حراستها عدد من الجنود لعله يأمن على نفسه ويستعيد ما فقده من راحة وفراغ بال . ويستفاد من الحسني ان محمودا وفهمي كانا في عداد القادة وانهما، مع عدد من الشيوخ والسياسيين ، كانوا يرون القضاء على بكر بعد ان استفحل امره ، واصبح مصدر خطر للعراق ، فقرروا القيام بثورة تبدأ من السماوة وتتسع شمالا ، فاذا ارسلت الحكومة الجيش لاخماد هذه الثورة عصى هناك وخذل بكرا وجماعته وهم في بغداد . ولكن الحكومة عاجلت حركة ـ السماوة ـ وقبضت على كافة الرؤساء قبل تنفيذ خطتهم فازداد السخط على قائد الانقلاب[(1)] .

وعلى اية حال فقد دنت ساعة التنفيذ ، وكانت الاتصالات تجرى على قدم وساق على النطاقين العسكرى والمدني ، ومن ذلك ان ـ امين العمرى ـ قائد القوات في الموصل بعث احد مرؤوسيه الى بغداد لمعرفة تطورات الامور ، ولما زار ـ الصباغ[(2)] ـ في مديرية الميرة وجده تحت المراقبة الشديدة فلم يستطع التفاهم معه ، فاتجه لزيارة ضباط اخرين ، اما ـ حازم المفتي ـ الذى كان وثيق الصلة بكل ما يجرى في الخفاء ، فيقول بان ـ الصباغ ـ زوده برسالة الى ـ فهمى ـ في الموصل

---

(1) تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٤ ، ص ٣١٤ .

(2) هو الملازم (العميد المتقاعد) طاهر عبد الغفور الذى اكد لنا في لقاء بتاريخ ٣-٢-٧٦ ان فهمي كان اللولب المحرك لاغتيال ـ بكر ـ وفي قمع الاجراءات الانتقامية التي قررت حكومة بغداد اتخاذها ودفع العمرى الى الخروج عن السلطة المركزية .

بخبره ان ـ بكرا ـ قادم وان الفرصة حانت للخلاص منه[1] وهو في طريقه الى تركيا لحضور مناورات جيشها وهذا ما تم فعلا في ١١ـ٨ـ١٩٣٧ .

وبمقتل قائد الانقلاب وسقوط ـ حكمت ـ برز الضباط القوميون الى العلن ، فقد كان صلاح ،مثلا ، من بين الذين اشتركوا في استقبال ـ المدفعي ـ في المطار عند استدعائه لتاليف الحكومة الجديدة وانه رافقه الى منزله حيث قدم له «مطالب الجيش» التي ابدى موافقته عليها ، ومما زاد من اعتماد الضباط الذين اسقطوا الانقلاب على ـ المدفعي ـ ان الذى اتصل به كان ـ السبعاوى ـ الذى كان قد ترك العراق بفعل ضغط جماعة ـ بكر ـ كما انهم تولوا مناصب هامة في الجيش زادت من ثقتهم بانفسهم ، ومن قدرتهم على ان يلعبوا دورا يشتد اهمية في توجيه الاحداث فيما بعد ، فقد عاد ـ محمود ـ الى امرية الحرس الملكي واصبح ـ صلاح ـ معاونا لرئيس اركان الجيش ومديرا للحركات ، وعهد الى فهمي ـ بقيادة القوة الالية ، وهي من اهم التشكيلات الضاربة في الجيش ، وتقرر تعيين ـ كامل ـ امرا لاحد الوية الفرقة الاولى التي انتقلت قيادتها الى ـ العمرى ـ في بغداد بعد ان اوثق تحالفه مع الاربعة اضافة الى اخرين ابرزهم ـ حسين فوزى ـ رئيس اركان الجيش و ـ سعيد التكريتي ـ و ـ عزيز ياملكي ـ وغيرهم مما تصح تسميته بتكتل الضباط السياسي داخل الجيش . اما بقية الضباط فهم بين مؤيد للتكتل المذكور ، او منصرف لعمله وشؤونه الخاصة .

ولقد كان واضحا ان اسقاط ـ ياسين ـ ووفاته قد تركا فراغا كبيرا في قيادة الحركة القومية في العراق وزاد العهد الانقلابي من الشعور بوجود ذلك الفراغ ، فلما عهد الى ـ المدفعي ـ بالحكم ، تبين لتكتل الضباط ، بعد مدة قصيرة انه ليس بقادر على سد مكان ياسين ، وانهم لابد وان يتخلصوا منه بشكل او باخر لعدة عوامل منها :

اولا : اعلانه عن اتباع «سياسة اسدال الستار على الماضي» فيما يتعلق بالانقلاب ورجاله .

ثانيا : استمرت وزارة الانقلاب في تزويد ثوار فلسطين بالسلاح والعتاد ، وكانت هناك كميات منه في طريقها الى فلسطين ، فلما جاء المدفعي الى الحكم امر باعادتها الى مخازنها ، مما ادى الى بروز خلاف شديد مع التكتل العسكرى .

---

(١) الحرب العراقية البريطانية ص ٨٠ .

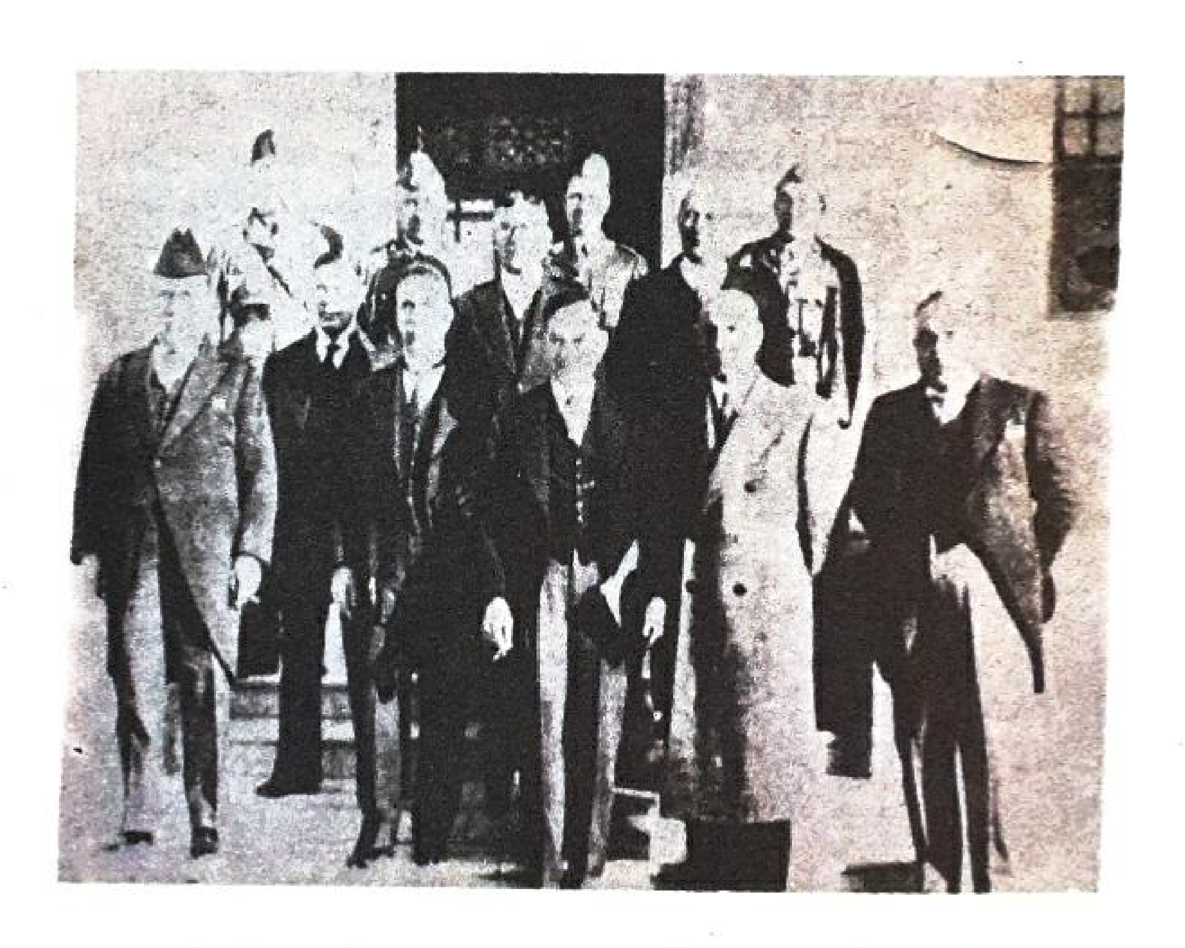
ـ ثالثا : لم تكن هناك رابطة ما بين رجال التكتل والوزارة الذين تعاونوا مع ـ المدفعي ـ .

رابعا : وبعد التصديق على معاهدة الحدود بين ايران والعراق والتي عقدتها الحكومة السابقة وامرار اتفاقية النفط «وكان الغبن فيها ظاهرا» ، وصلت الامور نهايتها بتعيين ـ صبيح نجيب ـ وزيرا للدفاع ، وهو ضابط متقاعد اجمعت المصادر المختلفة على انه كان بالغ الاعتداد بنفسه الى حد الغرور لايتورع عن الحاق الاذى بالضباط ، والاخطر من ذلك انه حاول خلق كتلتين متناوئتين الاولى تقول بالعروبة والثانية ضدها تقول «العراق للعراقيين» .

في هذا الوقت لم تكن قد وجهت اية ضربة الى اعوان ـ بكر ـ داخل الجيش وخارجه ، لذا فقد زاد هذا الواقع وكذلك عودة ـ طه ـ و نوري ـ و ـ الكيلاني ـ الى بغداد وانغماسهم في العمل السياسي ، رغم تظاهر ـ نوري ـ بخلاف ذلك تهدئة للمدفعي ، زاد من فوران الوضع العام هذا ناهيك عن النفور بين تكتل الضباط والحكومة ، وفي ظل غياب القيادة القومية اوجد الملك غازي له مكانة فريدة من نوعها وذلك بنصبه اذاعة في قصر الزهور يوجه منها اراءه الى الشعب في القطر العراقي وباقي ارجاء الوطن العربي كما انه بعمله هذا ابتعد عن الانكليز بالطبع ، ولم يكتف بذلك بل وثق علاقات الصداقة الشخصية مع القوميين سيما الضباط الشبان وسرعان ما اصبح الملك موضع اعجاب شعبي هائل وحقد شديد من جانب الانكليز واعوانهم وكان ـ نوري ـ اشدهم كراهية ـ لغازي ـ نظرا لاعتقاده انه اما ان يكون محرضا على انقلاب ـ بكر ـ او راضيا عنه على الاقل ، وهو الانقلاب الذى هدر دم صهره ـ جعفر ـ وشرده خارج العراق خائفا مذعورا ، وكان الملك يبادل ـ نوري ـ مقتا بمقت ويدرك مدى خطورته عليه واحتمال انتقامه منه وكان هذا من العوامل التي حالت دون تكليف ـ نوري ـ بتاليف الحكومة بعد سقوط ـ حكمت ـ لان ـ غازي ـ والكثير من الساسة كانوا قد وضعوا هذه الحقيقة بنظر الاعتبار .

لقد كان ـ طه ـ المنكوب بشقيقه ـ ياسين ـ والذى لحقه كثير من الاذى نتيجة الانقلاب وهو مدرس ضباط التكتل وغيرهم وقائدهم ، اقرب الناس اليهم سيما وانه تمكن من احكام عرى الصداقة مع ـ حسين فوزي ـ رئيس الاركان الجديد ، ولما كان التكتل المذكور قادر على احداث التغيير المطلوب فقد اخذ ـ نوري ـ بالاتصال باقطابه والتودد اليهم الى حد التردد عليهم في دوائرهم وزيارتهم في دورهم محاولا اقناعهم بسلامة نواياه وبانه يعمل من اجل ضمان استقلال البلاد العربية اى بوجود اهداف مشتركة بينه وبينهم ، ولما اراد التكتل اقناع ـ طه ـ بقبول رئاسة الحكومة بعد الاطاحة بالمدفعي فانه اعتذر على اساس انه عسكري

ولا رغبة له بالسياسة ، لذا فانه يفضل وزاره الدفاع ويرشح ــ نوري ــ للرئاسة ، وبهذا الصدد يقول الصباغ : «اجل تناسيت ما اعرف عن امر نوري وخدعني بما قال لي ولفهمي مستعرضا الاعمال التي ستجعل البلاد العربية متمتعة بنعمة الاستقلال ، هكذا اكتشف نوري من اين تؤكل الكتف ، وعرف الطريق لاستغلالنا ، وتشفع بطه الهاشمي وقال انه لو لم يكن عند حسن ظن طه لما ايده وازره ، وصدقه ، ثم انهما منتسبان الى حزب الاستقلال ، وان طه كفيله لانه اخوه ، وسيبقى اخا له ولنا ، ولن يخرج عن رأى طه ما دام حيا كيفما تغيرت الظروف»[1]! اما لماذا اتخذ طه هذا الموقف فانه يفسره قائلا : «اما الرئاسة فيجب ان تترك النوري لان له شهرة عالمية ولانه يطمن الانكليز»[2]!



وزارة نوري السعيد الثالثة التي تألفت في ٢٥-١٢-٣٨ ، ويبدو فيها نوري في الوسط وعن يمينه طه الهاشمي وعن يساره رستم حيدر وزير المالية .

---

(١) الفرسان ، ص ١١٣ .

(٢) مذكرات الهاشمي : ص ٣٦٧

ولما نضجت الامور بهذا الشكل ، وضع التكتل العسكرى قواته في حالة الانذار وتوجه — ياملكي — الى دار المدفعي ليبلغه ان الجيش قرر وجوب ابتعاده عن الحكم لانه «لم يعد يرتاح اليه» ، فلما حاول رئيس الوزراء التساؤل عن موقف انصاره من كبار الضباط ، اخبره مبعوث التكتل انهم يتسامرون في النادى العسكرى ولايدرون من الامر شيئا ، فلم يجد — المدفعي — بدا من الاستقالة بعد ان اخذت وزارته اخذا ، وفي الصباح تألفت الحكومة الجديدة برئاسة — نورى — بعد ان حاول الملك ، عبثا ، الوقوف في وجه ذلك عندما اتصل هاتفيا بالصباغ عارضا استعداده لتكليف اى سياسي اخر بالرئاسة فلم يجد اذنا صاغية .

وبهذا الانقلاب الخاطف ، واقصاء كبار الضباط من مؤيدى المدفعي ، توطدت مكانة التكتل العسكرى وعظمت هيبته . والواقع ، فان لقاء التكتل المذكور مع نورى وما بدا للعيان انه انسجام فيما بينهما كان نقطة البداية في عملية طويلة معقدة ادت الى بروز ما اطلق عليهم اسم «العقداء الاربعة» وابتعادهم عن نورى وتقاربهم من التكتل السياسي القومي خارج الجيش حتى وصلت الامور ذروتها بانفجار مايس [1] .

وعلى الرغم من ان — نورى — قد اظهر دهاء كبيرا في اجتذاب التكتل العسكرى الى جانبه الا انه كان يحمل في ثنايا تفكيره برنامجا مختلفا للغاية عما تطلع اليه التكتل والتيار القومي الذى يمتد خارج العراق حتى يصل فلسطين . لقد جاء — نورى — الى السلطة على اساس الايهام بانه قادر على التوصل الى حل ما مع الانكليز فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية التي تشكل المحور المركزى في التفكير العربي ، وكان قد شرع بالفعل في اطلاق التصريحات والقيام بجولات نقلته الى القاهرة ثم لندن ، الا انه سرعان ما وجد نفسه امام استسلام السياسة الانكليزية لضغط الصهيونية والولايات المتحدة ، فلم يتمخض مؤتمر المائدة المستديرة في اوائل عام ١٩٣٩ الا عن «الكتاب الابيض» البريطاني الذى قابله العرب بالرفض ثم تنكرت له الحكومة البريطانية فيما بعد ونبذته تماما انحيازا منها لمصالح الصهاينة .

كان هناك موضوع اخر يضغط على دماغ — نورى — ، فعدا عن كراهيته الشخصية للملك غازى لعوامل بسطناها ، فان الانكليز كانوا

---

(١) «في تلك الفترة من عام ١٩٣٩ ، علمت بان المرحوم صلاح الدين الصباغ يقود زمرة من ضباط الجيش ، لها اهداف واضحة جلية في خدمة الوطن ومكافحة الاستعمار .

لم تكن هذه الزمرة كثيرة العدد ، ولكنها كانت كثيرة المدد ، اذ كان الشهيد صلاح الدين يهتم (بالكيفية) ولا يكترث — بالكمية — وكان لايهمه عدد رجاله بقدر ما كان يهمه مزايا اولئك الرجال» .

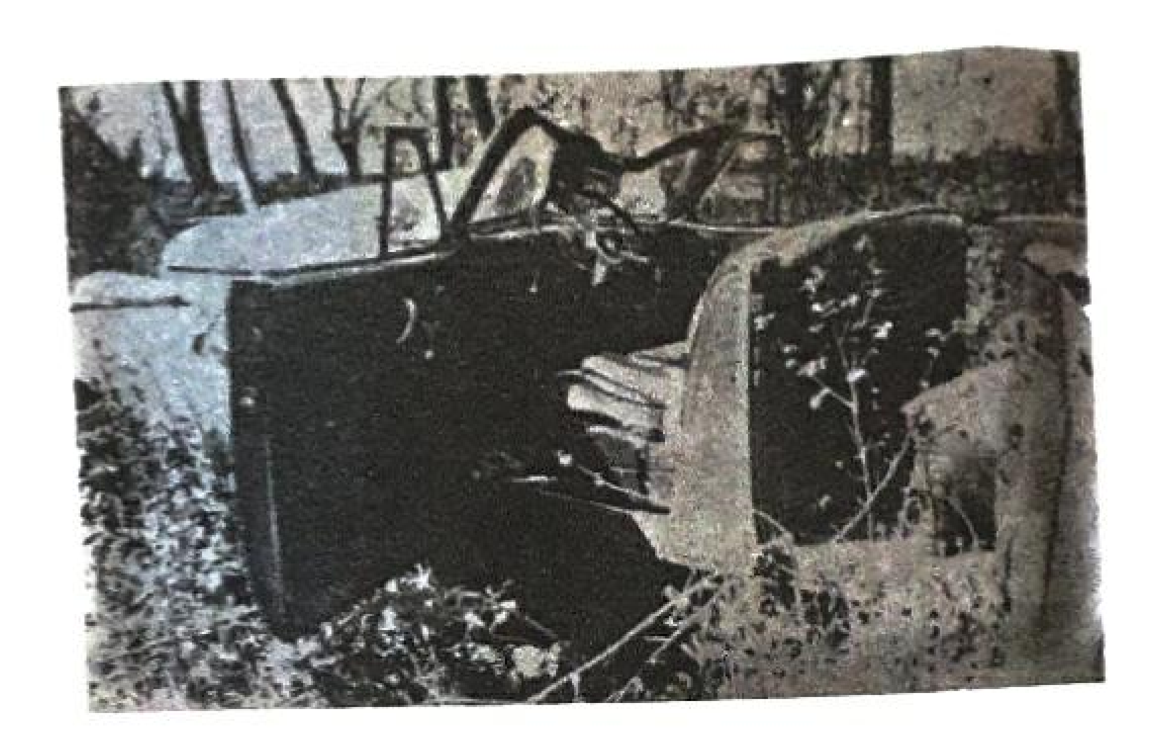
اللواء الركن محمود شيت خطاب ، جريدة العرب ٦—٥—١٩٦٧

يلحون عليه من اجل الاسراع في ايجاد ــ حل ــ لمسالة الملك الذى اشتدت مطالبته بامارة ــ الكويت ــ من اذاعاته في قصر الزهور ، ومهاجمته المتواصلة للسيطرة الاستعمارية البريطانية والفرنسية في سائر ارجاء الوطن العربي ، وتاييده لكفاح الشعب العربي الفلسطيني ، واعجابه بالتقدم الذى احرزته المانيا بقيادة ــ هتلر ــ الى حد ارسال وفد من الفتوة العراقية لحضور مؤتمر الحزب الاشتراكي الوطني الالماني في مدينة ــ نورمبرغ ــ وتغطية الرحلة على نطاق اعلامي واسع ؛ واعادة بث الاناشيد الوطنية التي ترنم بها الوفد المذكور واذيعت من برلين بواسطة اذاعة ــ قصر الزهور ــ .

ولقد تجلى الالحاح الانكليزى في الاتصالات التي اجراها السير ــ موريس بيترسون ــ السفير البريطاني مع نورى وغيره الى حد الايحاء للامير عبد الاله ، اثناء زيارة السفير الوداعية له في اوائل اذار ١٩٣٩ وهو لايحمل اية صفة رسمية ، بانه ينبغي السيطرة على ــ غازى ــ والا فلابد من خلعه . ولايمكن ، بهذا الصدد ، تجاهل المؤامرة التي قيل ان حكمت واعوان ــ بكر ــ قد دبروها لاغتيال الملك ومختلف الشخصيات المناهضة لهم . والواقع فان المؤامرة المزعومة هذه استهدفت اظهار عبد الاله ، المغمور في السياسة العراقية ، بانه مخلص لغازى حتى يمكن ابعاد الشبهات عنه فيما بعد وتوجيه ضربة انتقامية ووقائية في ذات الوقت الى ــ حكمت ــ وانصاره واشغال الرأى العام والاستمرار في خداع القوميين خصوصا بعد تجلي فشل سياسة ــ نورى ــ مع بريطانيا بشأن فلسطين .

وسط كل ذلك ، اعلن فجاة ان الملك قد لقى حتفه ليلة ٣ــ٤ نيسان في حادث ارتطام سيارته الخاصة التي كان يقودها من قصر الحارثية الى الزهور . وعلى الرغم من محاولات الحكومة التستر على الحادث ، فان اصابع الاتهام اتجهت بسرعة الى الانكليز ونورى ، وكان ذلك الحادث من ابرز العوامل التي تركت تاثيرا عميقا في نفوس القوميين ، من عسكريين ومدنيين ، تجاه بريطانيا و ــ نورى ــ ومن ثم ــ عبد الاله ــ مما انعكس على مواقفهم السياسية فيما بعد .

هناك نقطة هامة تستحق التساؤل : لماذا وقف التكتل العسكرى ، وخاصة العقداء الاربعة ، الى جانب اختيار ــ عبد الاله ــ وصيا على العرش ؟ هناك عدة اجابات . الاولى ان الامر كان منتهيا بفضل شهادة الملكة عالية وشقيقة ــ غازى ــ من انه كان قد رشح ــ عبد الاله ــ لهذا المنصب . الثانية ان الاخير هو خال فيصل الطفل . والثالثة ان ــ نورى ــ ومعظم السياسيين فضلوا ــ عبد الاله ــ على زيد . واضافة لكل ذلك فان ثلاثة من العقداء واعوانهم كانوا قد كونوا فكرتهم عن المرشح للوصاية



السيارة التي قيل ان الملك غازى لقي فيها حتفه .

عن طريق — محمود — الذى رافق العائلة المالكه امدا طويلا وتعرف على افرادها جميعا . وفي ذات الوقت لم يعرف عن — عبد الاله — اى خروج عن السلوك المقتول او ان سيرته تثير الاقاويل بعكس غازى ، كما انه كان متزنا خجولا لايحب الاختلاط بالناس مما كون له صورة تختلف كلية عما ظهر به بعد شهور من تسنمه الوصاية حين تحول الى شخص مستهتر يميل الى الظلم والدكتاتورية[1] . ان — محمودا — لم يكن شخصا عسكريا فحسب بل كان قائدا قوميا له اماله وخططه بشان مستقبل العراق والوطن العربي ، والذى فهمناه انه كان يدرك بان اختيار — زيد — وهو شخص متقدم في السن ومجرب سيحرمهم من توجيهه بالشكل الذى يريدون على العكس من — عبد الاله — الصغير السن ولكن الذى ثبت فيما بعد ان الوصي كان متحالفا مع — نورى — لتنفيذ مخططات السياسة البريطانية في العراق ، ولم يكن هناك ما يدعو في تلك المرحلة الى توجيه اصبع الاتهام لعبد الاله بشان مقتل الملك فهذا اقتناع بدا بالتطور تدريجيا بفضل تصرفات الوصي وضلوعه الكلي مع الانكليز وتعاونه المطلق مع نورى واعوانه .

---

(١) «وكيف اظن بالامير الظنون ، وكيف اعلم انه من عبيد الانكليز ، وانا احد الضباط المسحورين بتودده وهو الى ذلك ابن عم غازى وخال فيصل ومن سلالة يرتبط اصلها بمحمد النبي العربي الذى الينا على انفسنا ان نهتدى بمبادئه» .

الفرسان ، ص ٩٧ .



الفصل الخامس

ربع الساعة الأخير

ادى مقتل الملك غــازى الى تقوية مركز العقداء الاربعــة داخل الجيش ، فنتيجة للعلاقة التي تربط بين الوصي و ــ محمود ــ ولعــدم تكشف اية هوية سياسية كانت ــ لعبد الاله ــ فقد شرعوا ، وهـــذا طبقا لتفكير ــ محمود ــ الذى اشرنا اليه ، بالتقرب منه بينما بادلهم ، هو رغبة برغبة ، وقد بدأت العملية بان اقام الوصي في مايس ١٩٣٩ ، حفلة شاى في ملعب التنس المجاور لقصر الزهور ، لم يدع لها سوى العقــداء الاربعة ، فكانت تلك الحفلة بداية مسامرات استمرت حتى اواخر عــام ١٩٤٠ اى بعد اتضاح الهوية الحقيقية لخط الوصي .

ومن الطبيعي ان علاقة «الاستكشاف المتبادل» هذه كانت تتطلب عدة شهور قبل ان تؤدى ، او لا تؤدى ، النتيجة المطلوبة . والذى يبدو لنا انكلا من الطرفين تصور انه كسب الطرف الاخر ، اذ وصلت الامور بالنسبة للضباط الى حد «القول بضرورة توطيد مكانة الامير واعلاء شأنه ، «حتى دفعني ذلك يوما ما ان ارجو من طه الهاشمي (وكان وزيرا للدفاع) ان يوافق على تسيير موكب يرافق الوصي في غدوه الى البلاط ورواحه منه على غرار موكب غازى[1] » .

اما ــ نورى ــ الذى اثبتت الايام فيما بعد انه الحليف الاول للوصي فانه : «لا يفوته اسبوعدون ان يوجه لنا الدعوة الىداره ليوضح لنا مراميه ومقاصده ، وليوجه العتاب لطه اغتيابا ، لان طه يخفي علينا امورا يجب ان نطلع عليها ، وحجة نورى في ذلك اننا اولى بالاطلاع من جميع الوزراء الذين توصلوا الى الحكم في العراق ، بعد ان اثبتت التجــارب (ويقصد بالتجارب حادثة بكر صدقي) اننا ابعد منهم نظرا ، واننا اهل لمعالجــة شؤون البلاد ، واننا خاطرنا لانقاذ بلادنا بالنفس والنفيس ، لذلك لايجوز اهمال رجال هذا شأنهم ومن الضرورى ان يبقى الجيش مشرفا علــى سير الامــور مــا دامت الامــور في العــراق قد انتقلت من بعد فيصل الى ايدى الاطفــال (ويقصد نورى بالاطفــال الملك غــازى لانه كان لايطيق رؤيتــه) »[2].

ومع ذلك ظلت صلة العقداء مع ــ طه ــ اوثق مما هي عليه مع ــ الوصي ــ و ــ نورى ــ اذ كانوا في كثير من الاحيان ينظرون اليهما من خلال منظاره ، ولم يكن الرجل بالمتطرف أو المتعلق بالخصومات السياسية اذ كان يقف الى جانب «التسويات» حتى في المواقف التي تتطلب الحسم ،

---

(١) الفرسان ، ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

وهذا الامر جعله يتصور رغم العوامل التي بدات بالضغط بالشدة على مختلف الاطراف لاتخاذ مواقف محددة ان بالمستطاع التوفيق بين هذه المواقف .



في معسكر الوشاش عام ١٩٤٠ : صلاح الدين وعبد الاله : استكشاف متبادل .

ولم تكن هيمنة العقداء الاربعة على الجيش العراقي بالامر السهل بالنسبة لضابطين كبيرين اخرين ، هما ــ حسين فوزي ــ رئيس الاركان و ــ العمري ــ قائد الفرقة الاولى ، ومما لاريب فيه أن الضابطين المذكورين ، وغيرهما ، كانا يعلمان بالاجتماعات التي تعقد بين ــ الوصي ــ و ــ نوري ــ من جهة والعقداء من جهة اخرى وكذلك بصلة ــ طه ــ بهم واعتماده عليهم . ولما كان ــ فوزي ــ يتصور ان وجود الاخير في مركز وزير الدفاع واتساع نفوذ العقداء داخل الجيش سيقلل من امكانيات ممارسته صلاحياته ، وان ــ العمري ــ ناقم على العقداء لانهم دفعوا به الى الظل بعد اسقاط ــ المدفعي ــ التي كان قريبه ــ مصطفى العمري ــ وزيرا مقربا فيها ، كما انه غير راض عن ــ نوري ــ الذى كان يشك به بدوره ويتطلع الى اخراجه من الجيش ، فان تذر انشقاق قيادة الجيش بدت واضحة للعيان ، مما زاد من تقارب العقداء من كتلة طه ــ نوري ــ عبد الاله .

في غضون ذلك ، وقع حادثان خطيران ، فعلى الرغم من ان الناس كانوا يتوقعون اشتعال الحرب العالمية الثانية في اية لحظة ، فان الساسة العراقيين لم يتفقوا على موقف موحد ازاء بريطانيا وبالتالي تجاه الجهة التي ستحاربها ، ولهذا قوبلت مبادرة نوري الى قطع العلاقات مع المانيا

والقاء القبض على الرعايا الالمان المقيمين في العراق وتسليمهم الى بريطانيا برد فعل شديد واسفرت عن اول انقسام واسع النطاق حول السياسة الخارجية للعراق منذ عقد معاهدة ١٩٣٠ التي سيصبح تفسيرها والعمل بموجب احكامها المشكلة الرئيسية للبلاد .

ولما كان العقداء ، من الناحيتين الشخصية والفكرية ، اقرب الى ــ طه ــ اكثر من اى شخص اخر ، فلابد وان يقابلوا تصرف نورى هذا بامتعاض وعدم رضا ، وكان من راى ــ طه ــ القيام بعهود العراق وفقا لروح المعاهدة وان نالعراق غير ملزم باعلان الحرب ، وعندما حاول ــ نورى ــ اقناعه بذلك رد عليه بقوله : «عبثا تحاول يانورى ، فقد ابديت رأيي وقلت اذا كنا ملزمين حقوقيا فنعلن ، والا لا لزوم لذلك ، فاشار الى ضرورة ابقاء البريطانيين مطمئنين وان لايشك في موقفنا اذا اعلنت الحرب ، وان دخولنا يضمن لنا كرسيا في مؤتمر الصلح والى غير ذلك من اقوال ، فكان جوابي اننا اذا قمنا بتعهداتنا فليس للبريطانيين ان يشكوا منا شيئا[1]» . وكما يبدو من حجج ــ نورى ــ فان موقفه كان ضعيفا ، ومما زاد من قوة راى معارضيه ان الموقف الدولى لم يكن في صالح بريطانيا ، كما ان الكثير من دول العالم ظلت بانتظار ما سيحدث قبل الاتجاه في هذا الطريق او ذاك ، ومن الغريب ان ــ نورى ــ كان يرى هذا الرأى في الوقت الذى ظلت فيه عواطف شاه ايران مع المحور ، بعد اعلانه انه يسير على الحياد ، بينما قررت تركيا اتباع سياسة «الحياد المسلح» رغم الحلف العسكرى الذى سبق لها وان عقدته مع بريطانيا وفرنسا . ولقد ادى هذا السلوك السياسي ، ومن الطبيعي ان يكون الامر كذلك ، الى ان يجد نورى نفسه ، وبسرعة فائقة في عزلة سياسية خانقة خاصة وانه لم يستطع الحصول على شيء من الحلفاء بشأن تقرير شعب فلسطين لمصيره او مستقبل سوريا ولبنان ، وذلك خلاف الصورة التي حاول رسمها للراى العام داخل العراق وخارجه عندما جاء الى السلطة في الاسبوع الاخير من عام ١٩٣٨ .

وفي الوقت الذى تصور فيه ــ نورى ــ انه اوشك على اجتذاب العقداء الاربعة ، نهائيا ، الى جانبه ، وقع الحادث الخطير الثاني ، ففي تشرين الاول ١٩٣٩ ، حل في بغداد مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني واعوانه الذين كانوا لاجئين في لبنان منذ العام السابق وذلك نتيجة لمطاردة الانكليز لهم ، وقد كان قدومهم بمعرفة ــ طه ــ والعقداء ــ و ــ الكيلاني ــ رئيس الديوان الملكي الذى اتصل بالمسؤولين في قضاء الرطبة طالبا تسهيل دخول الضيوف الى العراق . وعلى الرغم من ان

---

(١) طه الهاشمي : المذكرات ، ص ٣١٥ .

المفتي اخذ على عاتقه ضمان عدم تدخل اللاجئين من فلسطينيين وعرب اخرين في السياسة الداخلية للعراق ، الا ان ظروف قدومه ، ومبادرة ــ الكيلاني ــ الى ادخاله على ــ الوصي ــ مما ادى الى اعتباره ضيفا رسميا على الحكومة العراقية رغم الامتعاض الذي ابداه ــ نوري ــ تجاه ما حصل ورغبته في اقامته في ــ كركوك ــ حرصا منه على ارضاء الانكليز ، كل ذلك احدث تبديلا في الموقف .

ولقد وصل المفتي الى بغداد في فترة، كان فيه ــ نوري ــ يبذل اقصى جهوده مع العقداء لجرهم الى تبني سياسته . ومن الواضح انهم ، في هذه المرحلة ، كانوا يسايرونه املا منهم في الحصول على تنازلات او وعود من بريطانيا يمكن معها الوقوف الى جانبها في تلك المرحلة المصيرية الحاسمة من الحرب ، غير ان ــ نوري ــ نفسه هو الذي زرع بذور ابتعادهم عنه ، ففي احد اجتماعاته معهم ، وجهوا له سؤالا : «الا يخلي الانكليز فلسطين والافرنسيون سورية لفرقتين من الجيش العراقي ، نضيف عليهما فرقتين من الوطنيين هناك فتدافع هذه الفرق الاربع عن فلسطين وسورية ضد اعداء الانكليز واعداء الافرنسيين ، وبذلك يتسنى لهؤلاء ان يستخدموا قطعاتهم المرابطة في فلسطين وسورية للقتال في صحراء ليبية او في الجبهة الغربية ؟

اجابنا : ان هذا غير ممكن» . وكان نوري قد حاول ، اكثر من مرة ، الالتفاف من وراء ظهر ــ الصباغ ــ ورفاقه ، عندما ظل يقترح استخدام فرقتين من الجيش العراقي للقتال في صحراء ليبيا او في البلقان تبعا لما يقتضيه الموقف الحربي ، يتولى ــ الصباغ ــ قيادتهما ، ولكن دون مقابل سوى الاعتماد على النوايا الحسنة لبريطانيا بعد الحرب .

لم يكن المفتي شخصا اعتياديا حتى يمر وجوده في العراق دون مضاعفات ، فهو زعيم فلسطين ، ورئيس الهيئة العربية العليا ، وله سمعة وصيت تجاوزا الوطن العربي الى العالم الاسلامي ، له شخصية مهيبة تترك اعمق الاثر في النفوس ، كما انه قادر على طرح القضية التي يكافح من اجلها ببراعة اضافة الى ما يحيط به من ظلم واضطهاد وما تعرض له واخوانه ، من خلال كارثة فلسطين ، من اذى وتشريد ، وعلى الرغم من أن المفتي يذكر بانه كان على معرفة بثلاثة من العقداء هم : محمود وفهمي وصلاح منذ ايام خدمته في الجيش العثماني ، الا ان ــ صلاحا ــ يقول انه التقى به لاول مرة بعد قدومه الى بغداد . اما معرفته مع ــ محمود ــ فامر مؤكد اذ كانا في فوج واحد ، ومن الطبيعي جدا ان تزداد العلاقة بين المفتي والعقداء قوة خاصة وانه حل ضيفا بين ظهرانيهم .

واذا اخذنا الوضع النفسي القلق الذي كان يساور الناس ، ومنهم



امين الحسيني في صورة عام ١٩٢٤ : سرعان ما وجد نفسه زعيما للحركة القوميـة في العــــراق .

الساسة والقادة ، بشأن مجرى الحرب والوقوف منها بنظر الاعتبار ، وتدارسنا الامر في تلك الظروف المحيطة بالمفتي ، فلابد ان يتطور اللقاء الشخصي الى علاقة سياسية ، وهذا ما كان فعلا ، والحقيقة فان الشباب المتعلم في العراق ، ومنهم العقــداء الاربعة واعوانهـم داخل الجيش ، وكذلك التيار القومي في البــلاد ظل مفتقدا الى الزعــامة منذ سـقوط ــ ياسين ــ ووفاته ، وتفاقم الامر بمقتل غازي ، لذا فسرعان ما وجـد المفتي نفسه ، وهو على استعداد لذلك ، على راس الحركة القومية داخل القطر وامتداداتها ، وما يتصل بها ، من باقي ارجاء الوطن العربي .

يقول ــ صلاح ــ : «ذهبنا لزيارته نحن الاربعة : فهمي ومحمود وكامل وصلاح الدين فاعجبنا به من الزيارة الاولى اذ وجـدناه مثلمـا سمعنا ومثلما تمنينا ، متفقا معنا على المبادىء العربية والاهداف القومية ، فتوالت زياراتنا له واجتماعاتنا به . فتشابكت على الاخوة ايدينا وسار معنا وسرنا معه» .

ولا يعني ذلك ، عند هذه المرحلة ، ان المفتي يريد خلق جبهة او قوة مناهضة ــ لنوري ــ وغيره من الســائرين في ركــاب الســياسة الانكليزية ، اذ كان يرى ان تجميع مختلف الساسة العراقيين في حكومة واحدة سيخفف من غلواء ــ نوري ــ ويقلل من احتمالات فرضه لما يريد ، كما ان المفتي اعتقد ان مثل هذه الحكومة «القومية» ستجعل العراق اكثر قدرة على مجابهة الانكليز والوقوف امام التطورات العالمية ومعالجتها .

رغم جميع المناورات التي لجأ اليها ــ نوري ــ فانه لم يحقق لبريطانيا غير شيء واحد هو قطع علاقات العراق الدبلوماسية مع المانيا ، غير ان المفوضية الايطالية في بغداد سرعان ما عوضت عن ذلك ، واستمر النشاط الدعائي المؤيد لدول المحور على اشده سيما مع تدفق الانتصارات التي حققها ــ هتلر ــ في اوربا ونجاح حرب الصاعقة والاستعدادات لغزو اقطار اخرى ، والحقيقة فانه ما ان اوشك عام ١٩٣٩ على نهايته حتى : «اتاني ناجي السويدى واخبرني بالتذمر وانتقاد الناس وزوال ثقتهم بنورى ، وقال باني انا المسؤول عن كل ذلك ، وان الناس يعلقون علي امالا فاذا اردت انا فيجب ان اتحمل المسؤولية...[1]» .

وسرعان ما ادرك ــ نورى ــ ذاته وهن وزارته ، لذا فما ان قتل ــ رستم حيدر ــ وزير ماليته في مكتبه الرسمي في كانون الثاني ١٩٤٠ على يد موظف شرطة صغير وهو حادث غامض حتى الان ، حتى شرع ــ نورى ــ بتهيئة الاذهان بين المدنيين والعسكريين للتبدل المتوقع ، ولما كانت اهدافه في خدمة المجهود الحربي البريطاني لم تتغير ، فانه ارتأى تكليف ــ الكيلاني ــ رئيس الديوان الملكي بهذه المهمة نظرا لما له من ثقل في الميدان السياسي ومن ثم ممارسة الضغط عليه عن طريق طه ، وربما العقداء الاربعة ، لتحقيق الاهداف المذكورة ، غير ان ــ نورى ــ لم يكن يتصور ان خططه هذه ستكون وبالا عليه ، فالكيلاني الذى كان قد عارض قطع العلاقات مع المانيا وله تفسيره الخاص لمعاهدة ١٩٣٠ والموقف الدولي العام ، رفض تأليف الوزارة[2] ، ولقد حاول ــ نورى ــ الاستعانة بالعقداء لهذه الغاية لكنهم ، ولهم ايضا موقفهم الخاص من هذه الامور ، ترددوا : «واخيرا تولى المفتي اقناع رشيد عالي الكيلاني ولست ادرى من الذى استعان بالمفتي ليقوم بهذه المهمة اهو نورى ام طه .

وجمعنا المفتي في داره وراح يقنعنا بان راى الكيلاني سيكون موافقا لرأينا وراى طه تمام الموافقة . وبان الكيلاني سيكون معنا قلبا وقالبا ، وان تولي رشيد عالي الكيلاني لرئاسة الوزارة سيؤمن للبلاد حكومة قومية وطنية تستطيع الوقوف امام التطورات العالمية ومعالجتها ، ويريد

---

(١) طه الهاشمي : المذكرات ص ٣١٩ .

(٢) كان ــ الكيلاني ــ قبل ذلك قد وافق على تشكيل الوزارة بعد استقالة نورى في شباط ولكنه بوغت بان ــ فوزى ــ و ــ العمرى ــ يعارضان اشراك نورى وطه في حكومته ، وبعد مجابهة بين معسكرى الوشاش والرشيد ، احيل العسكريان ومعهما ــ ياملكي ــ على التقاعد واعاد نورى تاليف الوزارة بعد ان وقف العقداء الى جانب الوصي وجانبه لكنهم ضمنوا بذلك السيطرة التامة على الجيش لهم .

الكيلاني مقابل ذلك ان يتأكد من مسانده الجيش له ، وان تكون يده مطلقة في ادارة دفة الحكومة ، لانه لايطبق ان يكون العوبة بيد الغير[1] » .

وعند اول لقاء بين — الكيلاني — والعقداء بوساطة — المفتي — ذكر الاول انه قد وضع خطة رئيسة يريد ان تسير عليها وزارته في مثل ظروف الحرب تلك ، وعلى الرغم من ان — الكيلاني — اكد لهم انه سبق له وان حصل على موافقة الوصي ونوري وطه «على هذه الاسس» فان تطورات الاحداث السريعة برهنت فيما بعد على ان — الكيلاني — لم يطرح الخطة امام الثلاثة المذكورين بهذه الصراحة والتفاصيل ، وان حماسه امام العقداء ، وهم القوة الحقيقية في البلاد ، قد جعله يسهب مما ادى ، في واقع الامر ، الى اجتذابهم نهائيا الى جانبه ومن ثم وضع الاساس لقيام تحالف المفتي — العقداء — الكيلاني وانصارهم اعتبارا من ذلك الحين [2] .

ان — طه — يتجاهل الخطة التي تحدث عنها الكيلاني بصورة تامة ، ولم نسمع ان — نوري — اشار اليها من قريب او بعيد ، اما — المفتي — فانه يلخص الامر بقوله : «ثم عتب علينا نوري باشا لاننا لم نتقدم لحسم الخلاف بين اخواننا رجال العراق . ولما اجبته بان خطتنا هي ان لاتتدخل في الشؤون المحلية والحزبية ، قال ان هذه هي شؤون من صميم القضية العربية ولاسيما في ظروف الحرب هذه . وانتهى الحديث بنا الى ضرورة السعي لجمع كلمة الزعماء والاحزاب في هذه الظروف العصيبة ، والوصول الى صلح وتفاهم وتعاون بينهم ، وتشكيل حكومة ائتلافية تمثل جميع الاحزاب ، ويختار سمو الوصي رئيسها ، وان توضع اتفاقية في هذه المقترحات يوقع عليها جميع الرؤساء السابقين وتودع لدى الوصي لتنفيذها»[3] .

---

(١) الفرسان ، ص ١٣٦ .

(٢) منذ شهر اذار ، ١٩٤٠ .

(٣) هذه هي الاتفاقية : «نظرا لرغبتنا الاكيدة في جمع الكلمة ، وتصافي القلوب ، وازالة الضغائن في هذه الظروف العالمية الخطيرة ، وما تتطلبه مصلحة البلاد من التفرغ لمعالجة الامور ، وتمشيتها بصورة اعتيادية ودستورية ، فقد اتفقت اراؤنا على ما يلي :

(١) تؤلف وزارة قومية مؤتلفة ، يختار رئيسها صاحب السمو الوصي ، حسب التقاليد الدستورية والاستشارات المعتادة .

(٢) رؤساء الوزراء السابقون ، ورجال الدولة الموقمون ، يتعاونون مع الوزارة المؤتلفة في داخلها او خارجها ، ومن يتعذر عليه الاشتراك فيها ، بسبب مقبول لدى سموه ، فانه يؤيدها لتحقيق الغايات المذكورة اعلاه ، ويتجنب مناوئتها» .

الوزارات العراقية ج٥ ، ص ١١٠ .



رشيد عالي الكيلاني :

المفتي قوى صلته بالعقداء الاربعة .

وعلى الرغم من تاليف الوزارة «القومية» برئاسة — الكيلاني — وما بدا من انسجام ظاهرى تجلى في صفاء الحالة في العراق مدة من الزمن، فان الوضع كان مرشحا للانفجار من الداخل بسرعة ، فقد وضع رئيس الوزراء الجديد الخطة التالية نصب عينيه وتعهد بتنفيذها حرفيا بعد ان طلب من — المفتي — ان يكون وكيله لدى القادة :

« ١ — المحافظة على صلاتنا التقليدية مع الانكليز على اســاس المعاهدة العراقية الانكليزية .

٢ — عدم التســاهل تجاه المطالب الانكليزية التي تخرج عن نصوص المعاهدة ، الا ما كان فيه مصلحة مشتركة للطرفين بالنظر لما تتطور اليه حالة الحرب ، او ما كان به ضمان لاستقلال العراق الناجز ، ووحـدة العرب واستقلالهم ، خاصة فلسطين وسورية ، على ان تعطى في ذلـك عهود ومواثيق وســمية .

٣ — تزويد الجيش العراقي بالسلاح من اى مصدر كان ، وعدم التردد في هذا الامر ابدا مادام الانكليز لايتمكنون من تجهيزنا بما نحتاج اليه من سلاح . فجيشنا بحكم الاعزل لان سلاحه القديم لاينفع في الحروب العصرية ، بينما يجب ان يكتمل في هذه الاونة تسليحه وان يقف على اهبة الاســتعداد .

٤ — النظر في امر اعادة الانتخابات العــامة على اســاس يؤمن للمجلس النيابي اعضاء احرارا يمثلون الامة ويعبرون عن رايها لا عن راى الحكومة التي تكون في دست الحكم ، ولا يكتفون برفع الايدى بالموافقـة دون مناقشــة (١) » .

(١) الفرسان ، ص ١٣٧ .

في غضون ذلك ، ماذا يريد نوري ؟ يتبين من الوثائق المستندة على ما كان يبوح به للآخرين : وحتى العقداء ، ومن المحاضر التي ظل قسم منها عالقا باذهان الذين ساهموا في جلسات مجلس الدفاع الاعلى وغيره انه كان يتطلع الى ما يأتي :

١ — قطع العلاقات مع ايطاليا ، كما حدث مع المانيا من قبل ، واعلان الحرب على المحور .
٢ — ارسال فرقتين من الجيش العراقي للمشاركة في العمليات العسكرية الى جانب الانكليز اما في البلقان او ليبيا حسب تطورات الحرب واحتياجاتها .
٣ — التخلص من المفتي بارساله الى امريكا بذريعة التعرف على رجالاتها البارزين وكسب عطف الشعب الامريكي .
٤ — عدم احراج بريطانيا فيما يتعلق بالوعود بشأن فلسطين وباقي ارجاء الوطن العربي لانها منشغلة عن ذلك ويفضل تأجيل الامور الى ما بعد الحرب .
٥ — السماح بانزال قوات بريطانية في العراق وذلك طبقا لتفسيره لمعاهدة ١٩٣٠ اى خلافا لراى رشيد واعوانه بان المعاهدة تقضي بمرور القوات فقط .

اثناء الفترة التي مرت منذ تأليف الوزارة حتى وضوح الانشقاق داخلها للعيان ، حاول — الكيلاني — الاهتمام بتسليح الجيش بعد ان اتضحت له مماطلات بريطانيا بهذا الشأن بذريعة عجز مصانعها عن ذلك ، ويقول — الصباغ — انه استدعى من قبل رئيس الوزراء مرتين حيث قابل في الاولى ، وبحضوره ، مسؤولين من المفوضية الايطالية ، وتم الاتفاق على ارسال الاسلحة للعراق من قبرص عن طريق سوريا اذ لم تحدث صعوبات ، اما في الثانية فكان هناك مسؤولان يابانيان قدما نفس العرض ، وقد وقعت على عاتق — الصباغ — مهمة اعداد قوائم الاسلحة المطلوبة ، وهذا ما انجزه بالفعل ، وعندما وجه احد اليابانيين سؤالا الى — الكيلاني — عن طريق ايصال الاسلحة الى الموانيء العراقية دون علم الانكليز الذين يفرضون رقابتهم على البحار ، رد بقوله ان العراق لايأتي مايوجب تذمر الانكليز لان ذلك لايخرج عن نصوص المعاهدة المعقودة بين الطرفين ، وان الحكومة العراقية ستأخذ على عاتقها تدبير الامر بعد وصول الشحنة الى الموانيء العراقية .

والواقع ، فان الانكليز وصلوا عند هذه المرحلة الى غاية التذمر ، ففي العاشر من حزيران ١٩٤٠ ، وبعد سقوط فرنسا واعلان ايطاليا الحرب ، قام السفير البريطاني بمقابلة — نوري — وزير الخارجية وطلب منه ان تقرر حكومته موقفها من ايطاليا ، وعندما نقل — نوري — الطلب الى مجلس الوزراء فانه اضاف عليه رايه بقطع العلاقات مع ايطاليا

كما فعل هو مع المانيا ، غير ان جميع الوزراء ورئيسهم ، باستثناء امين زكي وزير الاقتصاد ، وقفوا ضده ، ولم يؤثر الرفض على موقف الانكليز ، وفي ١٢ حزيران ، اعاد السفير الكرة مع رئيس الوزراء بذريعة ان «وجود الطليان يؤثر على المصالح البريطانية العراقية» ، فكانت النتيجة الرفض ايضا . وهنا تقرر ترك الامر الى — نوري — للعمل نيابة عن الانكليز .

ومن الطبيعي ان تصارع التيارات السياسية بهذا الشكل الذى ينذر بالعنف ، وعدم وضوح الرؤية بسبب الوضع العسكرى الذى اخذت كفته بالرجحان لصالح المحور ، قد ترك اثره على العقداء خاصة بعد زيادة تحالفهم مع المفتي وتقاربهم من — الكيلاني — وعدم ابتعادهم عن — طه — الذى ظل على صلته معهم سيما وانه لم يساير — نورى — ، لذا فقد عقدوا اجتماعا في بيت — محمود — لتقرير الخطة التي يسير عليها العراق والاقطار العربية خلال الحرب ، وانتهى البحث الطويل الى تقرير ما يأتي نقلا عن — المفتي — :

١ — التزام نصوص المعاهدة العراقية البريطانية وتجنب الخصام مع انكلترا ، والتمسك بالحياد .
٢ — تجنب اغضاب دول المحور (وقد كانت حينئذ في اوج انتصاراتها) .
٣ — بذل الجهود لتسليح الجيش العراقي وزيادة عدده وعدم التفريط به .
٤ — تجنب الدخول في الحرب والحرص على الا تستنزف القوى العربية في سبيل بريطانيا لان انتصارها ليس في صالح العرب ولانها ستنقلب عليهم كما فعلت بعد الحرب العالمية الاولى ولن تقيم اى وزن لتعهداتها بشأن قضية فلسطين .
٥ — التريث الى ان تنجلي حالة الحرب واتجاهات الدول المتحاربة حتى اذا ما ظلت بريطانيا راكبة راسها وماضية في سياستها الاستعمارية وتحيزها لليهود ، واشتركت روسيا واليابان في الحرب مع المانيا وايطاليا واصبحت الفرصة سانحة ، فانه يتحتم حينئذ على الاقطار العربية كلها ان تقف موقفا حاسما من الانكليز .
٦ — عند سنوح الفرصة المنتظرة تعلن الثورة بصورة خاصة في فلسطين لانقاذها من براثن الاستعمار والصهيونية (١) » .

ان تأثير — المفتي — واضح هنا ، سواء في طريقة صياغة القرارات او اعطائها البعد القومي الشامل لمجمل الاقطار العربية ، وفي ذات الوقت اصبحت هذه القرارات دستور عمل بالنسبة للعقداء كما تجلى في موقف — صلاح — عند اعداده اللائحة التي طلب مجلس الدفاع الاعلى من الجيش تهيئتها للاطلاع على وجهة نظره وادت الى نتائج خطيرة منها

(١) مجلة فلسطين : اب ١٩٦٧ ، ص ٢٢ و ٢٣ .

زيادة اقتناع التيار القومي العربي بوجوب المضي قدما في الاتصال بالمانيا ومحاولة التأثير ، عن طريقها ، على ايطاليا ، وهو الاتصال الذى تم بعد الجلسة الاولى لمجلس الدفاع الاعلى مباشرة .

اصاب ــ نوري ــ الياس من احتمال امرار مشاريعه من خلال مجلس الوزراء ، فلم يبق امامه سوى مجلس الدفاع ، وعندما عقد المجلس او ل اجتماع له في ١٢ حزيران ، وكانت فرنسا قد سقطت تحت الاحتلال الالماني واصبحت بريطانيا نفسها مهددة بخطر الغزو ، كان نوري في وهم كبير ، فهو ما زال عاقدا الامل على احتمال استمالة ــ طه ــ الى جانبه ، غير انه لم يتصور ان العقداء لم يصبحوا مع الجانب الاخر نحسب ، بل اقطابا له في واقع الحال ، لذا سنرى مدى خيبة الامل التي ستصيبه ورد الفعل العنيف الذى بدا منه عندما واجهته هذه الحقيقة المرة بشكل مباغت .

اقتصر العرض الذى قدمه ــ نوري ــ على نقطتين ، الاولى قطع العلاقات مع ايطاليا ، والثانية مناقشة الموقف الحربي والسياسي العام وتقرير موقف العراق ازاء ذلك ، واشار الى ضرورة قطع العلاقات مع ايطاليا كما قطعت من قبل مع المانيا «حتى لاتستفيد دول المحور من العراق ، ولا تطلع على تنقلات الجيوش البريطانية» . عارض جميع الوزراء راى ــ نوري ــ على اساس ان منع ايطاليا والمانيا من الاطلاع على التنقلات لايتم بقطع العلاقات مع الاولى في حين يعج العراق بعملاء كثير من الدول التي تميل الى المحور واولها المفوضية اليابانية وهذا ممكن ايضا من مدخل مضيق هرمز ومن شط العرب وعن طريق ممثلياتهما في ايران وسوريا لذا فان قطع العلاقات مع المانيا سابقا لم يكن مجديا من هذه الناحية ولا فائدة فيه غير المجاملة لبريطانيا والعداء لالمانيا من غير سبب معقول .

وارتأى المجتمعون ان الموقف الحربي والسياسي يتطلب الروية والانتظار ، فاضافة لما سبق فان تدخل الاتحاد السوفيتي الى جانب المانيا محتمل كما ان دخول ايطاليا الحرب واستسلام فرنسا وضع مصر وباقي البلدان العربية امام خطر قريب ، ومن ثم تقرر مراقبة سير الامور وايفاد وزير العدل ــ شوكت ــ الى تركيا لاستطلاع وجهة نظرها في الموقف الدولي وموقفها من سوريا في حالة اندلاع ثورة فيها ضد السلطات الفرنسية التي انحازت الى جانب حكومة ــ فيشي ــ الموالية للالمان وقد وقع الخيار على ــ شوكت ــ لاعتبارات عديدة منها ارتباطه بعلاقات صداقة مع المسؤولين الاتراك عندما كان وزيرا مفوضا في انقرة وهنا اصر ــ نوري ــ باعتباره وزيرا للخارجية على ان يرافق وزير العدل فتم له ما اراد .

ومن الواضح ان السفير البريطاني لم يكن يرضيه هذا الوضع القلق بالنسبة لمصالح بلاده ، ومؤكد انه كان يطلع على مجريات الامور في مجلس الوزراء والدفاع الاعلى عن طريق — نوري — وكذلك — الوصي — نفسه حيث ان لقاءاته مع الاخير مستمرة ودون علم اى مسؤول حكومى اخر وذلك خلافا لابسط القواعد والاصول الدبلوماسية ، وفي ذات الوقت كانت المفوضية الايطالية مراقبة ليل نهار من جانب الانكليز الذين ظلوا يلاحقون الوزير الايطالي المفوض اينما حل وتوجه ويرفعون التقارير عن الاشخاص الذين اتصل بهم او اتصلوا به ، وجرى نفس الامر ، ولكن بصورة اخف ، مع المفوضية اليابانية ، ويعتقد — الصباغ — ان — نورى — كان على معرفة باتصاله بممثلي المفوضينن[1] الايطالية واليابانية وباجتماعات العتداء مع — المفتي — وباقي الفلسطينيين والعرب ، وفي مرحلة لاحقة استطاع الانكليز حل الشفرة الدبلوماسية الايطالية وبذلك انفضحت جميع الاتصالات التي جرت فيما بعد بين القوميين العرب والمحور عن طريق المفوضية المذكورة وروما .

وعند هذه المرحلة قررت — لندن — القيام بتظاهرة سياسية — عسكرية ، ففي نفس يوم سفر — نورى — و — شوكت — الى انقرة اى ٢١ حزيران ١٩٤٠ ، قدم السفير البريطاني مذكرة الى وزير الخارجية

العراقي يبلغه فيها ان حكومته قررت انزال وحدات بريطانية في البصرة للتوجه من هناك الى حيفا ، وفي اليوم التالي ردت الحكومة العراقية بانها لاتجد ما يحول دون مرور الوحدات المذكورة ، ليس على اساس البقاء في العراق بحجة الاستراحة كما ذكر السفير مما يتطلب تأسيس «محلات اقامة وقتية» بل بنقلها الى المناطق الواقعة غربي نهر الفرات وذلك طبقا للملحق ٧ من المعاهدة الانكلو — عراقية — ولما كان الهدف احراج موقف الكيلاني ، اضافة الى غايات خفية اخرى[2] ، فقد اصر السفير على تطبيق المادة الرابعة وليس الملحق ٧ لتلك المعاهدة ، مع ان المادة المذكورة

لاتلزم العراق باستقبال قوات بريطانية بشكل دائم ، او حتى شبه دائم ، هذا ناهيك عن عدم توفر حسن النية لدى الانكليز تجاه العراق ، خاصة تلك الايام التي وصل ضغطهم عليه الذروة لوضعه في خدمة المجهود الحربي البريطاني . ومن المفارقات بهذا الصدد — ان — نورى — يقترح ارسال فرقتين من الجيش العراقي للمشاركة في العمليات العسكرية في لنبيا

---

(١) يلاحظ ان — الصباغ — يستعمل — سفارة — وليس — مفوضية — بينما الامر ليس كذلك .

(٢) كشف مؤلف كتاب «العراق وسوريا» بالانكليزية (ص ٢٢) النقاب عن ان هيئة الاركان البريطانية كانت قد وضعت خطة اسم السرى -- TROT — لانزال فرقة هندية في البصرة ، حتى ولو بدون موافقة الحكومة العراقية بهدف حماية ابار النفط في عبادان .

او البلقان بينما تطلب بريطانيا انزال قواتها ، بذريعة المرور ، في شتى ارجاء البلاد[1] .

في غضون ذلك وصل ــ نوري ــ و ــ شوكت ــ الى انقرة ، وبعد ان قام الاول باتصالات مع المسؤولين الاتراك والسفير البريطاني هناك ، قفل عائدا الى بغداد ، اما ــ شوكت ــ الذى كان مكلفا بمقابله ــ فون بابن ــ السفير الالماني فقد تذرع بمرض في اذنه وبقي في تركيا حيث توجه الى اسطنبول ، مقر الاقامة الصيفي للسفير ، ولما كانت له ، اى شوكت ، معرفة سابقة بالوزير الهنغارى المفوض فقد قام بتوسيطه لتدبير اللقاء المنتظر مع ــ فون بابن ــ وهذا ما تم فعلا في ٥ تموز حيث تسلم السفير رسالة تعريف بالوزير العراقي من ــ المفتي ــ يشرح فيها الغاية المرجوة[2] ، ويتضح من مجرى المقابلة ان العرب كانوا واثقين من المانيا ، ويتطلعون الى اقامة تعاون معها رغم قول السفير بان بلاده ترى ان «التطور القادم للوضع السياسي في الشرق الادنى مسألة تحظى باهتمام ايطاليا بالدرجة الاولى[3] » ، غير ان التعاون كان مشروطا بان تستخدم المانيا نفوذها لدى ايطاليا لغرض التوصل الى حل ينسجم ومصالح الامة العربية وان

تنفيذ المقترحات التي تقدم بها ــ شوكت ــ ، خاصة بشأن الانتفاضة المتوقعة في فلسطين والتي يفترض ان تدعم من سوريا عن طريق الضغط على سلطات ــ فيشي ــ هناك ، يرتبط بازالة قلق العرب من الاستعمار الايطالي لان العرب يدركون النوايا التوسعية للايطاليين بحكم تجربة ليبيا وما قام به موسوليني في اثيوبيا عامي ٣٥ ــ ١٩٣٦ . «وكما قاتلت الحركة القومية العربية الاستعمار الانكلو ــ فرنسي فانها ستقاوم الاستعمار الايطالي[4] » .

وبعد ان حصل ــ شوكت ــ على وعد من السفير بانه سينقل المقترحات الى حكومته ، وبان الرد سيصله عن طريق الوزير العراقي المفوض في انقرة ، وهو كامل الكيلاني ، شقيق ــ رشيد ــ توجه عائدا الى بلاده حيث شرح تفاصيل ما قام به الى رئيس الوزراء والمفتي وطه

---

(١) في الواقع ، طلب السفير في مذكرته الموافقة على تاسيس معسكرات استراحة في البصرة وبغداد والموصل ومحلات اقامة في المجرة والمسيب .

(٢) كان ــ الكيلاني ــ على علم بمهمة وزيره في تركيا .

(٣) جميع الرسائل المتبادلة بين القوميين العرب والمسؤولين الالمان والايطاليين موجودة نصا في كتاب «اسرار عراقية في وثائق انكليزية وعربية والمانية ١٩١٨ ــ ١٩٤١» ، الفصل الرابع .

٤ نفس المصدر السابق .

وبعض الذين يثق بهم ، ومن الطبيعي انه اخفاه عن ـ نوري ـ و ـ الوصي ـ واعوانهما ، ولكن يبدو ان الاول عرف بالخبر بطريقة ما ، لذا اوعز الى ـ كامل ـ بان يقوم ، بدوره ، بجس نبض مسؤولي المحور في انقرة لمعرفة نواياهم بشأن مستقبل البلاد العربية ، ولقد ادى ذلك الى زيادة الانشقاق بين الكتلة القومية ، بجناحيها العسكري والمدني ، واعوان الانكليز حتى انفجر الموقف في مجلس الدفاع الاعلى فكان الفتيل الذى لم ينطفيء الا بالقضاء على ثورة مايس[1] .

ومن الغريب ان ـ نوري ـ لم يدرك مدى التغير الذى طرأ على موقف العقداء منه عندما حدثت هذه الواقعة بينه وبين ـ صلاح ـ : «لقد كنا نحن الاربعة وطه واسماعيل نامق مجتمعين في دار نوري وحدث ان جاء ذكر ايطاليا وضرورة قطع العلاقات والاشتراك في الحرب الى جانب الحلفاء ، فقلت ما معناه ـ علينا ان نفكر بمصلحتنا قبل ان نفكر بما يرضي الانكليز واذنابهم .

وعلى حين غرة صاح نوري ـ ياصلاح الدين في راسك صوت سوف تصيحه لكن سوف ترى ما سيجرى بالعراق ـ .

فاجاني نوري بهذه العبارة غير المتوقعة فبهت ، كما الحاضرون . وتدخل طه فقال : لا ، لا يا باشا ، لاتسيء الظن بصلاح فهو لايرمي بقوله احدا وانا اعرف منك بصلاح الدين[2] » .

ويبدو ان هذا التدخل من وزير الدفاع قد جعل ـ نوري ـ يزداد اعتقادا ان السبيل اصبح ممهدا امامه لتحقيق ما يريد عن طريق الجيش وطه في مجلس الدفاع الاعلى .

بعد ايام من هذه الاحداث ، انعقد المجلس وحضره ـ الكيلاني ـ الذى تولى الرئاسة و ـ طه ـ و ـ نوري ـ و ـ ناجي السويدى ، وزير المالية ، و ـ عمر نظمي ـ وزير الاقتصاد والمواصلات و ـ امين زكي ـ وكيل رئيس اركان الجيش وصلاح ، و ـ نور الدين محمود ـ مدير الحركات و ـ شبيب ـ الذى اصبح قائدا للفرقة الاولى وضابطان اخران لتدوين محضر الجلسة . عاد ـ نوري ـ الى ترديد دعونه التي

---

(1) «١٥ تموز ١٩٤٠ (بغداد) : اخبرني رشيد عالي عن موقف الامير (عبد الاله) في امتناعه عن تصديق بعض مقررات مجلس الوزراء ، وطلب الي الحذر من نوري ، واخبرني ببعض المعلومات المترشحة عنه» .

طه الهاشمي ، المذكرات ص ٣٥٦ .

(2) الفرسان ، ص ١٤٥ . واضح ان ذلك جرى بعد عودة ـ نوري ـ من تركيا .

طرحها في الاجتماع الاول للمجلس بقطع العلاقات مع دول المحور ، واضاف على ذلك وجوب مساعدة الجيش البريطاني على تحشيد جيوشه في العراق ومن الواضح انه كان على اتفاق تام مع الانكليز عند طرح المطلبين .

وقف — الكيلاني — و — السويدي — موقف المعارضة من — نوري — الذي ايقن ان ساعة الاستعانة بالجيش ووزير الدفاع قد حانت ، لكن هؤلاء التزموا جانب الصمت رغم التفاته اليهم اثناء حديثه ، وهنا شعر — نوري — بحراجة موقفه فابتكر فكرة تدعو الى اطلاع المجلس على راى الجيش وان يطلب من الجانب العسكري تقديم لائحة يبسط فيها الجيش رايه وتعرض على المجلس في جلسته التالية ، ولم يكتف — نوري — بذلك بل استحصل على موافقة — طه — مشيرا ايضا الى ان من الضرور ى اشراك — صلاح — مع رئاسة الاركان بحكم اطلاعه على الامور ، وان كانت الغاية الحقيقية هي ان تكون اللائحة مناسبة لما يريد — نوري — انطلاقا من تقييمه غير الواقعي — لصلاح — واخوانه .

وبالفعل فقد عهدت هيئة الاركان بمهمة اعداد اللائحة الى — صلاح — — ولم تمر الا ليلة واحدة حتى استدعى — نوري — العقداء الى داره وحاول استمالتهم الى جانبه غير انه لم يظفر منهم بطائل ، ومما لا ريب فيه ان — صلاحا — لم يكن يعكس رايا خاصا به عندما وضع اللائحة ، بل عن افكار رفاقه الثلاثة والتيار الغالب داخل الجيش والسياسيين والرأى العام ، لذا جاءت اللائحة على الشكل التالي :

«١ — ليس من المحتمل ان يهدد العراق خطر قريب، لذلك فان تحشيد جيش بريطاني في العراق يعتبر مخالفا لنصوص المعاهدة العراقية البريطانية نظرا لعدم تحقق هذا الشرط . كما انه قد يسيء الى جارتينا اللتين تربطنا بهما اتفاقية سعد اباد . [١]

٢ — ان الخطر الوحيد الذى يهدد العراق يأتي من روسيا ، لذلك لابد من التاني ومسايرة دول المحور ريثما ينجلي موقف روسية فيتحاشى العراق كوارث الحروب ولا نجعل من اراضيه ساحة للحركات الفعلية .

٣ — على انكلترا ان تثق بالعراق وجيشه وان تخلص النية ، وحسن النية يفرض على انكلترة ان لاتهمل امر جيشنا وان تعمل على تسليحه قبل ان تطلب التحشد في بلادنا ، والا فهي سيئة النية وتعمل على

---

(١) كان الاتحاد السوفيتي قد عقد معاهدة عدم اعتداء مع المانيا ، ولم يتضح موقفه في بداية الحرب ، فساد الظن بانه قد يتحالف معها ويدخل الحرب ومن الطبيعي انه سيهاجم العراق في حالة تحالفه المطلق مع بريطانيا .

شل قوتنا عن قصد وعمد لتخضعنا فنكون طوع بنانها . اما تحشد جيش اجنبي بلا مسوغ فانه يمس بكرامة الشعب ومعنى الجندية ، لذلك فان الشعب لايطيق ان يرى جيشا اجنبيا يستعرض بلاده ويتبختر في ارجائها وشوارعها باسلحته ومعداته فيبقى مكتوف الايدى ويقوم بدور الشرطي الحارس لخطوط المواصلات ومداخر التموين والعتاد ويكون سجانا لاحرار البلاد[1] .

ساد الجلسة الثالثة لمجلس الدفاع جو مكهرب منذ البداية اذ وجد نورى نفسه عرضة لهجمات متواصلة وعنيفة من جانب ـ الكيلاني ـ و ـ السويدى ـ فوجها له التحدى ان كانت لديه معلومات او براهين او دلائل او اسرار خفية اطلع عليها خلال تنقلاته ليؤيدها مطلبه فينزلان عند رايه ، والا فانهما لن يلعبا بمقدرات البلاد ولن يتركا الدلائل والاسس التي يقوم عليها الموقف السياسي والحربي العام ، الى مجرد الحدس والتخمين . واضح ، اذن ، انه لم يعد هناك لقاء بين ـ نورى ـ ومعارضيه ، لذا يمكن تصور مدى شدة رد الفعل من جانب ـ نورى ـ عندما تليت اللائحة ، ففي اقل من لمح البصر ، تحول ـ صلاح ـ من عسكرى الى عدو سياسي بالغ الخطورة ، لما له واخوانه من ثقل ، فهذه الاقوال التي وردت فيها افكار سياسية بالدرجة الاولى وهي لم تؤد الى هز حجة ـ نورى ـ من الجذور فحسب ، بل وقدمت الدعم التام لمعارضيه وفتحت طريق المستقبل نحو تحالف الجيش ، الذى يسيطر عليه العقداء الاربعة ، ورجال المعارضة وهذا توقع مستقبلي مخيف لايمكن ان يفوت شخصا مثل ـ نورى ـ لذا فلا عجب ان يوجه عينيه المنكمشتين نحو ـ صلاح ـ وهما تشعان ببريق الغضب وتحدجاه بنظرة ملؤها الوعيد فكأنه قاتل صهره جعفر ، وان يطلب ، على الفور ، وقف الجلسة فلم ينعقد المجلس بعدها ابدا .

عند هذه المرحلة ، لم يشأ ـ نورى ـ مجابهة خصومه العسكريين بالعداء الصريح ، بل ركز مجمل نشاطه ضد ـ الكيلاني ـ واعوانه المدنيين ، تاركا للوصي مهمة اجتذاب العقداء او شقهم اوَ جر البساط من تحت اقدامهم وذلك بالاتصال بضباط الجيش الفعالين الذين كانوا يتولون قيادة القطعات الصغرى لكي يتخلوا عن تأييدهم للقادة الاربعة ، ومن

---

(١) الفرسان ، ص ١٥٣ و ١٥٤ ، وكانت اللائحة قد نالت موافقة وكيل رئيس الاركان ، وهيئة الاركان و ـ كامل شبيب ـ .

ويقول الصباغ : «قام الانكليز بوقائع غادرة للتخلص من الوطنيين العرب المناوئين لهم .. لذلك فان من اليسير على نورى ، بعد تحشد الجيش البريطاني ان يتخلص في ليلة واحدة من قادة الجيش ورشيد عالي وغيرهم ممن لايرضى الانكليز عنهم . وعلى رأس القائمة المفتي وجماعته وفوزى القاوقجي وعادل العظمة وغيرهم ، ولا يستبعد ان يكون طه ايضا بينهم» ص ١٥٦ . وهذه نبوءة تحققت بعد ثورة مايس .

هنا نرى ان اجتماعاتهم مع ــ عبد الاله ــ استمرت رغم الازمة السياسية الواضحة وبروز التكتلين المتنافسين ، احدهما على ارضاء الانكليز ، والثانية من اجل ضمان وقوف العراق على الحياد ، على الاقل ، في تلك الظروف العالمية الخطيرة المجهولة العواقب .

وفي ظل تعقد الوضع في بغداد ، استمرت الاتصالات بين القوميين العرب والمسؤولين الالمان والايطاليين وذلك بان ارسل ــ المفتي ــ سكرتيره الشخصي ــ عثمان كمال حداد ــ الى انقرة لمقابلة ــ بابن ــ ومن هناك توجه الى ــ برلين ــ عن طريق ــ بودابست ، حيث عقد محادثة طويلة مع ــ غروبا ــ الوزير الالماني المفوض السابق في بغداد والذى نقل الى وزارة الخارجية وقدم له مقترحات حملها معه من ــ المفتي ــ على انها صادرة عن «الجنة للتعاون بين الاقطار العربية تضم شخصيات عراقية وفلسطينية وسورية وسعودية» وهذه المقترحات تهدف الى الحصول على تصريح مشترك او بيانين متطابقين من جانب الحكومتين الالمانية والايطالية تعترفان فيه باستقلال الاقطار العربية ، بما في ذلك سوريا ، وتعبر عن رغبة الحكومة العراقية في اعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا واقامة تعاون ودى بين الحكومتين في جميع القضايا ذات الاهمية المشتركة ، وفي حالة صدور البيان المشترك المامول ، فان الحكومة العراقية ستقصي ــ نورى ــ من وزارة الخارجية وقد تستبدله ــ بشوكت ــ .

واقترحت الحكومة العراقية عقد اتفاقية سرية بينها وبين الحكومتين الالمانية والايطالية ، توضع فيها جميع تفاصيل التعاون الودى المنشود ، وان تلتزم الدول العربية الاخرى التي سيعلن عن استقلالها جانب الحياد التام ، وجرى اخبار الالمان انه يجرى الاعداد لانتفاضة مسلحة في شرق الاردن وفلسطين وانه ينبغي تزويدها بالاسلحة من جانب ايطاليا من مخازن الجيش الفرنسي في سوريا ، اذ تولت ايطاليا تنفيذ الهدنة مع فرنسا في سوريا ولبنان ، واوضحت اللجنة ان الانتفاضة المتوقعة بحاجة الى ٣٠,٠٠٠ جنيه استرليني من الذهب شهريا ابدت استعدادها لتوفير ١٠,٠٠٠ منها بينما وقع على الالمان عبء تزويد الثلثين الاخرين ، وفي النهاية جاء في المقترحات : «انه اذا قررت انكلترا الحيلولة دون مرور القوات الانكلو ــ هندية او ارسال وزير الماني الى بغداد على انه استفزاز وردت على ذلك باستخدام القوة ، فان العراق مستعد للدفاع عن حياده ضد انكلترا بجميع السبل . ان الحكومة العراقية مستعدة للسماح بان يدخل بلادها جميع الوكلاء او الخبراء الالمان اللازمين لهذا الغرض . ومن المحتمل انه سيكون من قبيل الحكمة اذا هم قدموا ، في الوقت الراهن ، بجوازات سفر محايدة[1]» .

---

(١) اسرار عراقية في وثائق انكليزية وعربية والمانية ، الفصل الرابع .



فون بابن سفير المانيا لدى انقرة : كان حلقة الوصل بين القوميين العرب والمسؤولين الالمان

وجهت الحكومة الالمانية صورة من مقترحات ـ حداد ـ الى وزارة الخارجية الايطالية التي ابدت عليها بعض التحفظات ، وبعد سلسلة من المراسلات بين برلين وروما ، تم تحقيق الاتفاق على صيغة بيان مشترك بشأن موقف المانيا وايطاليا من استقلال الاقطار العربية ، ويلاحظ ان البيان خلا من الاشارة الى الوحدة العربية بناء على رغبة الايطاليين . وفي ٢٣ تشرين الاول اذيع البيان التالي من راديو برلين وباري :

« ان المانيا (ايطاليا) ، التي كانت تستهدى دوما بعواطف الصداقة تجاه العرب ، وتضمر الامل في ان يترفهون ويكونون سعداء ، ويأخذون مكانهم بين شعوب الارض انسجاما مع اهميتهم التاريخية والطبيعية قد تابعت على الدوام ، وباهتمام ، كفاح الاقطار العربية العادل لتحقيق استقلالها ، وفي مساعيها لضمان هذا الهدف فبمقدور الاقطار العربية الاعتماد على عطف المانيا (ايطاليا) التام في المستقبل ايضا . ان المانيا (ايطاليا) باصدارها هذا البيان تجد نفسها على اتفاق تام مع حليفتها الايطالية (الالمانية) ١ » .

(١) المرجع السابق .

ماذا كان موقف الانكليز بعد صدور البيان ؟ يقول احدث مصدر بريطاني وصلنا بهذا الصدد ما يأتي «وفي العراق قرر البريطانيون اتخاذ موقف حازم من رشيد عالي ، الذى كانوا على علم كامل بدسائسه مع المحور ، وربما جاء ذلك نتيجة لحل الشفرة الدبلوماسية الايطالية . ونظرا الى عدم توفر قوات يمكن الاستغناء عنها لايجاد حل عسكرى ، كما هو الحال مع سوريا ايضا ، فان الجنرال ويفل[1] ورؤساء الاركان اقترحوا القيام بعمل دبلوماسي قوى ، تدعمه عقوبات مالية واقتصادية ، كما اقترحوا وجوب ارسال مبعوث معروف ويحظى بالاحترام في العراق ، الى بغداد لمحاولة معالجة الموقف . اقر مجلس الوزراء الحرب هذه المقترحات في ٧ تشرين الثاني ، وبناء على ذلك صدرت التعليمات الى السير بازل نيوتن بان يفهم الوصي انه — نظرا لدسائس رشيد عالي مع دول المحور واقتفائه سياسة لاتنطبق والتحالف الانكلو — عراقي ، فيجب تصفيته من الحكومة العراقية وتشكيل مجلس وزراء جديد يتعاون معنا — .

« سعى العراقيون للحصول على تأكيد لمسعى نيوتن من لندن ، معبرين عن الشكوى من ان السفير قد تدخل في الشؤون الداخلية للعراق ، غير ان اللورد هاليفاكس[2] اخبر القائم بالاعمال العراقي ان السير بازل — كان يتصرف وفقا لتعليماته وان . . . حكومة صاحب الجلالة قد فقدت ثقتها بالاخلاص الودى الجيد لرئيس الوزارة العراقية — جاءت المساندة للموقف البريطاني من مصادر اخرى ، فقد صدرت التعليمات الى بول نابنشو وزير الولايات المتحدة في بغداد بان يخبر رشيد عالي ان حكومته تقدم جميع انواع الدعم لبريطانيا باستثناء الحرب وانه ، نتيجة لذلك ، فان اى قرار او عمل من جانب الحكومة العراقية قد يؤدى الى موقف اقل تعاونا في علاقاتها مع بريطانيا العظمى سوف لايتمخض الا عن اشد الانطباعات ايلاما في الولايات المتحدة — نقل نابنشو هذه الرسالة الى رشيد عالي ونورى السعيد في ٥ كانون الاول ، بينما بادرت الحكومة التركية ، التي اصابها القلق من النتائج المحتملة لاى حصار اقتصادى على العراق بالنسبة لوارداتها عن طريق البصرة ، الى التعبير عن اهتمامها بحالة العلاقات الانكلو — عراقية[3] » .

في غضون اجتماعات الوصي المتتابعة مع القادة ، لم يشأ ان يعبر لهم عن شيء من ارائه بشأن — الكيلاني — وحكومته اذ اكتفى بالاستماع اليهم ، ومن الطبيعي انه استشف بصورة متزايدة ، انهم كانوا يتفقون

---

(١) القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الاوسط .

(٢) وزير الخارجية البريطانية .

(٣) Geoffrey Warner : Iraq and Syria, p.85.

الى جانب رئيس الوزراء ويشدون ازره ، لذا فقد عزم على استخدام شتى السبل من اجل الخلاص منهم ، فاذا نضجت الامور فانه سيكشف لهم عن اوراقه ، وهذا ما تم فعلا ، اذ يقول — الدرة — ان احد اعوان — عبد الاله — اتصل به وافهمه «من طرف خفي» عن عزمه على وضع حد لتدخل القادة في توجيه سياسة البلاد ، وفي نفس الوقت ، جرى شن حملة مركزة في مجلسي الاعيان والنواب على حكومة — الكيلاني — وعلى تدخل الجيش في سياسة العراق العليا وعلى اناس (غير مسؤولين) بتوجيه تلك السياسة ، وهو كلام موجه الى المفتي واعوانه[1] .

واثناء هذه الازمة المستعصية ، ابدى — الكيلاني — عدم استعداده باى شكل من الاشكال للاستقالة حتى بعد ان وصل الى علمه نبأ الانذار الذى وجهه السفير البريطاني الى — الوصي — بحضور — نورى — وهو الامر الذى تأكد منه بنفسه عند مقابلته للسفير ، فما كان منه الا ان رد عليه قائلا : «انه لايهمه ابدا بثقة اية حكومة اجنبية ولا يأبه لاعتمادها عليه ، ما دام هو يتمتع بثقة الشعب العراقي وتاييده وثقته الممثلة في برلمانه[2] » . وفي ذات الوقت عبر — الكيلاني — للقاده عن شكواه المرة من الاساليب التي لجأ اليها — الوصي — لاحراج موقف وزارته وشل سيرها تمهيدا لاسقاطها مثل عدم التوقيع على قانون المعارف واسماعه قارص الكلام عند مقابلته له . ومما كان يثير العجب في نفس — الكيلاني — ان — عبد الاله — كان من الذين الحوا عليه واصروا على قبوله رئاسة الوزارة لما عجزت وزارة نورى عن تحمل تبعات الحكم وشعرت بضعفها بعد اغتيال — رستم — ، وذكر — الكيلاني — للقادة ايضا انه — يجهل — نوايا الوصي ومراميه من وراء هذه الدسائس ، ولكن — نورى — لايجهلها . واوضح ذلك بقوله : «انها دسائس يحوكها السفير البريطاني الذى استغل جهل هذا الوصي فراح يتصل به في قصره مباشرة لا في البلاط ولا يكلف نفسه عناء اخبارى وانا رئيس الحكومة . وهذا خرق للمجاملة وحرمة الاستقلال ، ولا تقره الاصول الدولية ولا ترضى به حكومة مهما ضؤل شأنها . ثم فتح الوصي ابواب قصره للمعارضين من صنائع الانكليز وقربهم اليه وهو الذى كان يتظاهر قبل الوصاية بمقتهم ، فاخذوا يتنقلون بين السفارة البريطانية وقصر الرحاب حتى تحول القصر الخاص بالعائلة المالكة الى دائرة رسمية .

« اما اخونا نورى فقد استقل في تصرفاته وتنقلاته فكأنه ليس وزيرا للخارجية في وزارتي ، فمن داره الى مقر الوصي ومن بغداد الى القاهرة ،

---

(١) الحرب العراقية البريطانية ، ص ١٦٤ ، ١٦٦ (بايجاز وليس نصا) .

(٢) تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٥ ، ص ١٤٥ .

وانا لا علم لي بشيء واحسب لالاعيبه الف حساب[1] » .

ووسط هذا الجو المحموم بالتامر ، كانت مثالية القادة وحسن نيتهم سببا في زيادة حقد — عبد الاله — عليهم الى درجة لاتوصف . ففي الوقت الذي يفترض فيه ان يعالجوا وضعهم الحرج للغاية ، نراهم يبدون همومهم بشأن اخلاق — الوصي — الذي طلق زوجته المصرية وانغمس في حب انسة اخرى . والواقع فان تصرفات — عبد الاله — التي اصبحت حديث الخاص والعام ، كان ينبغي لها ان تكون سببا في ابتعادهم عنه ، او عدم ثقتهم به على الاقل حتى لايجد — نوري — سلاحا لمقاومتهم . ان مدى شعور — محمود — بالمرارة يتضح من التعابير التالية : « .... وما والله من الشهامة العربية في شيء وان الخجل ليعتريني وانا اتحدث اليكم بعد ان قدمت لكم الوصي بذلك الوصف الجذاب ، اذ لولاى لما اتصلتم به[2] » .

واذا كان — عبد الاله — على غير استعداد ، كما اثبتت الاحداث حتى الان ، للاصغاء الى مشورة القادة في المجال السياسي ، فكيف يتوقع المرء منه ان يسمح لهم بالتدخل فيما يتصور انه حياته الخاصة رغم الملابسات التي تحيط بها ؟ لقد تجلى ذلك في المقابلة قبل الاخيرة ، حيث ان — صلاحا — اسهب معه في الحديث عن تصرفاته التي لاتليق بمركزه ونسبه ، خصوصا بعد تسنمه الوصاية ، واشار من طرف خفي الى حادث هرب الاميرة «عزة» شقيقة — غازى — مع الخادم اليوناني ، اوضح له ان بيوتات العرب العريقة تفتح له الابواب ليختار من يريد زوجة له ، ولم يكن — صلاح — يعلم انه كان بذلك القول يثير غضب — عبد الاله — الا بعد انتهاء المقابلة : «كان الانفعال ظاهرا على ملامح الوصي وانا اتكلم ، فلما فرغت من كلامي ساد صمت عميق ثم قال : نعم ياصلاح الدين ، ولكن لا ارى لاحد الحق ان يناقشني في اموري الشخصية[3] » .

وبعدما حدث ماحدث بين — صلاح — و — الوصي — انحاز الاخير نهائيا الى جانب الانكليز ونوري ، وجرى العمل المتناسق على جبهتين : الاستمرار في شن الهجمات العنيفة على قادة الجيش والكيلاني في مجلسي النواب والاعيان حتى وصل الامر حد السباب بالنسبة لرئيس الوزراء ، وفي ذات الوقت كثف — عبد الاله — ، ومن قبله — نوري — بالطبع ، من نشاطه بين صغار الضباط ومتوسطي الرتب منهم ، وكان الوسيط في ذلك مرافقه — عبيد المضايفي — وكانت حصيلة ذلك ما يلي : «وهذا الوصي يجمع صغار ضباطنا في قصره يسقيهم الشاى ، او ربما يدعو بعضهم الى

---

(١) الفرسان ، ص ١٥٨ .

(٢) الفرسان ، ص ١٦٠ .

(٣) الفرسان ، ص ١٦٢ .

سفراته الخاصة ، او يمهد السبيل للانكليز ان يتصلوا بهم اذ يرافقونهم في صيد ابن اوى ، لكي يحرضهم هو والانكليز على التمرد على قادتهم ــ ونحن لا رأى لنا في ذلك ولا علم ــ سائرا على غرار ما سار عليه نوري من قبل ، فلما ابدينا له استنكارنا وعد بالكف لكنه لم يفعل وظل سادرا في غيه مخفيا امره عنا»[1] . اما اتصالات ــ الوصي ــ برفقة السفير البريطاني بشيوخ العشائر وسائر العملاء ، المناوئين للعروبة ، فلم تكن خافية ذلك ان ــ الكيلاني ــ ذاق ذرعا بهذه التصرفات .

كان ــ صلاح ــ اسبق اخوانه في ادراك نوايا خصومهم تجاههم : «اتعلمون من هو الصيد الذى تنصب له هذه الشراك ؟ انه ليس الكيلاني ، بل نحن والجيش من ورائنا ، وهدفهم الحقيقي هو الجيش ، لذا نراهم يشجعون الضباط على مخالفة النظم العسكرية وبالتالي يحرضونهم على التمرد علينا ليتم لهم القضاء علينا والسيطرة على الجيش[2]» . لذا بلغهم انه عقد العزم على عدم حضور اجتماعات ــ الوصي ــ . اما نورى فلم تعد له حاجة عند ــ صلاح ــ اذ ايقن انه لن يقع بفخه وان وعوده المعسولة لن تغريه .

وسرعان ما تبينت الحقيقة المرة للثلاثة ، اذ عاد ــ محمود ــ ليخبر ــ صلاحا ــ بان الوصي الذى كان يصر على اخراج ــ شوكت[3] ــ من وزارة ــ رشيد ــ ثم وافق على رجاء ــ طه ــ باخراج ــ نورى ــ معه توفيقا بين المصالح الانكليزية والتجانس الضرورى في هيئة الوزارة ، يريد الان ان تستقيل وزارة ــ الكيلاني ــ بجملتها ، بحجة ان اشتراك العراق في الحرب الى جانب الانكليز امر لابد منه ، ولا يكفي التقيد بحدود المعاهدة او قطع العلاقات مع المحور .

ومع علم القادة بفعاليات ــ الوصي ــ بشأن ضباط الجيش الاخرين ، الا ان الامل ظل يراودهم في امكانية اصلاح ذات البين لذا قصدوه يوم ٩ كانون الاول ، ومنذ اللحظة الاولى توسموا الشر في وجهه المتمعض وهم يصافحونه ثم باغتهم بصراحة كانها التهديد قائلا : «يجب ان نماشي الانكليز ونلبي مايطلبون بلا قيد او شرط ، واريد ان لاتتصلوا برشيد عالي رئيس الوزراء ، انه ومن يواليه مجرمون ، ووزارته يجب ان تسقط فورا .

---

(١) الفرسان ، ص ١٦٨ .

(٢) الفرسان ، ص ١٦٩ .

(٣) كان السبب الذى يردده ــ الوصي ــ واعوانه بهذا الصدد ان الوزير سبق له الاتصال بالسفير الالماني لدى تركيا .

لزمت جانب الصمت فلم انبس طيلة الاجتماع ببنت شفة ، وتولى الحديث فهمي ومحمود فاجادا واوردا الحجج المقنعة ، وبذلا التوسلات والمحاولات ليغير الوصي رايه في رشيد عالي الكيلاني لانه يكن لسموه اعمق الاحترام وقد خضع لارادة سموه فاخرج ناجي شوكت من الوزارة بعد ان وافق سموه على اخراج نوري معه . وان راى رشيد يعبر عن راى الشعب العراقي وراى كل عربي لدغه الانكليز عدة مرات ويعلم ماضي الانكليز وسيرتهم مع العرب . اما الجيش فهو من الشعب وصدى صوته وانعكاس احاسيسه لكنه ليس له ضلع في ما وقع حتى الساعة من احداث . وما اصرار رشيد على عدم الاستقالة لان الجيش يشجعه على ذلك ، بل لانه استاذ في الحقوق محيط بمواد القانون وأحكام الدستور (١)» .

على ان هذا الكلام لم يكن الا من قبيل الطرق على الحديد البارد ، فالوصي ضالع في ركاب الانكليز والمطلوب هو رؤوس القادة والكيلاني وانصارهم وتحويل العراق الى ساحة يفعل فيها المستعمرون مايريدون ، لذا فما ان انتهى الحديث حتى : «ساد الصمت برهة شخصت فيها اعيننا الى وجه الامير الشاحب ننتظر منه الفرج وبلوغ الامل ، فاذا به يقول : على الجيش ان لايتدخل في السياسة .

نعم ، نعم انها كلمة حق ، ولكنك اردت بها باطلا والله .

وهل انت السياسي ياعبد الاله ؟ (٢) »

فكان ذلك اخر اجتماع ، ولكن سيعقبه لقاء خاطف بعد حين اشد منه مرارة .

استمرت الضجة في مجلسي النواب والاعيان ، واشتدت الهجمات على خصوم — الوصي — فارتاى — الكيلاني — بالاتفاق مع — المفتي — والقادة ان يلقي تصريحا تصور انه سيؤدى الى ارضاء الانكليز ويبعد ما يساورهم من وساوس بشأنه ، وبالفعل القى التصريح التالى بغياب — نوري — :

---

(١) الفرسان ، ص ١٧٧ و ١٧٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٨١ . وبمقدور الباحثين العودة للمقابلة لفائدتها — وجه رئيس المحكمة كلامه الى العقيد محمود سلمان وقال انتم عسكر والسياسة محرمة عليكم فكيف اقحمتم انفسكم فيها ؟ فاجابه العقيد محمود سلمان قائلا بجرائه المعهودة (نحن قوة وطنية رأت كفة المستعمر قد رجحت وخفت كفة المواطن ، فمن واجبنا ان نعيد التوازن بين الكفتين وهذا ما فعلنا) فرد عليه رئيس المحكمة قائلا — اما تعلم ان الموت جزاء من يتدخل بالسياسة منكم . فرد عليه العقيد محمود باستهزاء قائلا (اننا لايضيرنا الموت وقد نذرنا انفسنا للموت فنحن اما في ساحات الشرف دفاعا عن كرامة الامة وعزتها واما ان نموت في مشانق الخونة امثالكم واشار اليه بيده) .

خير الله طلفاح ، جريدة المحارب ، ٢٢—١—٧٦

«ان العالم يجتاز ظروفا عصيبة وتهب فيه زوابع شديدة من شأنها ان تزعزع اقوى الامم ، واكثرها منعة ورسوخا في الحكم ، فلاشك والحالة هذه ، ان تكون مهمة الامم الصغيرة ، ولاسيما الحديثة منها ، شـاقة وعسيرة جدا وان تدبير امورها ، وسط هذا الاضطراب العالمي العظيم ، يتطلب مزيد الحكمة والاخلاص من المسؤولين ، والتضامن والاتحاد من ابناء الشعب ، اذ بدون ذلك لايمكن ان ترسو سفينة البلاد الى سـاحل السلامة .

اما الاسس التي تقوم عليها سياستنا الخارجية ، والتي تهدينا الى الطريق القويمة ، التي يجب ان نسلكها في هذه الظروف العالمية الرهيبة فهي ثلاثـة :

اولا : المحافظة على سلامة البلاد ، وعدم توريطها في اى عمل من شأنه ان يجرها الى شرور هذه الحرب ، وبذل اقصى الجهود في سبيل استمرار الهدوء الذى تتمتع به البلاد ، بالرغم من وجود هذه المعـركة الدولية الهائلة ، ليتمكن ابناء الشعب من الدوام في اعمالهم المثمرة المفيدة لهم ولمجتمعهم ، ومن تهيئة كل قواهم لخدمة وطنهم ، والذود عن كيانه ، فيما اذا اراد ان يمسه احد .

ثانيا : الاستمرار على اداء الرسالة القومية ، التي اخذ العـراق على عاتقه تحقيقها ، لاسيما وان العراق ، وهو من الدول العربية التي تمتعت بنعمة الاستقلال ، في وضع يستطيع معه التعبير عن تلك الاماني القومية ، وملاحقتها .

ثالثا : القيام بتعهداتنا الدولية ، كمعاهدة الحلف العربي ، وميثاق عدم الاعتداء الذى يربطنا بجيراننا . واما علاقتنا مع حليفتنا ، بريطـانيا العظمى ، فهي كما تعلمون مبنية على معاهدة التحالف المنعقدة بيننـا ، ونحن كنا ولا زلنا متمسكين بتنفيذها نصا وروحا ، ودائبين علـى توثيق عرى الصداقة بيننا على اساس المنافع المتبادلة ، كما ان علاقاتنا الودية سائرة في ازدياد مع الدول المتحابة لنا (١) » .

لم تؤد تطمينات ــ الكيلاني ــ هذه الى نتيجة ، بل تطورت الامور الى عكس ذلك ، حتى ان ــ الوصي ــ اصبح يطالب علنا وعلى رؤوس الاشهاد باستقالة الوزارة ، كما فعل الانكليز نفس الشيء ، وكانت استقالة ــ نورى ــ و ــ شوكت ــ واستبدالهما بوزيرين اخرين بعد ان تدخلت

(١) صحيفة البلاد البغدادية ، ٢٢-١٢-١٩٤٠ .

الكتلة العسكرية لدى — عبد الاله — الذي قابلها بكل غلظة وفظاظة ، كانت تلك الاستقالة الطريق الذي نفذ منه الوصي واعوانه ، فما ان عقد مجلس النواب جلسة في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١ حتى اتخذت حجة لمواصلة الهجوم على الحكومة والقادة والمطالبة باستقالتها لان : « رضاء الامة من رضاء الوصي» على حد تعبير احد النواب .

كان — الكيلاني — قد تغيب عن الجلسة لوجود امور اخرى اشغلته ، فلما علم بالذي حصل في المجلس ، وجد ان الوقت حان لاجراء انتخابات جديدة تكون بمثابة استفتاء للراى العام ، فلما حمل الارادة الملكية بهذا الشأن للتوقيع عليها من قبل — الوصي — استمهله حتى المساء حيث استدعي الى قصر الرحاب شخصا انكليزيا (١) اصبح في الشهور الاخيرة مستشارا خفيا له في ادق تصرفاته السياسية ، فوضع له خطة تقضي بهربه الى — الديوانية — في محاولة لارغام — الكيلاني — على الاستقالة اما باثارة العشائر او شق الجيش واشعال نار حرب اهلية ، وهنا وجد رئيس الوزراء ان مصلحة الوطن تقضي بترك الحكم مقدما استقالته التي جاءت بها العبارة المشهورة : «غير ان الايدى والمصالح الاجنبية التي لايروقها ان تسود الثقة المتبادلة بين سموكم وبين حكومة اعتزمت المضي في خدمة البلاد بصدق واخلاص ، وفق خطتها المرسومة ، حملت سموكم على عدم الارتياح منها» .

وباستقالة — الكيلاني — وتاليف — طه — الحكومة الجديدة ، انتقل القادة الى حالة دفاع عن النفس ، فلم يكن في الافق ما يشير الى ان الانكليز ، الذين نجحوا في خططهم الى هذا الحد ، سيكتفون بذلك خاصة مع استمرار الاتصالات العربية الالمانية — الايطالية بواسطة — المفتي — الذى ارسل سكرتيره الخاص ثانية الى — برلين — وهو مزود برسالة شخصية منه الى هتلر جاء فيها : «انني ارى ان اضيف بجلاء ان العرب مستعدون لرمي ثقلهم في الميزان وتقديم دمهم في الكفاح المقدس من اجل حقوقهم ومطامحهم القومية ، بشرط ضمان دعم معنوى ومادي معين(٢)» .

ومن سوء الحظ ، فان عوامل عديدة كانت تشير بوضوح الى ان الفوز سيكون حليف الانكليز في هذه المعركة غير المتكافئة لعوامل عديدة منها :

---

(١) هو — هاري سندرسن — المعروف باسم — سندرسن باشا — طبيب العائلة المالكة وقد كشف هذه الاسرار في كتابه : عشرة الاف ليلة وليلة .

(٢) بدأ — حداد — جولته في اواخر كانون الثاني ١٩٤١ واستمرت المفاوضات طوال شهر شباط . راجع «اسرار عراقية» ، الفصل الرابع .

اولا : وجود ـــ عبد الاله ـــ على راس السلطة محاطا بطابور خامس يعمل ليل نهار لحساب بريطانيا .

ثانيا : كانت ـــ لندن ـــ على علم بما يجرى في برلين من اتصالات نتيجة لفك الشفرة الدبلوماسية الايطالية كما ذكرنا مما جعلهم يعجلون في تنفيذ خططهم .

ثالثا : لم تكن المانيا قد اعطت المنطقة العربية الاولوية في اهتمامها اذ تركت ذلك للايطاليين وان اعطت العراق مركزا خاصا لمركزه الاستراتيجي ونفطه .

رابعا : وادت الهزائم التي لحقت بالايطاليين في شمال افريقيا الى عجزهم عن تزويد العراق بالاسلحة من مخازن الجيش الفرنسي في سوريا ، ولو كانوا قادرين على ذلك فمن يستلم الاسلحة بعد تخلي ـــ الكيلاني ـــ القسرى عن السلطة ؟ .

خامسا : وعندما ايقن الالمان ان تصرف ايطاليا سيؤدى الى ضياع العراق ، ارسلوا بتاريخ ٨ نيسان ١٩٤١ ردا للمفتي على لسان ـــ هتلر ـــ وعدوا فيه بارسال الاسلحة عندما يمكن العثور على طريق لنقلها وذلك في الوقت الذى استعد فيه الانكليز تماما لتوجيه ضربتهم .

سادسا : لم يشجع الالمان ، وقبلهم الايطاليون ، قيام ثورة في العراق حتى تحل «لحظة النجاح» كما ورد في تقرير لوكيل وزارة الخارجية الالمانية الى ـــ ريبنتروب ـــ وزير الخارجية الذى اكتفى : «بوجوب ابقاء روح المقاومة حية» .

تجاه هذا الوضع السلبي ، كان الانكليز قد نشطوا في العمل من اجل انجاز مايريدون ، ومع انه لم يصدر تهديد من اى نوع كان للوصي من جانب القادة ، فانه اصر على البقاء في الديوانية بعد تاليف وزارة ـــ طه ـــ بذريعة الخوف على حياته ، ولما حاول الاخير ، اثناء زيارته للديوانية ثانية تهدئة خاطره وتحذيره من سماع اخبار المنافقين وان عليه الاطمئنان من جانب الجيش واكد له «ان القادة متعطشين الى ان تصفح عنهم» ، ظل مصرا على رايه ومتخوفا من العودة ولجأ الى اسلوب المخاتلة قائلا : «اني لم اطلب معاقبتهم واحالتهم على التقاعد مع انهم يستحقون ذلك فكل ما اطلبه نقلهم الى خارج بغداد . فاجبت ان الزمن يعالج كل هذه المشاكل فلا يصح اصراره الان على هذا الامر واتخاذه شرطا للعودة (١) » .

---

(١) مذكرات طه الهاشمي ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ومما يدل على ان النقل هو مقدمة لخطة مبيتة الواقعة التالية : «اخبرني ـــ ابي العمرى ـــ ان ـــ جميل المدفعي ـــ استدعاه وساله عن كيفية التخلص من الاربعة بعد ان احكموا قبضتهم على الجيش ، فرد قائلا : انقلوهم واحدا بعد الاخر وما ان يصل هذا الى مكانه الجديد حتى يحال على التقاعد» العميد المتقاعد طاهر عبد الغفور ٣ـ٢ـ١٩٧٦

وفي اليوم التالي ، بدات مرحلة اخرى من المناورات الدبلوماسية البريطانية . فقد دل تطور الاحداث ان صبر الانكليز قد بعيل وانهم مصممون على حسم الموقف لصالحهم خاصة بعد التطورات العسكرية السلبية بالنسبة لهم في البلقان وشمال افريقيا ، وهكذا اجتمع السفير البريطاني مع — طه — وبعد ان اوحى له ان بلاده تأمل بان الجو قد تحسن وان الفرصة سنحت لتحسين الصداقة والتعاون بين بريطانيا والعراق ، اكد له ضرورة قطع العلاقات مع ايطاليا لان هذه المسالة خطيرة ، ثم اشار الى وجود معلومات لدى الحكومة البريطانية وتواتر اشاعات باجراء مذاكرات خفية مع المانيا ، ومنها اشاعة السعي لاعادة العلاقات مع المانيا ، وشائعات عن مذاكرات مع اليابان في امور ضد بريطانيا (وهذه الاقوال تؤكد ان الانكليز كانوا مطلعين على ما يجرى بين القوميين العرب والمانيا سواء بواسطة معرفتهم للشفرة الايطالية كما ذكرنا ، او عن طريق جواسيسهم في العراق) .

وعلى الرغم من ان — طه — حاول مسايرة السفير البريطاني وتبديد مخاوفه بان وعده بمراقبة المفوضية الايطالية بشدة ونفي ان تكون هناك نية لاعادة العلاقات مع المانيا ، الا ان هذا عاد لمقابلته في ٨ شباط وكرر المطالبة بقطع العلاقات مع ايطاليا بعد ان عبر عن استيائه من «المذاكرات الخارجية مع الدول الاخرى» ويقصد دول المحور ، وزاد على ذلك بان طالب بفرض رقابة على الفلسطينيين والسوريين اللاجئين وناقش : «موقف البعض من الضباط من الازمة الماضية واضطرار الامير للذهاب الى الديوانية ، وذكر مايشاع بانهم ساقوا الوزارة السابقة الى التفكير باعادة العلاقات مع المانيا وهم يحملون فكرة معادية لبريطانيا» .
وكان — طه — قد القى خطابا في المجلس النيابي في ٦ شباط نفى فيه ان يكون — الكيلاني — قد استقال بسبب تلاعب الايدى والمصالح الاجنبية مما اغاظ — الكيلاني — واعوانه لمعرفتهم خلاف ذلك تماما مما ادى الى بداية ازمة مع — طه — هذه المرة ، وقد قيض لهذا الخطاب ان يلعب دورا بارزا في تطور الاحداث فيما بعد .

وفي الوقت الذى رفضت فيه بريطانيا تسليم عوائد العراق من النفط بالدولارات ليتسنى ابتياع اسلحة وتجهيزات للجيش من امريكا وعدم موافقتها على تزويده بالطائرات بعد ان كانت قد وعدت بذلك وتجاهلها مسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين وتراجعها حتى عما ورد في الكتاب الابيض بشأن ذلك القطر العربي ، فان الضغط البريطاني من اجل تشتيت شمل القادة استمر دون توقف ، ومما زاد من حراجة الموقف ان الخصومة اشتدت بين — طه — و — الكيلاني — واعوانه بسبب رفض الاول المتواصل لتصحيح ماورد في خطابه الذى اشرنا اليه عن دور الايدى والمصالح الاجنبية في اسقاط حكومة الاخير وقد ادى هذا الموقف الى

حدوث شبه قطيعة بين الرجلين مما ترك اثره على القادة ، بالطبع ، وزاد من مخاوفهم من نذر المستقبل .

وعند هذه المرحلة تدخلت الولايات المتحدة بارسال «الكولونيل دونوفان» رئيس الاستحبارات الذى جاء بصفة مندوب عن الرئيس «روزفلت» ، وعندما قابل ـ طه ـ بين له «بعبارة صريحة» عزم بلاده على مساعدة بريطانيا في تلك الحرب وان سياستها ترمي الى ان تكسب بريطانيا الحرب ، وبعد ان بين ـ طه ـ انه يوجد خلاف بين الاخيرة والعراق يتعلق «بالافكار العربية وهو الذى وتر العلاقة ، وان للعراق سياسة تقليدية سار عليها وهي ترمي الى استقلال الاقطار العربية وعلى راسها فلسطين» رد عليه ضيفه بانه لا شأن له بالقضية العربية ، غير ان هذا لم يمنعه من الاشارة الى الاشاعة عن الوزارة السابقة عن اتصالها بالمفوضية الايطالية والتنويه بضرورة قطع العلاقات معها .

ومما زاد في قلق القادة انه عندما اجتمع مجلس النواب في ٢٢ شباط كان الجو فيه مكهربا وشن عدد من الاعضاء هجوما على وزارة ـ الكيلاني ـ مما ادى الى مشادة اسفرت عن خروج ـ السبعاوى ـ من القاعة ، ولما كان الاخير بمثابة ـ رجل الارتباط ـ بين العسكريين والمدنيين ، او هو في الواقع كذلك ، ومن المؤكد ان ذلك قد وصل اسماع القادة ، الذين يحسون بانهم هم المستهدفون في نهاية الامر ، وقد حاولوا التوصل الى تسوية ما مع الوصي ، فاستطاع رئيس اركان الجيش ان يقابله ، بعد لاى ، وطلب منه فسح المجال امام زيارة له يقوم بها القادة الاربعة الا انه طلب منه تأجيل ذلك بعد ان تظاهر بالموافقة ، بينما سارت الحال على نفس المنوال في مجلسي النواب والاعيان لا بل تطورت الاوضاع الى ماهو اسوأ من ذلك : «واخذ المعارضون لا يتركون فرصة تمر الا ويندون باعمال القادة وينتقدون الجيش ، مما زا في قلق الجيش وشجع رشيد عالي واعوانه على توسيع الثغرة بين الامير والقادة . وظل المعارضون يخوفون الامير من القادة ويلحون عليه بطلب معاقبتهم ، وظل رشيد عالي واعوانه يحذرون القادة من الامير ويقنعونهم بانه لابد ان ينتقم منهم .

«وظهرت اثار ذلك من تخوف القادة ومراجعتهم اياى من وقت لاخر وتذمرهم من اعمال المعارضة ومن بياناتها في المجلس .... اما الامير فبقى مصرا على عدم قبولهم ، واخذ بعض زملائي يلفتون نظرى الى ان الامير لايزال قلقا من بقاء القادة في بغداد ، وهو يرغب في نقلهم الى خارج بغداد(١)» .

---

(١) مذكرات طه الهاشمي ، ص ٤١٠ و ٤١١ .

ان الذى يقرأ بعض ماكتب عن مقدمات ثورة مايس خاصة مذكرات — طه — ومؤلف — الدرة — يتصور ان القادة ، باستيلاء الجيش على السلطة وتسليمها الى — الكيلاني — في بداية نيسان ، قد قاموا بذلك بتحريض من السياسيين القوميين ، وانه لو امكن ايجاد — صيغة — او — نوع — من — التنازلات المتبادلة — من قبل القادة والوصي ، لامكن انقاذ الموقف وسارت الامور على مايرام ، ومن ذلك ان — طه — يقول عن علاقة — السبعاوى — بالقادة : «فلذلك حذرت القادة من الاتصال به ، ولفت نظرهم الى ما يولده هذا الاتصال من محاذير ويؤدى الى الشبهات التي يستغلها رجال المعارضة — نورى واعوانه — فتحول دون عرض اخلاصهم للامير . وكانوا جميعا متعطشين الى ان يقبلهم الامير لعرض اخلاصهم له ، فيتأكدوا بعد ذلك من صلحه معهم (١) » .

ورغم ذلك ، فان واقع الحال يشير الى خلاف ما ذهبت اليه الكتابات المذكورة ، واذا كانت الوثائق التي توفرت لدينا بعد الثورة تؤكد هذه الحقيقة ، فان اقصاء القادة والاستحواذ على مقدرات الجيش تمهيدا استباحة العراق ظل الهدف الاساس للسياسة الانكليزية واداتها الممثلة في — الوصي — واعوانه وذلك انطلاقا من النقاط التالية :

اولا : ان — عبد الاله — كان اداة بيد بريطانيا واتصالات السفير به صارت مسالة مكشوفة وقد انعكس ذلك في اصراره على اسقاط الحكومة — الكيلاني — فلا يعقل ، والحالة هذه ، ان نتساهل مع القادة الذين يسيطرون على الجيش وبمقدورهم الاتيان — بالكيلاني — او اى شخص يريدون الى السلطة في اية لحظة .

ثانيا : الرفض المتواصل من جانب — الوصي — للاجتماع بالقادة الذين كانوا يريدون عرض اخلاصهم عليه لعله يرعوى ويعود الى رشده ، وهذا الرفض ناجم جزئيا من حقده الشخصي عليهم ، وان كان في الاساس يعود الى تحريض السفير البريطاني .

ثالثا : ومن المعلوم ان هذا الرفض ، رغم تدخل — طه — نفسه ، قد اضعف من مركز رئيس الوزراء ونفوذه مما يدل على نوايا خفية حتى بالنسبة الى هذا الرجل المسالم الذى اعتبره الانكليز واعوانهم مجرد ظاهرة مؤقتة يمكن ، فيما بعد ، تجاوزها الى صيغة تجعل بالمستطاع تسليم السلطة كاملة لهؤلاء .

رابعا : ومن مظاهر التنسيق بين الانكليز و — الوصي — ما ذهب اليه — طه — نفسه من ان موقف الضباط البريطانيين في الجيش كان يثير قلق القادة ، اذ اخذ المفتش العام يرسل الكتاب تلو الكتاب ينتقد

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

فيها اعمال ــ صلاح ــ و ــ كامل ــ في فرقتيهمــا زاعما انهما حــددا صلاحية الضباط البريطانيين او تعديا عليهم .

خامسا : وعلى الرغم من اسقاط وزارة ــ الكيلاني ــ فقد واصل الساسة القوميون نشاطهم الى حد تقديم طلب الى وزارة الداخلية لتكوين حزب باسم «حزب الشعب» . اضافة الى استمرار لقاءاتهم وتحالفاتهم .

سادسا : وفي ذات الوقت اتضح فشل جميع المحاولات الرامية الى شق الجيش عن طريق التفريق بين قادته ، كما ان العلاقة بين القادة والساسة القوميين ظلت على متانتها ووصلت ذروتها بالاجتماع الذى عقد في ٢٨ شباط وحضره المفتي والقادة وسياسيان عراقيان يرجح انهما ــ الكيلاني ــ و ــ السبعاوى ــ وان كانت بعض المصادر تستبدل الاخير ــ بشوكت ــ وذلك باسماء مستعارة هي : مصطفى وعبد العــزيز واحمــد ورضوان وفرهود وجاسم وفارس ، حيث ادوا ما وصف بانه : «قسم عظيم تلاه كل واحد من المجتمعين جهرا ، يعاهد الله على ان يجعل مــن مضمون القسم نبراسا يسير على هديه في كل تصرفاته ، وان يعمل بكل ما اوتي من قوة لانقاذ البلاد العربية ، وان ينبذ الخلافات الناشئة عن الانانيــة والحزازات الشخصية وان يكون (مصطفى) (١) ناظمــا لنــا ورئيســا مطــاعا (٢) » .

وفي اواخر شهر شباط ، حل ــ ايدن ــ وزير خارجية بريطانيا في ــ القاهرة ــ حيث وصل ــ توفيق السويدى ــ وزير الخارجية العراقي لمقابلته ، وعلى الرغم من ان ــ طه ــ في اشارته لما حدث يتجاهل ان ــ ايدن ــ طالب باقصاء القادة ، وهذا امر لايمكن ان نلوم ــ طــه ــ عليه لان ذلك تقليل من مكانته ، واقتصر على ذكر «القضايا العــربية ، لاسيما قضية سوريا» و «العلاقات مع ايطاليا» وذلك بناء على التقرير الذى رفعه ــ السويدى ــ الى مجلس الوزراء ، الا ان الوثائق الانكليزية التي ظهرت الى النور مؤخرا توفر لنا رواية اخرى تؤكد مدى صحــة مخاوف القــادة :

«قال المستر ايدن بان بريطانيا العظمى تريد موقفا اكثر تعاونا ، وبصورة خاصة ، تقطع العلاقات فورا مع ايطاليا ، بدا وزير الخارجيــة (العراقي) راغبا في الموافقة غير انه اوضح صعوبة ضمان تعاون الجيش . قال بانه منذ بداية الحرب فان بريطانيا العظمى ابقت الجيش العــراقي في حالة معاناة من نقص في التجهيزات الحربية ، وانه صار من الاصعب قطع العلاقات مع ايطاليا بناء على طلبنا . لو انه اعطي مهلة فانه سيحاول

---

(١) المقصود ــ مفتي فلسطين ــ .

(٢) يمكن الرجوع الى نص الاتفاق الذى توصل اليه السبعة حول السياسة الداخلية والخارجية التي يريدونها في ــ الفرسان ــ ص ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ .

كسب قادة الجيش ، وبخلاف ذلك فانه سيحاول ازاحتهم . اما اذا اخفق فانه سيستقيل (١) » .

وقد استطاع ــ السويدى ــ وهو من اعوان ــ الوصي ــ النفاذ الى ــ طه ــ ، وكان بالفعل مستعدا لذلك استنادا الى مذكراته ، عن طريق الايحاء له بان قطع العلاقات مع ايطاليا والشروع بابعاد القادة عن بغداد ، سيضمن تسليح الجيش العراقي من جانب الانكليز وبذلك يتحقق له حلمه : «ولما فشلت مساعيي في تسليح الجيش العراقي نظرا لامتناع الحكومة البريطانية عن اعطاء السلاح والعتاد وعدم موافقتها على منح العراق مايحتاج اليه من الدولارات لشراء السلاح والعتاد من امريكا ... وكنت مقتنعا ان السبب في ذلك هو امتناع العراق عن قطع العلاقات مع ايطاليا ، حتى ان وزير الخارجية توفيق السويدى كان لمح لي بان السفير مستعد ان يقنع الحكومة البريطانية بتقديم اسلحة وقرض للعراق اذا قطعت الحكومة العلاقات مع ايطاليا (٢) » .

وبدا تأثير السويدى واضحا في مبادرة ــ طه ــ الى طرح اقتراح بقطع العلاقات امام جميع قادة الفرق ولكنه اخفق في الحصول على الدعم الكافي له ، وفي ذات الوقت استمر العسكريون والمدنيون السبعة الذين اشرنا الى اسمائهم المستعارة وغيرهم بالتردد على ــ طه ــ جماعات ووحدانا ، ضحى وعشية ، في داره ، : «متوسلين اليه ان يحقق الاماني ، وهو يدنو منهم تارة ويتأفف ولا يدلي بشيء تارة اخرى ، حتى مل وملوا فكشف طه القناع وقال :

ــ لابد من الموافقه على مايريده الانكليز ، واما رضى الوصي على قادة الجيش فمستحيل ــ .

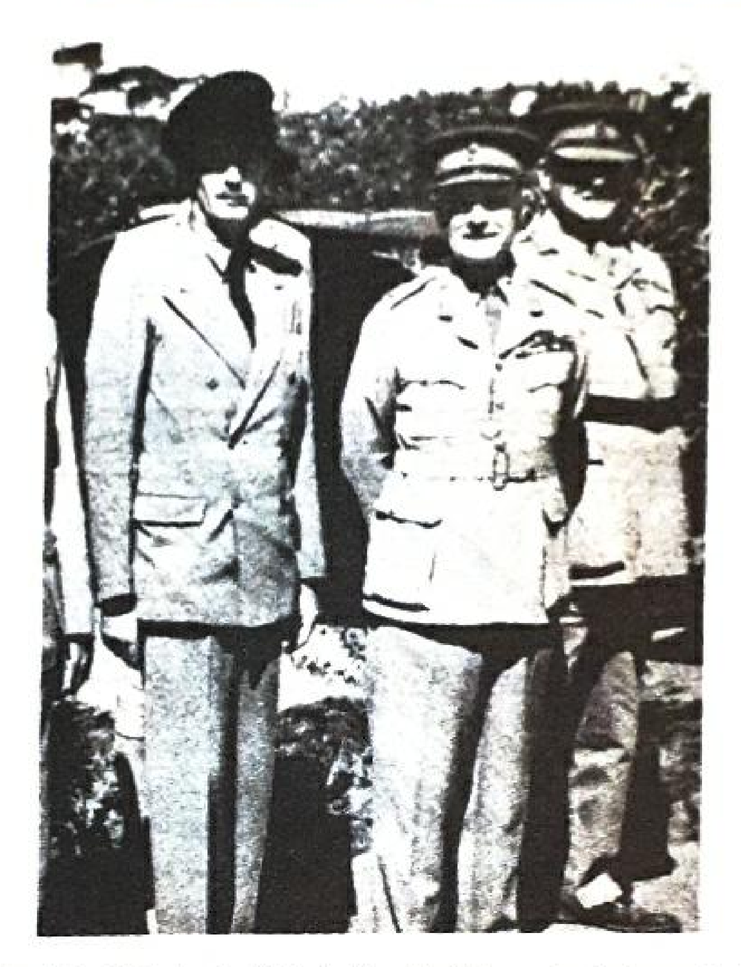
كان ذلك فصل الخطاب ، واقترب موعد الشروع بالعمل (٣) » .
لماذا ؟ ــ «على ان قطع العلاقات السياسية مع ايطالية يعتبر في حد انه خطوة كبيرة نحو مايريده الانكليز من اخضاع العراق والامة العربية، من شق الجيش العراقي على نفسه ، والحط من قوة الهاشمي سمعته ، ويصبح طه بعد قطع العلاقات امام امرين : ان يرضخ للانكليز يلبى مطاليبهم كاملة ، او ان يرغمه الوصي على الاستقالة كما ارغم كيلاني من قبل . ولما كانت المسالمة من طبع طه فانه من المستبعد ان قاوم الوصي مهما عبث بحقوق الامة والدستور (اذا كان للعراق دستور)

---

(١) Iraq and Syria, p. 86

(٢) مذكرات الهاشمي ــ ص ١١ و ١٢ .

(٣) الفرسان ص ٢٢٠ .



ـ من اليسار ـ : ايدن مع الجنرال ويفل في القاهرة عام ١٩٤١ : اعطى اشـــارة الشروع للوصي واعـوانه .

وهكذا لايبقى امام طه الا اختيار الطريق الثاني وتفضيل الاستقالة بعد ان يكون قد وقع في الخطأ كما كان شأنه مع بكر صدقي ، ويتنحى عن الحكم لوزارة مؤلفة على نحو مايريده الانكليز ، فتقوم تلك الوزارة قبل كل شيء بتصفية قادة الجيش بحسب ماتقتضي مصالح الانكليز ، فتحيل البعض على التقاعد وتلقي البعض الاخر في غيابة السجن او تبعدهم . يتم ذلك كله فجأة في ليلة ليلاء ، والجيش والشعب يغطان في نوم عميق (١) » .

اما المصادر الانكليزية فتقول : «وعندما عاد وزير الخارجية العراقي الى بغداد في ١٧ اذار ، اقنع الجنرال طه وذلك بمساعدة بعض الضغط من جانب الوصي ، للتحرك ضد ـ المربع الذهبي ـ فرد هؤلاء بتحشيد قواتهم للاطاحة بالحكومة»(٢) .

وكانت تلك بداية ثورة مايس التي استمرت شهرين كـاملين حتى كانت الغلبة المؤقتة فيها للانكليز واعوانهم الى صباح ١٤ تموز المجيد .

---

(١) نفس المصدر ص ٢١٨ و ٢١٩ . ومما يؤكد هذا القول ان الانكليز بادروا في مصر الى اعتقال الفريق المتقاعد ـ عزيز علي المصري ـ ورئيس الوزراء السابق ـ علي ماهر ـ مدة الحرب لمجرد معارضتهم الاندفاع في خدمة المجهود الحربي البريطاني مع انهما لم يكونا في خطورة القادة العراقيين .

(٢) Iraq and Syria, p. 86



الفصل السادس

الثورة وتهمة النازية

«الويل للمغلوب»
قيصر

من الطبيعي ان يتوقع الخصم الاتهامات والتشويه من جانب الذين تصدى لهم ، وبقدر ما كانت ثورة مايس موجعة للانكليز وعملائهم ودليلا على مدى الصلابة ونكران الذات ووضوح الهدف لدى قادتها ، فان الحملة المضادة لهم بلغت الذروة من الحقد والكراهية ومن ذلك برزت تهمة «النازية» التي الصقت بثورة مايس زورا وبهتانا .

ولكن الامر المؤسف والمفزع ان نرى في وطننا اناسا يرددون الاكذوبة وهم بين احد امرين : حاقد على هذه الامة وتراثها وامجادها لايعرف غير التغني بغيرها ، فهذا لا شأن لنا به ، والثاني جاهل لا ذنب له فهو صاحب هذا الفصل من الكتاب .

وقبل ان نفند الفرية بالوقائع وعلى ايدى منصفين من الانكليز انفسهم ، نود ان نعطي تعريفا للنازية مأخوذا من الموسوعة البريطانية لاغيرها : «الاشتراكية الوطنية ، اسم حركة قادها حزب العمال الالماني الاشتراكي الوطني عرفت باسم الحزب النازى . كان ادولف هتلر قائدها الالماني ١٩٣٣ ــ ١٩٤٥ . تأسس الحزب على يد انطوان دريكسلر وهو صانع اقفال في ميونيخ عام ١٩١٩ ، وجرى تبديل الاسم عام ١٩٢٠ وتزعمه ادولف هتلر ابتداء من ١٩٢١ . وصل الحزب الى السلطة ١٩٣٣ وحكم المانيا باساليب مطلقة حتى ١٩٤٥ واستند على المشاعر العنصرية خاصة معاداة السامية (على الرغم من ان العرب ساميون فالمقصود هنا اليهود) والتقاليد العسكرية البروسية ، والرومانتيكية السياسية المناهضة للعقلانية ، والقومية المتطرفة ، والرفض الالماني الواسع النطاق للمصاعب الاقتصادية وشروط السلام القاسية في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وعلى الرغم من ان النازية قد استهدفت في الاصل ، كعقيدة ، ان تدمج المذهبين القومي والاشتراكي الا ان المبدأ الاقتصادى قد تعرض عمليا الى التجاهل في السنوات الاخيرة رغم اعادة هتلر التأكيد على ذلك دوما . ان الحزب المناهض للديمقراطية واللبرالية [1] ، والمحب للحرب ، قد نال المساندة الحيوية من الاوساط العسكرية الالمانية ومن الرأسمالية باعتباره

---

(١) يقول ــ والتر لاكير ــ في كتابه ــ القاموس السياسي ــ طبعة ١٩٧٢ ، ص ٣١٣ ان اللبرالية هي : «في الاساس الايمان بحقوق الافراد في جعل معتقداتهم الدينية والسياسية مستندة على مايمليه الضمير ، وحكم القانون ، وهي تقف في العادة الى جانب تقرير المصير القومي والاقتراع وتعارض القيود على الحرية الفردية عن طريق الحكم التعسفي ــ وتدخل الدولة والاحتكار الاقتصادى» ، وبناء على ذلك قامت الاحزاب اللبرالية التي نعرفها اليوم في الغرب غير ان ماتريده يقتصر على بلدانها .

حقيقة المسألة العراقية

ان القوات البريطانية التي صحبها سلاح الجو البريطاني ونزلت مؤخرا في العراق، بموجب حقها الصريح في المعاهدة الانكليزية ـ العراقية، قد أصبحت الآن قابضة على ناصية حالة الاضطراب الذي يؤسف لوقوعه، والذي كان نتيجة مباشرة للعمل الاجرامي الذي قام به رشيد عالي وزمرة حقيرة من زبانية الألمان وأذنابهم.

ان الجنود العراقيين البواسل الذين قاتل اباؤهم بشجاعة نادرة ومهارة خارقة الى جانب المغفور له جلالة الملك فيصل الأول العظيم، والذين عملوا جنبا الى جنب مع القوات البريطانية للحصول على استقلالهم وحريتهم، قد سيقوا الآن سوق الاغنام بأمر عصابة شريرة مجرمة شهروا السلاح في وجه حلفائهم واصدقائهم البريطانيين ؟

ترى ما هو سبب ذلك...؟

ان الأجابة على ذلك سهلة للغاية. فرشيد عالي وفئة خاسرة من رؤساء ضباط الجيش العراقي كانوا على أتم الاستعداد لبيع بلادهم كما كانوا مستعدين للتضحية بابناء وطنهم في ساحات الموت لقاء ما اغدقه الألمان عليهم من الذهب الذي يؤمن لهم السعادة والهناء...

أيها الجنود العراقيون..!

هل نلتم شيئا..؟ وهل حصلتم حتى على نزر من هذا الذهب الذي اغدقه الالمان على بلادكم بواسطة مأجوريهم جماعة المفوضية في بغداد... ـ اولئك الجماعة الطليان الكلاب الذين يتمرغون ذلا وخنوعا تحت قدمي هتلر.

مقتطفات من منشور القته الطائرات البريطانية فوق بغداد اثناء الثورة وهو يتحدث عن اخلاقية واضعيه .

معقلاً ضد الشيوعيه . . . هدفت السياسة النازيه نحو التوسع الاقليمي والسيطرة المطلقه العنصر الالماني على نوع من شعب تابع (١) " .

الان تتضح لنا مجموعة من الحقائق منها :

ان الحزب النازى خاص بالجنس الارى الالماني وانه مرتبط بوجود قائد المانى هو — هتلر — الذى يحق له وحده ان يرشح او يعين

not occur to sultans that their subjects held opinions. Nuri as-Said was not continuously in office; but it was always believed that he was in power, whether he was in office or "on holiday". The only difference was that security was enforced with ineptitude when he did not personally hold the actual strings that must be manipulated.

This was the man who, already experienced in the fluctuations of a political career, set seriously about establishing a firm state that would be loyal to the Crown, after he and his master Abdul Ilah recovered from their fright in 1941. In 1941 Rashid Ali al Gailani had achieved power by a coup d'état that (willingly or unwillingly) looked for help from the German Government, which that Government was unable to give. The coup was called Nazi, but that was a convenient way to label the men who had supported it, in order to destroy British sympathy for them and ensure their suppression. In fact, Rashid Ali had turned to Germany because Germany was Britain's enemy and Britain was Abdul Ilah's friend. Yet if there is no reason to think the movement Fascist, there is equally none to think it truly revolutionary. Rashid Ali desired to see a different and a better Iraq, but his approach was pragmatic, not doctrinal; at any rate, he had no time to announce a theory of government or a programme. His appeal to Iraqis was the hope that a change must be a change for the better. Britain could not afford to allow a regime favourable to Germany, and was able to give the ejected regime military support that Germany could not give soon enough to Rashid Ali. Iraqi critics will agree that all governments act unscrupulously in war-time; but they claim that the events of 1941 encouraged Britain in a habit of intervention in peace-time; and that in the war every personal opponent of Nuri was already regarded as the enemy of Britain and the Allies. Abdul Ilah returned to a capital covered by British arms, and Nuri as-Said began to build up that police state which lasted

صفحة من كتاب — ثورة في العراق — تاليف — كار اكتاكوس — وفيها ينفي تهمة النازية عن ثوره مايس .

(١) الموسوعة البريطانية ، ج ٧ ، طبعة ١٩٧٤ بالانكليزية .

الشخص الذى سيخلفه في مركز الزعيم او «الفوهرر» بالالمانية . ومن ذلك ان «هيس» الذى اعتقل في بريطانيا اثناء نزوله فوق اراضيها في مهمة غامضة عام ١٩٤١ كان يحمل لقب «نائب الفوهرر» وكذلك الحال مع «بورمان» . وفي ذات الوقت فان عقيدة الحرب منبثقة من الظروف الموضوعية المحيطة بالامة الالمانية . سياسيا واقتصاديا وعسكريا . في اعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة كما انه يستهدف تحقيق ما تقتضيه مصالح الامة المذكورة ولو على حساب الدول والامم الاخرى بحكم سياسته التوسعية .



صورة لم تنشر من قبل لهتلر ماخوذة من مجموعته الخاصة : لم يكن للحزب النازى اى تنظيم خارج المانيا .

من ذلك يمكن القول انه لاتوجد امتدادات للحزب النازى الالماني او تنظيمات غير المانية ذات ارتباط تنظيمي معه خارج نطاق المانيا ، خلاف الحال مع الحزب الشيوعي السوفيتي ، مثلا ، فهو اممي يرتبط به عدد كبير من الاحزاب الشيوعية ، حاكمة وغير حاكمة ، في شتى ارجاء العالم، تدين له بالولاء وتعترف له بالقيادة والتوجيه .

من الجائز انتشار افكار نازية خارج المانيا وحتى قيام منظمات نازية لكن هذه لا صلة لها بالحزب النازى الالماني فيمكن ان يكون هناك الحزب النازى الامريكي ، وهذا ما حدث بالفعل ، ردا على التسلط اليهودى على الحياة الامريكية ولتحقيق اهداف وغايات اخرى ، وقد يبرز الحزب النازى الايرلندى او الهندى او الياباني ولكن الهدف ليس خدمة المانيا بل الامة الايرلندية او الهندية او اليابانية عن طريق تقليد ما استهدفه او حققه الحزب النازى الالماني ، ومع كل ذلك فاننا لم نسمع مطلقا عن شيء اسمه «الحزب النازى العربي» او «الحزب النازى العراقي» (١) ، بل ان كل ماحدث انه كانت هناك مشاعر اعجاب عامة بالالمان بعد نهوضهم من كبوتهم على يد هتلر نتيجة لاستلامه وحزبه السلطة عام ١٩٣٣ وتمزيقه لمعاهدة — فرساى — التي تضمنت نصوص الصلح المهينة المفروضة من جانب الحلفاء على المانيا المهزومة ، وقد اشتد هذا الاعجاب فيما بعد لعدة عوامل منها :

اولا : ان الوطن العربي باسره تقريبا كان تحت السيطرة البريطانية والفرنسية باستثناء ليبيا التي استولى عليها الايطاليون وجزء من المغرب (مراكش انذاك) وكان بيد الاسبان ، ونظرا للانتصارات التي حققتها الالمان بقيادة الحزب النازى وهتلر على الحلفاء وانطلاقا من مبدأ «عدو عدوى صديقي» كان الاعجاب العربي المذكور ، ولقد ادى نفس المبدأ المذكور الى زيادة التقارب بين العرب ، ممثلين بقادة قوميين معترف بهم على راسهم الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ، والمسؤولين الالمان وليس الحزب النازى بهدف اقامة تحالف بين القوميتين العربية والالمانية بشرط عدم المساس مطلقا بالمصالح العربية وهذا يتجلى من المخاوف التي ابداها العرب تجاه ايطاليا ومحاولتهم الضغط عليها عن طريق المانيا وكل ذلك موجود في وثائق وزارة الخارجية الالمانية .

---

(١) «لقد نعت الانقلاب (يقصد الثورة) بانه نازى ، غير ان تلك كانت الطريقة المناسبة لوصف الرجال الذين دعموه ، لغرض تحطيم العطف البريطاني تجاههم ، ومن ثم ضمان قمعهم . والواقع ، فان رشيد عالي اتجه الى المانيا لان المانيا كانت عدوة بريطانيا ولان بريطانيا كانت صديقة عبد الاله» .
Caractacus : Revolution in Iraq, p.44.

ثانيا : ولما كانت المطامع الصهيونية في فلسطين قد اخذت بالتحقق خطوة فخطوة على يد بريطانيا ابتداء بوعد بلفور عام ١٩١٧ ومرورا بفرض صك الانتداب عام ١٩٢٢ والشروع في تهويد الاقليم العربي وارهاق شعبه الفلسطيني بالعنف والارهاب وحتى الابادة ، فان من الطبيعي ان يعجب العرب بالالمان وهتلر (١) لوقوفهم ضد الانكليز واليهود ولتأييدهم القضية المذكــورة عن طــريق الدعــاية اولا ومن ثم عروض الســـلاح وحتـــى

امتداح — هتلر — للعرب الفلسطينيين علنا في احدى خطبه عندما قارن وقفتهم الصامدة ، رغم قلتهموشحة سلاحهم ، بوجه الامبراطوريةالبريطانية واليهودية العالمية . بالمــان منطقة السوديت في تشيكوســـلوفاكيا الذين تخاذلوا ناسين وجود جبروت المانيا من خلفهم .

بيان

من بريطانيا العظمى
الى الامة العراقية

ليكن في علم الجميع أن جنود بريطانيا العظمى يدخلون بلادكم كأصدقاء، وليسوا أعداء لكم، فعاملوهم معاملة الأصدقاء.

ولا يخفى على أحد أن المعاهدة التي بين بلادكم وبلادنا تسمح لجنودنا أن تمر من العراق، فلسنا — حين تمر جنودنا ببلادكم — بسالبين حريتكم، ولا معتدين عليكم، ما دام ذلك بمقتضى معاهدة بيننا وبينكم.

لا معنى للخوف على بلادكم فهي ستبقى كما بقيت منذ إمضاء المعاهدة بيننا وبينكم.

فاحترموا تلك المعاهدة، ووفوا بها كما سنعمل نحن بارادتكم

واعلموا أن هؤلاء الذين يقومون بأعمال غير مرغوب فيها في هذه الظروف ستتخذ ضدهم اجراءات شديدة

فليكن هذا معلوما للجميع

منشور القته الطائرات البريطانية من الجو ويبدو فيه التزييف الصريح للوقائع .

---

(١) «ونتيجة لتأثير القادة العرب القوميين ، فان الراى العام في العراق تبدل بصورة جذرية بعد سقوط فرنسا ، واصبح معاديا بشكل خاص نظرا الى ان الاقطار العربية الاخرى ظلت تحت السيطرة البريطانية . حث القوميون العرب القادة العراقيين على تحرير فلسطين وسوريا وتحقيق الوحدة بين الاقطار العربية» .

الموسوعة البريطانية بالانكليزية ، طبعة ١٩٧٤ ، ج ١١ ، ص ٩٩٧ .

وعلى اية حال ، فان الحزب النازي الالماني لم يتعامل ، باعتباره تنظيما سياسيا ، مع اى حزب او جهة مشابهة في اى مكان من العالم ، فالمانيا كانت تحدد علاقاتها مع الدول والمنظمات وحتى الافراد من خلال كونها دولة وهذا امر ثابت في الوثائق السياسية الالمانية ذاتها .

من الطبيعي ان يكون للدولة الالمانية او اجهزة مخابراتها بتعبير ادق اناس يتعاونون معها كما هو حال الكثير من الدول الاخرى ، ولكن من السخف اطلاق صفة «نازى» على اى وكيل للالمان اذ لايعقل تسمية من يعمل لحساب المخابرات السوفيتية بانه «شيوعي» او «ماركسي — لينيني» والذى يرتبط بالمخابرات الفرنسية بانه «ديغولي» والمتصل بالاجهزة الانكليزية بانه من «المحافظين» او «العمال» والعميل الاسود لنظام «سمث» في روديسيا (زيمبابوى) بانه «عنصرى ابيض» .

نأتي الى مسألة العمالة ، من السهل في الحياة السياسية اليومية اطلاق الاشاعات غير ان المؤرخ ، خاصة اذا كان بعيدا زمنيا عن خضم الاحداث وتلاطمها ، لايأخذ بالاشاعات والاقاويل بل يعتمد ، اذا اراد تحرى الحقيقة ، على ما يتوفر امامه من وثائق وما يسمعه من شهود العيان ، ايجابا او سلبا بالنسبة لامر ما ، اما فيما يتعلق بقادة ثورة مايس يمكن التأكيد على هاتين المسألتين :

اولا : بعد ان برهنا انهم غير نازيين ولا صلة لهم بالنازية من اى نوع كان ، فان الوثائق البريطانية المتوفرة ووثائق وزارة الخارجية الالمانية لاتشير مطلقا الى وجود اتصال بين اى من القادة الاربعة واحد من المسؤولين الالمان داخل العراق وخارجه وقد اشار — صلاح — الى ذلك بقوله : «زارني قبيل اعلان الحرب عام ١٩٣٩ رجل الماني يدعى الميجر ستيفن ممثل احد معامل الاسلحة الالمانية فاستقبلته بصفتي معاونا لرئيس اركان الجيش ومدبرا للحركات ، بامر من رئيس اركان الجيش الفريق حسين فوزى ، فكان ثالث الماني اقابله في حياتي ، الاول امر لوائي في الجيش العثماني ، مات في الحرب العالمية الاولى . والثاني سفير المانيا في العراق (يقصد الوزير المفوض) الدكتور غروبه في دعوة بدار الفريق حسين فوزى وكان امين العمرى حاضرا ، ثم في حفلة رسمية اقامتها السفارة الالمانية وهي من حفلات المجاملة التي تقيمها السفارات عادة .

«عرض علي الماجور ستيفن ماعنده من نماذج تصور مختلف الاسلحة والتجهيزات واسعارها ، وبعد نصف ساعة احلته على العقيد الركن نور الدين محمود مدير شعبة الحركات التي تضم قسم التسليح . . . تردد الماجور ستيفن علي بضع مرات في مقر عملي لتنظيم العقود والمعاملات وتطرق في احدى المرات الى الحديث عن الموقف السياسي في



ريبنتروب وزير خارجية المانيا يوقع على ميثاق عدم الاعتداء بين المانيا والاتحاد السوفيتي وهو الذى اسفر عن تقسيم بولندا بينهما : الياس من بريطانيا وفرنسا دفع العرب الـى محاولة التحالف مع المانيـا .

العالم وابدى تخوفه من احتمال نشوب الحرب بين المانيا وانكلترا ، ثم سألني عن موقف العراق من انكلترا اذا حاربت المانية ، فاجبته :ـ في حالة الحرب بين المانية وانكلترة يستمر العراق على تطبيق المعاهـدة العراقية البريطانية .

قال :ـ الا تحركون ساكنا وهذه بلاد العرب يسـومها الانكليـز والافرنسيون سوء العـذاب ؟

قلت :ـ وما حيلتنا ونحن امة ضعيفة ينقصها السلاح والمصانـع والمـال ؟

فسأل :ـ وما قولك ان مدتكم المانية بالسلاح والمال والرجال ؟

قلت :ـ وكيف يتسنى لالمانيا امدادنا؟ وهل فاتك ان تدرس الخارطة وترى مابين العراق والمانية من حوائل وعوائق ؟ ان بيننا وبينكم في البر مسافات شاسعة ودولا كثيرة ....

«ولنفرض ان المانية خرجت من الحرب منتصرة على بريطانيا فماذا يضمن للبلاد العربية حالا افضل من حالها اليوم ؟ ان مشروع سكة حديد بغداد ـ برلين ما زال عالقا باذهاننا ، ومقاصد المانية من ورائه غير خافية علينا ـ ان انتصار المانية او انتصار انكلترة ، اذا نشبت الحرب ليسا من صالح العرب في شيء . اننا لانريد لاى منهما الانتصار او الاندحار ، بل نريد ان يخرج الطرفان من الحرب متعادلين في القوى وان يكون في بقائهما توازن ، فتبقى المانية قوية تهدد مصالح بريطانية على الدوام ، فيدفع ذلك بريطانية الى ارضاء العرب ولاتقصر اهتمامها بالتوازن الدولي في اوربا والبلقان»(1) بهذه الثقة بالنفس ، وبهذا الاباء والشموخ تعامل الشهيد ـ الصباغ ـ مع الالماني وهو الوحيد على ما نعلم من العقداء الاربعة الذى تعامل بشكل رسمي مع الالمان او غيرهم حتى انه استدعى مرة عام ١٩٤٠ من قبل رئيس الوزراء ـ الكيلاني ـ في داره ليقدم للقائم باعمال المفوضية الايطالية قائمة بالاسلحة التي يحتاجها الجيش وتكرر الامر ثانية مع القائم بالاعمال الياباني وفي دار رئيس الوزراء نفسه وبحضوره . اما ماجرى خلال ثورة مايس بين العراق والمانيا وعودة الدكتور غروبا الى بغداد (2) فانه لايخرج عن نطاق العلاقات الدولية المالوفة ويأتي اثباتا لما ذكرناه من ان المانيا لم تتعامل مع الدول او المنظمات وحتى الافراد عن طريق الحزب النازى بل باعتبارها دولة ومن خلال اجهزتها الحكومية .

ثانيا : ومن قبيل الجنون المطبق القول بان قادة مايس كانوا عملاء للالمان ، فلا يردد ذلك الا كاره حاقد او جاهل غارق في دياجير الظلام : «ان اصحابي الذين يقاومون الانكليز منذ عشرين سنة ، اجل وارفع من ان يشتروا بالمال ، ولهم بين العرب نسب عريق وجاه عريض يغنيهم عن النزول الى مثل هذا الدرك ، لكن دفعهم الى ركوب المخاطر والتضحية بالنعم التي اسبغها الله عليهم دافع وطني منزه عن الانانية مشبع بروح التضحية للمجموع . فلم يجدوا لهم عزا الا بعز العرب .

---

(1) الفرسان ص ٦٣ و ٦٤ . وكم كانت فكرة ـ صلاح ـ صائبة عن توازن القوى خاصة عندما نتذكر ما فعله الانكليز المنتصرون بالعرب بعد الحرب وتسليمهم فلسطين للصهاينة عام ١٩٤٨ .

(2) كان نورى السعيد قد قطع العلاقات مع المانيا بعد ايام من اندلاع الحرب العالمية الثانية في ايلول ١٩٣٩ .

اما انا فقد توليت اعلى المناصب في الجيش ، وكان لي من المراتب والمراكز ما لا يحلم به اقراني في السن . وكنت ذا منزلة في قومي . وكان الصديق يحترمني كما كان العدو يحترمني . لابل ان سماسرة الانكليز انفسهم كانوا يحترمونني ، وكنت راضيا بما نلت ، وبالمستقبل الباهر القريب الذى ينتظرني . ولو لبيت رغبة الانكليز ايام حربنا او قبلها (كما فعل الذين جاء بهم الانكليز من بعدنا) لكنت الان رئيسا لاركان الجيش ، وهو المقام الاسمى في السلك العسكرى الذى ترعرعت على حبه منذ نعومة اظفارى ، ولما ترددت حالي الى ما تراني عليه . لكن عقيدتي العربية ابت ان اكون جنديا محترفا فاقتل بني قومي واكون صنيعة للانكليز ، لذلك اصبحت ضحية ، ولو كنت انانيا لفضلت الانكليز على الالمان ، فقد كان كل شيء بامكاني .

اترى عجز الانكليز عن شرائنا باضعاف ما يقدمه الالمان او غيرهم لو كنا نباع ونشرى ، وهم اغنى امم الارض بما يملكون من قارات لاتغيب عنها الشمس ؟

ام تراهم اعجز من الالمان في وسائل الاقناع ، وفي مضمار المكر والخداع ، وهم اشهر الناس بذلك ؟

لا بل طرق الانكليز كل هذه الابواب ، فجاءهم الرد قاسيا ، وكان بيننا وبينهم فصل الخطاب (١) » .

الا نلمس عظمة تضحية — محمود — واخوانه من هذه الملحمة الاخلاقية الخارقة ؟

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة

على النفس من ضرب الحسام المهند

«لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة» . — صدق الله العظيم —

---

(١) الفرسان ، ص ٣٥ و ٣٦ .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٣٤ لسنة ١٩٨٤

هذا الكتاب

على كثرة ما كتب عن ثورة مايس ، ١٩٤١ ، سواء على ايدي العراقيين والعرب والاجانب ، فان احدا لم يتطرق بالذكر الى سيرة واحد من العقداء الاربعة ، صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ، رغم انهم كانوا من اوائل العاملين على اذكاء نار الثورة وكذلك من اوائل ضحاياها أيضا .

ومنذ سنوات طويلة ، وانا اتطلع الى نيل شرف طرح سيرة واحد ، على الاقل ، من اولئك الابطال على الناس ، وكان من حسن حظي ان وقعت بين يدي مذكرات الشهيد « محمود سلمان » بخط يده ابتداء من خروجه مع اخوانه ، من بغداد اواخر مايس ١٩٤١ الى طهران وانتهاء بما دونه ليلة تنفيذ حكم الاعدام ، ليلة ٤/٥ مايس ١٩٤٢ . وانني ، في كتابي هذا ، لم احاول مجاملة احد أو التجني على احد بل تركت الحكم ، في كل ذلك ، للحقائق الواردة فيه .

المؤلف

منشورات وتوزيع
المكتبة العالمية
بغداد ـ ساحة التحرير
هاتف ٨٨٨٩٣٥٢

السعر : ٢٥٠ر١ دينار

المؤسسة العراقية للدعاية والطباعة
كرادة داخل تلفون ٧٧٦٧١١١